محمد عادل الشريف

شرح مجموع الأوراد

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
عمان ـ هاتف ٣٧٧٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الايمان وأتحفنا بمنه وكرمه درر لطائف الاحسان والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي امتدحه ربه وقربه منه وأدناه واختاره لرسالته واصطفاه قدوة العارفين ومرشد السالكين وجوهرة المحبين الذي رغبنا في حب الاولياء والصالحين لعرفانهم بالله رب العالمين وعلى آله وأصحابه وسائر محبيه ووارثيه ما دامت السموات والارض الى يوم الدين وما تعاقب الملوان في الاولين والآخرين . :

« وبعد » فاني لما رأيت الناس مقصرين مثلي في طاعة ربهم منصرفين الى المادة وجمعها والحرص عليها انصرافا كليا وذلك كله انساهم ذكر الله والدعاء والالتجاء اليه ، أنساهم أنفسهم وآخرتهم آثرت ما يبقى على ما يفنى وبصفتي حفيداً لجدي المرحوم الشيخ عبد الرحمن حسين الشريف الحسيني العارف بربه شيخ الطريقة الخلوتية الرحمانية المتوفى سنة ١٣٠٥ من هجرة سيد الانام عليه الصلاة والسلام وقد طلب الى اخوتنا في الله طلاب دار الفقه والحديث وروادها أن أشرح ما خفي واستبهم عليهم من الفاظ وأسرار أوراد جدي رضي الله عنه وأرضاه وهو شيخ الطريقة والحقيقة والشريعة ومن هذه الاوراد والاذكار بل ابرزها وأشهرها (الدرة) ، وورد القرآن الليلي ، وتحفة الاخلاص وحزب السيف وحزب الهمزة ومن مؤلفاته رضي الله عنه التي بحثت في أصل الطريق ومصادرها وأساسها (رسالة الدلالة السنية) وهناك مؤلفات أخرى كانت عند عمي المرحوم الشيخ حسين عبد الرحمن الشريف ومنه انتقلت الى ولده المرحوم الشيخ عبد الرحمن حسين الشريف

وهي موجودة الآن عند نجل حفيد المؤلف الموجود الآن السيد (حسين عبد الرحمن الشريف) ومن مؤلفاته البارزة النصائح الرحمانية[1] أقول لما رأيت رغبة ملحة من اخواننا في الله في شرح ما تيسر من مبهمات هذه الأوراد حسرت عن ساعد الجد مستعينا بالله تعالى في شرح الدره التي تتلى صباحا ومساء ولعلي أتمكن من شرح ما بقي من الاوراد ان شاء الله تعالى كما سأقوم بشرح تحفة الاخلاص ان شاء الله تعالى ·

ولما كنت محبا للعارفين بالله تعالى حشرنا الله في زمرتهم شرعت في شرح الدرة لأهميتها متوكلا على الله وهو حسبي ونعم الوكيل ·

وقبل أن أبدأ في الشرح أنبه الأخوة في الله على أن الشرح قد يكون في غاية الايجاز بل هو عبارة عن حل الفاظ بقدر المستطاع الا ما اضطررنا اليه في تعريف الطريق وتعريف التصوف والصوفية في المقدمة وفي غضون البحث باذن الله العلي القدير سيظهر في ذلك كله ·

المؤلف الضعيف

محمد عادل الشريف

قال رحمه الله :

(بسم الله وبالله ومن الله والى الله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ·

---

(١) هذه النصائح كادت أن تكون في منزلة ومرتبة حكم ابن عطاء الله السكندري بل فيها من معاني هذا العلم ومصطلحات القوم ما هو اعلى واعمق ·

المقدمـــة

اعلم يا أخي ان سلسلة القوم التي ستشهدها فيما بعد في كيفية أخذ العهد والتلقين مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرويه عن جبريل وهو يرويه عن الله عز وجل في بعض الروايات روايته عن رؤساء الملائكة الاربع والنبي صلى الله عليه وسلم لقن عليا رضي الله عنه وصورة ذلك كما في ريحان القلوب في التوصل الى المحبوب لسيدي يوسف العجمي أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على أقرب الطرق الى الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم : يا علي (عليك بمداومة ذكر الله في الخلوات فقال علي هذه فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول (الله) فقال علي : كيف أذكر يا رسول الله ؟ قال غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا اله الا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلي يسمع ، ثم قال علي (لا اله الا الله) ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته :

والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ثم لقن[1] علي الحسن البصري رضي الله عنهما على الصحيح عند أهل السلسلة الاخيار من المحدثين قال الحافظ السيوطي : الراجح ان البصري أخذ عن علي ومثله عن الضياء المقدسي ومن المقرر في الاصول ان المثبت مقدم على النافي ، ثم لقن الحسن البصري حبيبا العجمي وهو لقن داود الطائي وهو لقن معروفا الكرخي وهو

(١) لقن بكسر القاف مخلفة ولقن الكلام بمعنى فهمه وبابه فهم ٠ وتلقنه بتشديد القاف اخذه لقانيـة والتلقين كالتفهيم وزنا ومعنى ، ولقن الرجل الشيء بكسر القاف لقنا بتحريك القاف هنا بالفتح فهو لقن من باب تعب فهمه ويعدى بالتضعيف الى ثان بعده فيقال لقنه الشيء فتلقنه اذا اخذه من فيك مشافهة ويصدق على الاخذ من المصحف والمشافهة هي ما عبر عنه القوم بقولهم لقن النبي صلى الله عليه وسلم ٠

لقن سريا السقطي وهو لقن أبا القاسم سيد الطائفتين الجنيد البغدادي وعنه تفرعت سائر الطرق المشهورة في الاسلام ثم لقن الجنيد ممشاد الدينوري وهو لقن محمد الدينوري وهو لقن القاضي وجيه الدين، وهو لقن عمر البكري وهو لقن ابا النجيب السهروردي، وهو لقن قطب الدين الأبهري وهو لقن محمد ابراهيم الكيلاني وهو لقن (أخي محمد الخلوتي) واليه نسبة أهل الطريق[1] وهو لقن بير عمر الخلوتي وهو لقن اخي بيرام الخلوتي، وهو لقن عز الدين الخلوتي، وهو لقن صدر الدين الخيالي، وهو لقن يحيى الشّرواني صاحب ورد الستار، وهو لقن محمد الأرزنجاني، وهو لقن جلبي[2] سلطان المشهور بجلبي خليفة، وهو لقن خير التوقادي، وهو لقن شعبان القسطموني، وهو لقن اسماعيل الجورومي وهو المدفون في باب الصغير[3] في بيت المقدس عند مرقد سيدي بلال الحبشي رضي الله عنهما، وهو لقن سيدي علي افف قره باش[4]، وهو لقن مصطفى افف ولده وخلفاءه كما قال السيد الصديقي أربعمائة ونيف وأربعون خليفة، وهو لقن عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي، وهو لقن شمس الطريقة وبرهان الحقيقة السيد مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي وهو لقن قطب رحاها ومقصد سرها ونجواها شيخنا الشيخ محمد الحفناوي، وهو لقن اشياخا كثيرين منهم بركة المسلمين وكهف الواصلين الصائم القائم العابد الزاهد الشيخ محمد السمنودي المعروف بالمنيّر شيخ القراء والمحدثين وصدر الفقهاء

---

(١) الخلوتي نسبة للطريقة الخلوتية والرحمانية نسبة للمؤسس ومنشيء الطريق في بدء القرن الرابع عشر الهجري جدنا المرحوم الشيخ عبد الرحمن الشريف.

(٢) تقرأ بالسين وكتابة بالجيم.

(٣) باب الصغير يطلق على مكانين الاول في القاهرة آخر باب الجمالية عند باب النصر والثاني في دمشق واسماعيل الجورومي على ما يظهر مدفون في باب الصغير بدمشق لا في بيت المقدس ولا في القاهرة والله أعلم.

(٤) قره باش معناها أسود الرأس باللغة التركية واليه نسبة طريقنا كما مر.

والمتكلمين[1] ومن رجال طريق السادة الخلوتية علامة وقته وأوانه الولي الصوفي الشيخ حسن الشيبيني ولقد كان قويا في طلب العلم وبرع فيه وفاق على أقرانه ثم جذبته أيدي العناية الى الشيخ فأخذ عليه العهد ولقَّنه أسماء الطريق السبعة على حسب سلوكه في سيره ثم ألبسه التاج وأجازه بأخذ العهود والتلقين والتسليك وصار خليفة محضا فأدار مجالس الذكر ودعا الناس اليها من سائر الاقطار وفتح الله عليه باب العرفان حتى صار ينطق بأسرار القرآن ·

ومن رجال الطريق الخلوتية العالم النَّحرير الصوفي الصالح السالك الراجح الشيخ محمد السنهوري ثم القوي في طلب العلم حتى صار من أهل الافتاء والتدريس وانتصب للتأكيد والتأسيس ، ثم دعته سعادة حضرة القوم فسلك مع المجاهدة وحسن السيرة على يد الاستاذ حتى لقنه الاسماء السبعة وألبسه التاج وأقامه خليفة يهدي لاقوم منهاج ثم اذن له في التوجه الى بلده فتوجه اليها وربى بها المريدين فأدار مجالس الاذكار في تلك البقاع وعم به في الوجود الانتفاع ·

ومن رجال الطريقة الخلوتية : البحر الزاخر حائز مراتب المفاخر الولي الرباني والصوفي في العالم الانساني الشيخ محمد الزعيري اشتغل في العلم حتى برع وصار قدوة لكل مقتد وجذوة لمن لا يهتدي ، ثم سلك على يد الاستاذ فأخذ عليه العهد ولقنه الاسماء على حسب سيره وسلوكه ثم خلَّفه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك ·

---

(١) ومن مناقب الشيخ محمد السمنودي رضي الله عنه الحميدة والخصال المديدة صيام الدهر مع عدم التكلف لذلك وقيام الليل يقرأ في كل ركعة ثلث القرآن وربما قرأ نصفه أو جميعه في كل ركعة هذا ورده دائما صيفا وشتاء فتى وشيخا ويافعا ومنها تواضعه وخموله (أي عدم حبه للصيت والشهرة والسمعة وعدم رؤية نفسه وانه رضي الله عنه يبرأ من أن تنسب اليه منقبة ·

ومن رجال الطريق الخلوتية رضي الله عنهم أجمعين الحبر العلامة والبحر الفهامة شيخ الافتاء والتدريس الشيخ خضر رسلان اشتغل على الشيخ مدة مديدة ولازمه ملازمة شديدة وأخذ عليه العهد في طريق الخلوتية حتى تلقن الاسماء وألبسه الشيخ التاج وصار خليفة مجازا بأخذ العهود والتسليك .

ومن هؤلاء : الشيخ الصوفي الولي صاحب الكرامات والايادي والمكرمات شيخنا الشيخ محمود الكردي أخذ على الشيخ العهد والطريق ولقنه الاسماء فكان محمود الأفعال معروفا بالكمال ثم ألبسه التاج وصار خليفة وأجازه التلقين والتسليك فأرشد الناس وأزال عن قلوبهم الوسواس وأبعد عنهم الالتباس وهو مشهور البركة يعتقده الخاص والعام كثير الرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كراماته انه متى أراد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم رآه وله مكاشفات عجيبة نفعنا الله بحبه ولا حجبنا عن قربه وهو الذي قام للارشاد والتسليك بعد انتقال شيخه وسلك على يده كثير وخلفوه من بعده منهم :

١ ــ الشيخ الصالح الصوفي .

٢ ــ الشيخ محمد السقاط .

٣ ــ الشيخ العلامة شيخ الاسلام والمسلمين مولانا الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الازهر صاحب كتاب التحرير وشرحه في فقه الشافعية .

٤ ــ والامام الاوحد الشيخ محمد بدير الذي كان في بيت المقدس وقد كان قائما بتسليك المريدين في الديار القدسية .

٥ ــ الشيخ الصالح الناجح ابراهيم الحلبي الحنفي .

٦ ــ السيد الاجل العلامة والحبر الفهامة السيد عبد القادر الطرابلسي الحنفي .

٧ ــ الشيخ الامام العمدة الهمام الشيخ عمر البابلي .

هؤلاء هم علماء زمانهم وصوفية أوانهم وكثير غيرهم أدام الله النفع بهم .

ومن هؤلاء العلماء الاعلام من رجال الطريقة الخلوتية .

٨ ـ الشيخ عمر البابلي وغيرهم ادام الله بهم .

٩ ـ ومن هؤلاء العالم العلامة الألمعي بقية السلف والخلف ونعم الخلف الشيخ محمد سبط[1] الاستاذ المترجم اطال الله بقاءه .

١٠ ـ ومنهم الشيخ الفهامة الأديب الأريب واللوذعي النجيب الشيخ محمد الهلباوي الشهير بالدمنهوري الشافعي .

١١ ـ ومن هؤلاء الشيخ الصوفي القدوة الشيخ أحمد الغزالي تلقن منه الاسماء وتخلف عنه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك .

١٢ ـ ومن هؤلاء العالم العامل الشيخ أحمد القحافي الانصاري اخذ العهد وانتظم في سلك أهل الطريق وتلقّن الأسماء وصار خليفة مجازا وأرشد الناس وافتتح مجالس الاذكار .

١٣ ـ ومن هؤلاء تاج الله وانسان عين المجد من غير علة ذو النسب الباذخ والشرف الرفيع الشامخ السيد علي القناوي تلقّن الاسماء وألبس التاج وصار خليفة حقا ومجازا بالتلقين والتسليك فأدار مجالس الاذكار واشرقت به الانوار .

١٤ ـ ومنهم العلامة العامل والفهامة الواصل الفاضل الشيخ سليمان المنوفي نزيل (طندتا)[2] لقنه وأرشده وخلفه وألبسه التاج وأجازه فسلك وأرشده وله أحوال عجيبة .

١٥ ـ ومنهم الصوفي الصالح الشيخ حسن السّنحاوي نزيل (طندتا) أيضا لقنه وألبسه التاج فدعا الناس لاقوم منهاج .

---

(١) السبط لغة هو ولد الولد ويطلق ايضا على ابن البنت والولد يشمل الذكر والانثى ، والسبط بكسر السين وجمعه أسباط والاسباط من بني اسرائيل كالقبائل من العرب .

(٢) هذا لغة واسمها المشهور بين الناس (طنطا) وتارة (طنطا الجزيرة) وهي المدينة النيرة والمشرقة التي يرقد في مسجدها قطب زمانه واوانه سيدنا الشيخ احمد البدوي الحسيب النسيب الشريف وهو احد الاقطاب الاربعة رضي الله عنه وأرضاه المعترف بهم لدى علماء الامة .

١٦ ـ ومنهم علامة الأنام الشيخ محمد الرشيد الملقب (بشعَيْر) لقنه وخلّفه وأجازه فكثر نفعه ·

١٧ ـ ومنهم العلامة الأوحد ومن على مثله الخناصر تعقد الشيخ يوسف الرشيدي الملقب بالشيال رجل أيضا يرجع اليه فتلقّن منه وسلك على يديه حتى صار خليفة وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك ورجع الى بلاده (بأوفر زاد) وأدار مجالس الذكر وأكثر المراقبة والفكر حتى كثرت اتباعه وعم انتفاعه ·

١٨ ـ ومنهم العمدة المقدام الهمام الناسك السالك الشيخ محمد الشهير بالسقا لقنه وأجازه بالتلقين والتسليك فكثر نفعه وطاب صنعه ·

١٩ ـ ومن هؤلاء العلماء من أهل الطريق الخلوتية فريد دهره وعالم عصره معدن الفضل والكمال قطب الجمال والجلال الشيخ باكير لقنه وألبسه التاج وأجازه بالتلقين والتسليك ·

٢٠ ـ ومنهم بدر الطريق وشمس أفق التحقيق العالم العلامة والصوفي الفهامة الشيخ محمد الفَشني لقنه وخلفه وألبسه التاج فأخذ العهود ولقن وسلك وفاق في سائر الآفاق وتقدم في الخلاف والوفاق ·

ومن هؤلاء العلماء الاعلام الذين كانوا من اهل الطريق الخلوتية والخلافة والعلوم الدينية ممن يطول شرحهم ·

٢١ ـ العالم العامل والشهم الماهر الكامل الشيخ عبد الكريم المسيري الشهير بالزيات ·

٢٢ ـ منهم شيخ الفروع أحمد العدوي الملقب بدرديرِ جذبته العناية الربانية وهو شيخ الفروع والاصول الجامع بين المعقول والمنقول علامة الزمان والحامل في وقته لواء العرفان الشيخ أحمد العدوي ·

٢٣ ـ ومنهم الشيخ العلامة والولي الصوفي الشيخ محمد الرشيدي الشهير بالمصراوي ·

٢٤ ـ ومنهم الامام الجامع والولي الصوفي النافع مولاي احمد الصّقليّ المغربي .

٢٥ ـ ومنهم الامجد العامل بعلمه والمزدري السحر بفهمه الشيخ سليمان البتراوي ثم الانصاري .

٢٦ ـ ومنهم النّحرير الكامل الصالح العامل الفهامة العابد الزاهد الشيخ اسماعيل اليمني .

٢٧ ـ ومنهم النّحرير الكامل واللوذعي الفاضل مؤلف المجموع الشيخ حسن بن علي المكي المعروف (بسمته الناظم الناثر الحاوي للخير المكاثر .

وغير هؤلاء كثير لا يحصون ممن كانوا علماء زمانهم وأوانهم وصوفية أيامهم وقد كانوا أمانا لبلادهم وورد أن بعض آكابر البلاد في مصر محمد باشا راغب قال لبعض بني السقاف انما لقب جدكم بالسقاف لكونه كان سقفا وحماية لليمن مـن البلاء وكذلك الشيخ الحفناوي سقف على مصر من نزول البلاء .

هذا ما ذكر في كتاب (من التاريخ المسمى عجائب الآثار من التراجم والأخبار لمحقق زمانه وأوانه الرافل في حلل العلوم العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي وذلك في الجزء الاول سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف من هجرة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام سنة ١١٨٢ أهـ صفحة ٢٩٤ ـ ٢٩٧ . وهذا التاريخ أي تاريخ الجبرتي كتاب معروف مألوف يعرفه ذوو الفضل ولا يعرفه الثرثارون المعترضون .

يعني أنه قد مضى على ذكر هؤلاء وهم سادة عصرهم مائتان وثلاث عشرة سنة ولم يعترض عليهم أي معترض ملأ قلبه الايمان إلا من أعمى الله بصيرته ولعل أحد المعترضين من طلاب علم الدنيا اليوم يقول هم رجال ونحن رجال ورحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعدَّ طوره .

فالى هؤلاء المنكرين للطريق الرحمانية والطرق الصحيحة أوجه الانظار للسادة الصوفيــة ممن يتشبهون بالعلماء ويطعنون بساداتنا الصوفية رضي الله عنهم وأرضاهم ونفعنا بهــم وبعلومهم في الدنيا والآخرة ورزقنا الله السير على سيرتهم والعمل بطريقتهم والتخلق بأخلاقهم والمؤلف المترجم رحمه الله توفي في نابلس ودفن في المقبرة الزاركنية ومن أراد معرفة ترجمته وحسن سيرته وعلو كعبه في العلم والصلاح فليرجع الى الصفحة (٢٩٧) او الى مقدمة كتابه ٠

الباب الاول

ما معنى الصوفية التي يشمئز من ذكرها كثير من الجهلاء وادعياء العلم :

ما هو حد[١] علم التصوف ؟ قال الجنيد رضي الله عنه في تعريف علم التصوف ان تكون مع الله بلا علاقة دنيوية ، وقيل في تعريف علم التصوف الدخول في كل خلق سني[٢] والخروج من كل خلق دني[٣] وقيل أخلاق كريمة ظهرت في زمن كريم مع قوم كرام وقيل ألا تملك شيئا ولا يملكك شيء ٠ فالتصوف هو استرسال النفس وانسياقها مع الله تعالى على ما يريد ٠

والتصوف مبني على ثلاث خصال :

الاولى : التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التدبير والاختيار وقيل الاخذ بالحقائق والاياس[٤] مما في أيدي الناس ،

---

(١) الحد في الاصل هو الحاجز بين الشيئين وحد الشيء منتهاه وحد الدار مــن باب رد و (حددها) أيضا تحديدا والحد المنع ومنه قيل للبواب حداد وللسجان أيضا اما لانه يمنع عن الخروج او لانــه يعالج الحديد من القيود (وحده) أقام عليه الحد من باب رد ايضا وانما سمي حدا لانه يمنع عن المعاودة واما المراد من الحد هنا فهو التعريف عند المناطقة فعندهم الحد والتعريف والرسم ولكل معنى خاص في اصطلاح المناطقة ٠

(٢) السنى هو الامر الرفيع العالي وأسناه رفعه ٠

(٣) والدني معناه القريب غير مهموز والدنيء بالهمز الخسيس والدون وسميت الدنيــا بذلـك لدنوها ودناءتها وخستها وجمعها (دنا) يقال في النسبة دنيوي دنياوي ٠

(٤) الاياس هو التخلي والزهد عما في ايدي الناس من باب أيس واليأس القنوط ويئس من الشيء من باب فهم ٠

الثانية : وقيل هو ذكر مع اجتماع ، ووجد[١] مع استماع ، وعمل مع اتباع .

الثالثة وقيل هو الجلوس مع الله بلا هم وقيل هو العصمة عن رؤية الكون .

وأما موضوع علم التصوف : فهو معرفة الذات العلية لانه يبحث عنها باعتبار معرفتها إما بالبرهان[٢] وإما بالشهود والعيان فالاول للطالبين والثاني للواصلين ، وقيل موضوع علم التصوف النفوس والقلوب والارواح لانه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من الاول لان من عرف نفسه عرف ربه .

(وأما واضع هذا العلم) فهو النبي صلى الله عليه وسلم علمه الله له بالوحي والالهام فنزل جبريل عليه السلام اولا بالشريعة فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة (وهي ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) فخص بها بعضا دون بعض واول من تكلم في علم التصوف واظهره سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وأخذ عنه الحسن البصري[٣] وأمه اسمها خيرة مولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابوه مولى زيد بن ثابت توفي الحسن البصري رضي الله عنه سنة عشر ومائة وأخذ علم التصوف عن الحسن حبيب العجمي وأخذه عن حبيب ابو سليمان داود الطائي توفي سنة ستين ومائة واخذه عن داود ابو محفوظ معروف ابن فيروز الكرخي رضي الله عنه وأخذه عن معروف الكرخي ابو الحسن سري بن مَغْلَس[٤] السقطي توفي سنة احدى وخمسين ومائة وأخذه عن

---

(١) وجد مطلوبه يجده بالكسر وجودا والوجد هنا ملازمة الصمت والحزن كما كان عليه الصلاة والسلام .

(٢) الدليل على وجود الله تعالى أو بشهوده في مصنوعاته .

(٣) كما أشير الى ذلك في أول هذا الكتاب عندما سأل سيدنا علي رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على أقرب الطرق الى الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم (يا علي عليك بمداومة ذكر الله) الخ .

(٤) بفتح الميم وسكون الغين وفتح اللام .

السري امام هذه الطريقة ومظهر اعلام الحقيقة ابو القاسم محمد بن الجنيد[1] الخزاز ثم انتشر التصوف في أصحابه وهلم جرا ولا ينقطع حتى ينقطع الدين لا سمح الله رب العالمين ٠

ومن رواية أخرى في أخذ علم التصوف ٠ يروى ان سيدنا الحسن بن علي أخذه عن والده علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ثم أخذ عن الحسن أبو محمد جابر ثم القطب سعيد الغزواني ثم القطب فتح السعود ثم القطب سعد ثم القطب سيدي أحمد المرواني ، ثم ابراهيم البصري ، ثم زين الدين القزويني ثم القطب شمس الدين ثم القطب تاج الدين ، ثم القطب نور الدين ابو الحسن ثم القطب فخر الدين ، ثم القطب تقي الديـن الفقير بالتصغير فيهما ، ثـم القطب سيدي عبد الرحمن المدني ، ثم القطب الكبير مولاي عبد السلام بن مشيش[2] ثم القطب الشهير ابو الحسن الشاذلي ثم خليفته ابو العباس المرسي ثم العارف الكبير صاحب الحكم سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ، ثم العارف الكبير سيدي داود الباقلي ثم العارف سيدي محمد بحر الصفا ثم العارف ولده سيدي علي بن وفا ثم الولي الشهير سيدي يحيى القادري ، ثم الولي الشهير سيدي احمد بن عقبة الحضرمي ، ثم الولي الكبير سيدي احمد زروق ، ثم سيدي ابراهيم أفحام ، ثم سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوّار ثم العارف الكبير سيدي عبد الرحمن المجذوب ، ثم الولي الشهير سيدي يوسف الفاسي ، ثم العارف سيدي عبد الرحمن الفاسي ثم العارف سيدي محمد بن عبد الله ، ثم العارف سيدي قاسم الخصاصي ثم العارف سيدي احمد بن عبد الله ، ثم العارف سيدي العربي بن عبد الله ، ثـم

---

(١) أصله من نهاوند ومنشؤه العراق تفقه على أبي ثور وصحب الشافعي فكان يفتي عـلى مذهب ابي ثور ثم صحب خاله السري وأبا الحارث المحاسبي وغيرهما وكلامه وحقائقه مدونة في الكتب توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين ومائتين وقبره ببغداد مشهور يزار ٠

(٢) فيه روايتان مشيش وبشيش ٠

العارف الكبير سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني الحسني ، ثم العارف الشهير شيخ المشايخ سيدي ومولاي العربي الدرقاوي الحسني ثم العارف الكامل المحقق الواصل شيخنا سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الحسني ثم عبد ربه وأقل عبيده أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ثم عنه خلق كثير والمنة لله العلي الكبير .

(وقال الحسن بن منصور) في تعريف الصوفي : الصوفي واحد في الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحدا كالارض يطرح عليه كل قبيح ولا يخرج منه ولا يصدر عنه الا كل مليح يطؤه البر والفاجر وقال سيدنا ابو بكر الشبلي رضي الله عنه الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق لقوله تعالى (واصطنعتك لنفسي) وقال الشيخ زروق رضي الله عنه لقد عرف العلماء علم التصوف بوجوه تبلغ نحو الألفين ترجع كلها لشيء واحد (وهو صدق التوجه الى الله تعالى وانما هي وجوه فيه والله اعلم)

وقال الشيخ زروق ايضا : قاعدة صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق سبحانه وتعالى وبما يرضاه ولا يصح مشروط بدون شرطه (ولا يرضى لعباده الكفر) فلزم تحقيق الايمان (وان تشكروا يرضه لكم) فلزم العمل بالاسلام فلا تصوف الا بفقه لقوله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)[1] اذ لا تعرف أحكام الله تعالى الظاهرة الا من الفقه ولا يعرف الحلال من الحرام الا من الفقه ، ولا فقه الا بتصوف اذ لا عمل الا بصدق توجه ولا فقه ولا تصوف الا بايمان اذ لا يصح واحد منهما بدونه فلزم الجمع بينهما لتلازمهما في الحكم كملازمة الصفة للموصوف وتلازم الارواح للاشباح والاجساد ما دامت فيها الحياة ، اذ لا وجود لها الا فيها كما لا كمال لها اي للاشباح الا بارواحها ومنه قول الامام مالك رضي الله عنه من تصوف ولم يتفقه

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

في دينه بمعرفة العبادات والمعاملات فقد تزندق لانه يعبد الله على جهالة ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق (اي سرى اليه الفسق من عجبه وريائه وكبريائه وطموحه في الشهوات) •

ومن جمع بين الفقه والتصوف فقد تحقق لقيامه بالحقيقة في عين تمسكه بالحق •

قال ابن عجيبة[1] انما صار زنديقا اذا تصوف ولم يتفقه لانه قائل بالجبر الموجب لنفي الحكمة والاحكام وانما صار فاسقا لخلو علمه عن صدق التوجه الحاجز عن معصية الله وعن الاخلاص المشروط في الاعمال •

وقيل موضوع علم التصوف : النفوس والقلوب والارواح لانه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من التعريف الاول[2] •

واما اسم هذا العلم : فهو علم التصوف واختلف في اشتقاقه على أقوال كثيرة ومرجعها الى خمسة اقوال :

أولها : انه من الصوفة لانه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له •

ثانيها : من صوفة القفا للينها فالصوفي هين لين كما هو شأن المؤمن •

ثالثها : انه من الصفة للموصوف اذ جملة الصوفي اتصاف بالمحامد وترك الاوصاف المذمومة •

رابعها : انه من الصفاء وصحح هذا القول حتى قال ابو الفتح البستي رحمه الله في الصوفي •

(١) ابن عجيبة لسان عالم عامل شرح الحكم لابن عطاء الله السكندري •

(٢) هذا التعريف فيه تكرار فليتنبه •

تخالف النـاس في الصـوفي واختلفـوا
وأيقنـوا أنـه أخذ مـن الصـوف
ولست أمنـح هـذا الاسم الا لمـن
صـافي فصوفـي حتـى سمي الصـوفي [1]

خامسا : انه منقول من صُفّة المسجد النبوي الشريف الذي كان منزلا لاهل الصفة لان الصوفي تابع لهم فيما اثبت الله لهم من الوصف حيث قال (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الآية (٢٨) الكهف وهذا هو الاصل الذي يرجع اليه كل قول فيه قاله الشيخ زروق رحمه الله ٠

وهناك تفسيرات وشروح ومعان اخرى للتصوف قالها علماء التصوف الحاذقون ٠

قالوا : التاء معناها التوبة النصوح والثبات على ذلك ان شاء الله تعالى الى الممات ٠

والصاد : معناها الصبر والصدق والصفاء ٠

والواو : معناها الود والوِرد والوفاء ٠

والفاء : معناها الفقر والفاقة والفناء وهو ان يفنى عن افعالـه لافعال سيده ومولاه يعني بان يعتقد بان كل فعل يصدر بحقه انما هو من الله وحده لا من أحد سواه ويفنى عن صفاته لصفات سيده تعالى وعن ذاته لذات سيده ومولاه تعالى الله علوا كبيرا ٠

---

(١) البيتان فيهما ركاكة واختلال في الوزن ٠

تخالف النـاس في الصوفي واختلفـوا — وأيقنوا انـه اخذ مـن الصوف
ولست امنـح هـذا الاسم الا لمن — صافي فصوفي حتى سمي الصـوفي

واما استمداد علم التصوف : فكثير من رعاع الناس وادعياء العلم يعتقدون انه مستمد من عبادة الهندوس والبراهمة وتقشفهم وبهذا يفترون على الله الكذب وعلى حقائق العلم يتهجمون ٠

استمداد علم التصوف من الكتاب والسنة من مصدري التشريع العظيمين هما الكتاب والسنة ومن الهامات الصالحين وفتوحات العارفين ذكرها الامام الغزالي في الاحياء في أربعة كتب :

أ ـ كتاب العبادات ٠

ب ـ كتاب العادات ٠

ج ـ كتاب المهلكات ٠

د ـ كتاب المنجيات ٠

واما حكم الشارع فيه : فقد قال الامام الغزالي رضي الله عنه انه فرض عين اذ لا يخلو احد من عيب او مرض الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال الامام ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه (من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر من حيث لا يشعر ولا يدري وحيث كان فرض عين يجب السفر الى من يأخذه عنه اذا عرف بالتربية والارشاد واشتهر الدواء على يده وقال الشيخ السنوسي : النفس اذا غلبت كالعدو اذا فجأ تجب مجاهدتها والاستعانة عليها وان خالف والديه كما في العدو اذا برز فان جهاده لا يحتاج الى اذن الوالدين ٠ وما أحسن قول من قال :

أخاطر في محبتكم بروحي ... وأركب بحركم إما وإما
وأسلك كلَّ فج في هواكم ... وأشرب كأسكم لو كان سما
ولا أصغي الى من قد نهاني ... ولي أذن عن العذّال صمّا
أخاطر بالخواطر في هواكم ... وأترك في رضاك أبا وأما

قال عليه الصلاة والسلام (رجعنا من الجهاد والأصغر الى الجهاد الأكبر ، قالوا وما الجهاد الأكبر يا رسول الله قال : جهاد النفس ٠ لأن النصر الحقيقي هو انتصار المرء على نفسه ٠

وأما تصور مسائله : فمعناها معرفة اصطلاحاته والكلمات التي تتداول بين القوم[1] كالخلاص ، والصدق ، والتوكل ، والزهد ، والورع، والرضا ، والتسليم ، والفناء والبقاء ، وكالذات والصفات ، والقدرة والحكمة والروحانية ، والبشرية وكمعرفة حقية الحـال ، والوارد والمقام وغير ذلك ٠

والتحقيق في مسائل هذا العلم انهـا القضايا التي يبحث عنهـا السالك[2] في حال سيره وليعمل بمقتضاها ككون الاخلاص شرطا في العمل وكو ن الزهد ركنا في الطريق وكون الخلوة والصمت مطلوبين فمسائل هـذا الفن هي قضاياه الباحثة عنـه وهي مـن أمثال هـذه الاصطلاحات والقضايا فينبغي لمريد هذا العلم ان يتصورها قبل الشروع في الخوض فيه علما وعملا لئلا تزل قدم بعد ثبوتها والعياذ بالله من المعترضين والجاحدين والمنكرين وبالعلم والفضل متلبسين هداهم الله الى الصواب والصراط المستقيم ٠

وأما فضل هذا العلم وفضيلته بالنسبة لغيره من العلوم : فقد تقدم ان موضوعه الذات العلية وهي أفضل على الاطلاق كعلم توحيد الذات العلية سواء بسواء،فالعلم الذي يتعلق بالذات الاقدس افضل من غيره على الاطلاق اذ هو دال بأوله على معرفة الله وخشيته وبتوسطه دال عـلى معاملته ، وبآخره على حقيّة معرفته والانقطاع اليه سبحانه عن كل السوي ، ولذلك قال شيخنا الامام الجنيد رضي الله عنه (لو نعلم ان تحت أديم[3] السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا

---

(١) والقوم هم أهل الطريق هذا في اصطلاحهم والقوم يطلق على الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه

وما أدري ولست اخال ادري ... أقوم آل حصن أم نساء

(٢) السالك والمريد بضم الميم والطالب بمعنى واحد في اصطلاح القوم ٠

(٣) الاديم وجه الارض والادم بفتح الهمزة والدال جمع اديم وقد تجمع على ادمة كرغيف وأرغفة ٠

لسعيت اليه سعيا حثيثا) وقال العارف بالله الشيخ الصقلي رضي الله عنه في كتابه المسمى (بأنوار القلوب في العلم الموهوب) قال : (وكل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة ، وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذي لا يدرك والبحر الذي لا ينزف[1] وقال آخر من علماء هذا العلم ورجاله : (اذا رأيت من فتح له في التصديق بهذه الطريقة فبشره بخير ، واذا رأيت من فتح له في الفهم فيه فاغتبطه ، واذا رأيت من فتح له في النطق والتكلم فيه فعظمه ، واذا رأيت منتقدا عليه ففر منه فرارك من الاسد واهجره) وما من علم الا وقد يقع الاستغناء عنه في وقت ما الا علم التصوف فلا يستغني عنه احد من الاوقات الا من طمس الله على بصيرته[2] (وأما نسبته) من العلوم فهو الكلي[3] الجامع لها والشرط الاساسي فيها اذ لا علم ولا عمل الا بصدق التوجه الى الله تعالى فالاخلاص شرط في الجميع هذا باعتبار صحته الشرعية والجزاء والثواب . واما باعتبار الوجود الخارجي فالعلوم توجد في الخارج بدون علم التصوف لكنها ناقصة مبتورة وان استفيد منها حسا لا يستفاد لها معنى ولا طعم لها بدونه قال العلامة السيوطي : (نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسد لانه مقام الاحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل يوم سأله عن الاسلام والايمان والاحسان فقال عليه الصلاة والسلام (ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) اذ لا معنى له سوى ذلك لان مدار علم التصوف على مراقبة بعد مشاهدة او

---

(١) أي الذي لا ينقص ولا ينضب يقال نزف بفتح الثلاث ماء البئر نزحه كله ونزف هو يتعدى ويلزم ويقال نزفت البئر على ما لم يسم فاعله مثل (عزفت الموسيقى) .

(٢) البصيرة الحجة يقال فلان على بصيرة من الامر على دليل وبرهان والبصيرة هي لب القلوب ومنه قوله تعالى (انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) .

(٣) يعني أن نسبة هذا العلم بالنسبة لباقي العلوم فهو كلي وهو الاصل وأفراد العلوم وجزئياته تندرج تحته تبعا اذ ان العلوم الكونية مطلوبة ومرغوب فيها لكنها اذا خلت من الاخلاص في تعلمها بقصد الاستعانة على الحياة وتقديم المنفعة والخدمة الانسانية والا فهي جسم بلا روح وشبح وخيال ومقال بلا لباب فافهم .

مشاهدة[1] بعد مراقبة والا لم يقم لهذا العلم وجود ولم يظهر له موجود ·

وأما فائدة هذا العلم : فتهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب وثمرته[2] : سخاوة النفوس وسلامة الصدور وحسن الخلق مع كل مخلوق ·

واعلم يا أخي يا مريد علم التصوف ان هذا العلم ليس هو اللقلقة باللسان وانما هو أذواق ووجدان لا يؤخذ من الاوراق والاساطير[3] وانما يؤخذ من أهل الاذواق (ومن ذاق عرف ومن لم يذق لم يعرف كما قيل :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ... ومن دراه غدا بالروح يشربه

ولا ينال بالقيل والقال ولا بالزي والتظاهر بلبس الصوف وطول اللحية · ان هذا العلم يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة ذوي الفضل والكمال والله ما افلح من افلح الا بصحبة من افلح ·

ومن اراد التبحر هذا العلم فليتق الله أولا وليجعل الاخلاص زاده والارض مهاده[4] وليكن كما قيل :

ولا أصغي الى من قد نهاني ... ولي أذن عن العذال صمًّا
أخاطر بالخواطر في هواكم ... وأترك في رضاك أبا وأما[5]

---

(١) لعله أراد بالمراقبة بعد المشاهدة الرجوع للبقاء بشهود الاثر بالله (اذ الاثر يدل على المؤثر) ·

(٢) والفائدة والثمرة شيء واحد وبمعنى واحد والثمرة واحدة الثمر اسم جنس افرادي يفرق بينه وبين واحدة بالتاء كبقر وبقرة ويجمع جمع مؤنث سالم فيقال ثمرات ويجمع على ثمار فيقال ثمر وثمار كجبل وجبال ·

(٣) الاساطير جمع أسطورة وهي الاباطيل ·

(٤) يعني أن من أراد أن يتذوق من هذا العلم فلا يبال بسخط مرضى القلوب عليه فعليه بالاخلاص وتقوى الله التي هي نعم الزاد (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) ·

(٥) لا شك أن الابوين لهما الحق الاكبر لا سيما اذا كانا صالحين مطيعين لله ورسوله ولكن الشيخ العارف بالله والمرشد والموجه الى طاعة الله هو مربي الروح والوالدان يربيان الجسد ·

أقدم أستاذي على نفس والدي ... وان نالني من والدي العز والشرف
فذاك مربي الروح والروح جوهر ... وذاك مربي الجسم والجسم من صدف

فمن تعليمات وارشادات السادة الصوفية ما روى عنه صلى الله عليه وسلم (اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تفرغ من دلوك في اناء المستسقى ، وأن تلقى أخاك ووجهك اليه متبسط ، وايـاك واسبال[1] الازار فان اسبال الازار من المخيلة ولا يحبها الله وان امرؤ شتمك وعيّرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ولا تسبن أحدا)[2] .

من هم الاقطاب والابدال :

هل ورد في وجودهم نص يستند اليه !؟

جاء في احدى رسائل محمد امين عابدين[3] المسماة بهـذا الاسـم (اجابة الغوث بيان حال النقباء والنجباء والابدال والاوتاد .

قال رحمه الله (لقد رتبت الاجابة وما جمعته على اربعة ابواب وخاتمة[4] وسميت ذلك باجابـة الغوث ببيان حال النقبـاء والنجباء والأبدال والأوتاد والغوث الخ ...

قال رحمه الله (فالاقطاب جمع قطب وزان قفل[5] وهو في اصطلاحهم الخليفة الباطن وهو سيد اهل زمانـه سمي قطبا[6] لجمعـه لجميـع

---

(١) اسبال الازار الزيادة في طوله وكناية عن الكبرياء المذموم .

(٢) الطيالسي ابن حيان عن جابر بن سليم الهجيمي .

(٣) ابن عابدين المشهور بهذا اللقب معروف لدى العام والخاص في فتاويه وفي حاشيته وفي رسائله وتسير اثر بل ومعظم المحاكم الشرعية في البلاد الاسلامية والعربية على ما افتى به في الاصول والفروع وفي الاحكام الكلية والجزئية . وقد ذكر هذا في الجزء الثاني من رسائله تحت عنوان اجوبة محققة عن اسئلة مفرقة لابن عابدين .

(٤) صفحة (٢٦٤) من الرسالة .

(٥) قفل بضم القاف وسكون الفاء على وزن فعل .

(٦) والقطب كوكب بين الجدي والفرقدين والفرقدان نجمان قريبان من القطب وجاء الناس قاطبة اي جميعا والجدي بفتح الجيم وسكون الدال كوكب تعرف به القبلة ويقال له جدي الفرقد وهو صغير أبيض لا يبرح مكانه ابدا وانما شبه بقطب الرحى وهي الحديدة التي في الطبق الاسفل من الرحيين يدور عليها الطبق الاعلى فكذا تدور الكواكب على هذا الكوكب الذي يقال له القطب .

المقامات والاحوال ودورانها عليه مأخوذ من قطب الرحا الحديدة التي تدور عليها وفي شرح تائية سيدي الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض لسيدي الشيخ عبد الرزاق القاشاني : القطب في اصطلاح القوم اكمل انسان متمكن في مقام الفردية تدور عليه احوال الخلق وهو اما قطب بالنسبة الى ما في عالم الشهادة من المخلوقات يستخلف بدلا منه عند موته من اقرب الابدال منه فتح يقوم مقامه بدل هو أكمل الابدال ، واما بكسر الهمزة ايضا قطب بالنسبة الى جميع المخلوقات في عالمي الغيب والشهادة ولا يستخلف بدلا من الابدال ولا يقوم مقامه احد من الخلائق وهو قطب لاقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة لا يسبقه قطب ولا يخلفه آخر وهو الروح المصطفوي صلى الله تعالى عليه وسلم المخاطب بقول (لولاك لولاك لما خلقت الافلاك انتهى ٠

يعني لا يخلفه غيره في هذا المقام الكامل وآخلفه فيما دونه كالخلفاء الراشدين ولا ينافي ما سيأتي ٠

وفي بعض كتب العارف بالله سيدي محيي الدين بن عربي قال : (اعلم انهم قد يتوسعون في اطلاق لفظ القطب فيسمون كل من دار عليه مقام من المقامات قطبا وانفرد به في زمانه على ابناء جنسه وقد يسمي رجل البلد قطب البلد وشيخ الجماعة قطب تلك الجماعة ولكن الاقطاب المصطلح على ان يكون لهم هذا الاسم مطلقا من غير اضافة لا يكون الا واحدا وهو الغوث ايضا وهو سيد الجماعة في زمانه ، ومنهم من يكون ظاهر الحكم ويحوز[1] الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم ، ومنهم من

---

(١) الحوز بفتح الحاء وسكون الواو الجمع وبابه قال وكتب وكل من ضم شيئا الى نفسه فقد حازه واحتازه أيضا ٠

يحوز الخلافة الباطنة فقط كأكثر الاقطاب وفي الفتاوي الحديثة لابن حجر (رجال الغيب) سموا بذلك لعدم معرفة اكثر الناس لهم رأسهم القطب الغوث الفرد الجامع جعله الله دائرا في الآفاق الاربعة الاركان في الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء ، وقد ستر الله تعالى أحواله عن الخاصة والعامة غيره غير انه يرى عالما كجاهل وأبله[1] كفطن وتاركا كآخذ قريبا بعيدا سهلا عسرا آمنا حذرا ومكانته من الاولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها بـه يقع صلاح العالـم انتهى وجاء في (المعدن العدني) في أويس القرني للملا علي القاري قال (وأما قطب الابدال في زمانه عليـه الصلاة والسلام فالذي في ظني أنـه (أويس القرني) انتهى وفي شرح منظومة الخصائص النبوية لشيخ مشايخنا الشهاب احمد المنبنى قال (وذهب التونسي من الصوفية الى ان اول من تقطب بعده صلى الله تعالى عليه وسلم ابنته فاطمة ولم أر له في ذلك سلفا) واما اول من تقطب بعد عصر الصحابة فعمر بن عبد العزيز واذا مات القطب خلفه احد الامامين لانهما بمنزلة الوزيرين احدهما مقصور على مشاهدة عالم الملكوت[2] والآخر على عالم الملك والامام الذي نظره في عالم الملكوت اعلى مقاما من الآخر انتهى .

واما البحث في الابدال : فقال ابن عابدين رحمه الله (والابدال) بفتح الهمزة جمع بدل سموا بذلك لما سيأتي في الحديث كلما مات رجل

---

(١) رجل أبله بين البله والبلاهة وهو الذي غلبت عليه سلامة الصدر وبابه طرب يقال بله يبله بفتحها وفي الحديث (أكثر أهل الجنة البله) (جمع أبله) يعني البله في امر الدنيا لقلة اهتمامهم بها وهم أكياس في أمر الاخرة رضي الله عنهم وارضاهم ونفعنا بهم في الدنيا والاخرة .

(٢) الفرق بين عالم بفتح اللام الملكوت وعالم الملك فالعالم بفتح اللام معناه أنه علامة دالة على وجود خالقه وصانعه . والملك بضم الميم هو العز والسلطان والملكوت مأخوذ من الملك بضم الميم كالرهبوت من الرهبة يقال له ملكوت العراق أي له ملك العراق . ولكن عالم الملك في اصطلاح القوم العالم السفلي الارضي بما فيه من مخلوقات وعالم الملكوت عبارة عما في السموات من مخلوقات وملائكة وعرش وكرسي واللوح المحفوظ وغير ذلك .

ابدل الله مكانه رجلا ٠ او لانهم ابدلوا أخلاقهم السيئة وروضوا[١] انفسهم حتى صارت محاسن اخلاقهم حلية أعمالهم أو لانهم خلف عن الانبياء كما سيأتي في كلام ابي الدرداء رضي الله عنه او لما نقله الشهاب المنبنى عن العارف ابن عربي قال : واذا رحل البدل عن موضع ترك بدله فيه حقيقة روحانية تجتمع اليها أرواح أهل ذلك الموطن الذي رحل عنه هذا الولي فان ظهر شوق من أناس ذلك الموطن شديد لهذا الشخص تجددت لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله فكلمتهم وكلموها وهو غائب عنها وقد يكون هذا من غير البدل لكن الفرق ان البدل يرحل ويعلم أنه ترك غيرا وغيره البدل لا يعرف ذلك وان تركه انتهى ٠

وفي شرح التائية للقاشاني : المراد بالأبدال طائفة من أهل المحبة والكشف والمشاهدة والحضور يدعون الناس الى التوحيد والاسلام لله تعالى بوجودهم العباد والبلاد ويدفع عن الناس بهم البلاء والفساد كما جاء في الحديث النبوي حكاية من الله[٢] تعالى انه قال (اذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همه ولذته في ذكري فاذا جعلت همه ولذته في ذكري عشقني وعشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهو اذا سها الناس اولئك كلامهم كلام الانبياء واولئك هم الأبدال حقا اولئك الذين اذا اردت بأهل الارض عقوبة او عذابا ذكرتهم فيه فصرفته بهم عنهم) والأبدال اربعون رجلا لكل واحد منهم درجة

---

(١) عودوها على عمل الخير ومحاسن الاخلاق ن راض يروض ٠

(٢) في الحديث القدسي ٠ الفرق بين القرآن الكريم ، والحديث القدسي ، والحديث النبوي ٠ اما القرآن فهو كلام الله لفظه ومعناه المنزل على قلب سيدنا محمد للاعجاز وللتحدي ولو باقصر سورة وللتعبد بتلاوته ٠ وأما الحديث القدسي : فهو الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير واسطة الملك غالبا بل بالهام او منام اما باللفظ والمعنى واما بالمعنى فقط ويعبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاظ من عنده وينسبه اليه تعالى لا للتعبد بتلاوته ولا للاعجاز ٠ وأما الحديث النبوي فهو الذي اوحى اليه معناه فقط ويعبر عنه بالفاظ من عنده ولا ينسبه اليه تعالى واشرف الكل واسماه القرآن ثم القدسي ثم الحديث النبوي ٠

مخصوصة ينطبق أول درجاتهم على آخر درجات الصالحين وآخرها على أول درجات القطب كلما مات واحد منهم ابدل الله تعالى مكانه أحدا يدانيه ممن تحته وظهر التبدل في كل من هو ادنى درجة منها فهو[1] يدخل في أول درجاتهم واحد من الصالحين وينخرط في سلك الابدال ولا يزال عددهم كاملا[2] حتى اذا جاء أمر الساعة قبضوا جميعا كما جاء في الخبر انتهى ٠

وفي كتاب احياء علوم الدين للامام حجة الاسلام الغزالي نفعنا الله تعالى به من كتاب ذم الكبر والعجب قال ابو الدرداء رضي الله تعالى عنه (ان لله تعالى عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم أوتاد الارض فلما انقضت النبوة أبدل الله تعالى مكانهم قوما من أمة محمد[3] صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله تعالى بصبر ثخين[4] وتواضع في غير مذلة وهم قول اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقا[5] ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين[6] ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام لا يموت الرجل حتى يكون الله تعالى قد انشأ من يخلفه ٠

---

(١) في الاصل هكذا (فح) وكلمة فهو من مؤلف هذه الرسالة والله اعلم بالصواب وقد تكون كلمة (فح) من المؤلف بدلا من لفظ فقد لان القلم قد يزل أحيانا ٠

(٢) يعني أربعين بدلا ٠

(٣) انظر الى مكانة الابدال من الدين مقام رسالة ودعوة وأمانة وصدق وفطانة ٠

(٤) ثخن الشيء من باب ظرف اي غلظ وصلب فهو ثخين والمراد من العبارة هنا صلابتهم في الحق صلابتهم في الايمان صلابتهم صبرهم على مر الزمان وتحملهم مشاقه وقد يحملونها عمن صلح من المؤمنين ٠

(٥) الصديق (فعيل) بكسر الصاد وتشديدها بوزن السكيب الدائم التصديق وهذا ايضا الذي يصدق قوله بالعمل ٠

(٦) اليقين العلم وزوال الشك يقال فيه يقنت الامر على وزن علمت من باب طرب وايقنت واستيقنت وتيقنت كله بمعنى واحد وانا على يقين منه وقد يعبر عن اليقين بالظن ٠

واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم أطيب الناس خبرا والينهم عريكة وأسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومون على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة[1] قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله تعالى واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات (اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون)[2] قال الراوي قلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد علي من هذه الصفة فكيف لي أن أبلغها فقال (ما بينك وبين ان تكون في أوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك فاذا علم الله تعالى من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[3] قال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله تعالى وابتغاء مرضاته انتهى (فائدة) قال العارف ابن عربي في كتابه حلية الابدال أخبرني صاحب لي قال (بينما أنا ليلة في مصلاي قد أكملت وردي[4] وجعلت رأسي بين ركبتي اذكر الله تعالى اذ أحسست بشخص قد نفض[5] مصلاي من تحتي وبسط عوضا منه حصيرا وقال صل عليه وباب بيتي علي مغلق فداخلني[6] منه فزع فقال لي من يأنس بالله تعالى لم يجزع ثم انني

---

(١) المطلقة والمرسلة للجري .

(٢) آية (٢٢) من سورة المجادلة والمراد بالحزب هنا (جند الله وهم الملائكة الذين وقفوا وحاربوا مع المسلمين في الغزوات كما قال تعالى (فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) الآية (٤٠) التوبة .

(٣) الآية (١٢٨) من سورة النحل .

(٤) الورد بكسر الواو هو ما يعتاده المؤمن من تلاوة قرآن وأدعية وذكر صباحا ومساء قال تعالى في ذلك (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد أن يذكر أو أراد شكورا) (٦٢) الفرقان .

(٥) نفض بفتح الثلاث الثوب ونفض الشجر من باب نصر أي حركه لينتفض .

(٦) يقال في اللغة تداخلني منه شيء يعني اعتراني وأصابني منه فزع وخوف .

الهمت الصوت فقلت : يا سيدي بماذا تصير الابدال ابدالا ؟؟ فقال بالاربعة التي ذكرها ابو طالب المكي في القوت :

١ ــ الصمت[١] ·

٢ ــ والعزلة[٢] ·

٣ ــ والجوع[٣] ·

٤ ــ والسهر[٤] ·

ثم أنصرف ولا أعرف كيف دخل ولا كيف خرج وبابي مغلق انتهى ·

قال العارف بن عربي هذا رجل من الابدال اسمه معاذ بن أشرس والاربعة المذكورة أعلاه هي عماد هذا الطريق الاسنى ومقوماته ومن لا قدم له فيها ولا رسوخ فهو تائه عن طريق الله تعالى وفي ذلك قلت :

يا من أراد منازل الابدال
من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعنْ بها فلست من أهلها[٥]
إن لم تزاحمهم على الاحوال
واصمت بقلبك واعتزل عن كل من
يدنيك من غير الحبيب الوالي

---

(١) السكوت عن الكلام التافه البذيء الزائد عن المطلوب ويقال عنه صوم (فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا) ٢٦ سورة مريم أي امساكا عن الكلام وقال عليه الصلاة والسلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) وفي رواية (أو ليسكت) واللام هنا لام الامر ·

(٢) العزلة هي الابتعاد عن كل ما ليس لك فيه شأن كقوله صلى الله عليه وسلم (اذا رأيت هوى متبعا وشحا مطاعا واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك وليسعك بيتك) ·

(٣) التوسط في تناول الغذاء الحلال فما بالك بالحرام حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ·

(٤) السهر فيما يرضي الله في نحو قراءة ودراسة علم وذكر وموانسة ضيف مؤمن ·

سهر العيون لغير وجهك ضائع　　　وبكاؤهن لغير حقك باطل

(٥) يلزم التسهيل في همز أهلها لتناسب وزن الشعر ·

واذا سهرت وجعت نلت مقامهم
وصحبتهم في الحل والترحال
بيت الولاية قسمت أركانه
ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم
والجوع والسهر النزيه العالي

انتهى نقله الشهاب المنيني في شرح منظومة الخصائص واما البحث في الاوتاد :

(فالاوتاد) جمع وتد بالكسر والفتح لغة قال العارف بالله ابن عربي في بعض مؤلفاته وهؤلاء قد يعبر عنهم بالجبال كقوله تعالى (ألم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا)[1] لان حكم هؤلاء في العالم حكم الجبال في الارض فانه بالجبال تثبت الارض ولا تميل قال الشهاب المنيني[2] في المناوي :

الاوتاد اربعة في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون احدهم يحفظ الله تعالى به المشرق والآخر المغرب والآخر الجنوب والآخر الشمال .

قال ابن عربي رضي الله عنه ولكل وتد من الاوتاد الاربعة ركن من أركان البيت ويكون على قلب نبي من الانبياء فالذي على قلب آدم عليه الصلاة والسلام له الركن الشامي والذي على قلب ابراهيم صلى الله عليه وسلم له الركن العراقي والذي على قلب عيسى صلى الله عليه وسلم له الركن اليماني والذي على قلب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام له ركن الحجر الاسود وهو لهذه الامة المحمدية بحمد الله تعالى انتهى .

---

(١) آية (٧) من سورة النبأ .
(٢) لم يعرف لقبه بالضبط فتارة يقال عنه المنيني بالنون وتارة بالتاء والله اعلم بالصواب .
(٣) جميع هذه الاركان ترى وتشاهد على جوانب الكعبة المشرفة كما شاهدتها بعيني والحمد لله .

وأما النجباء : فهم جمع نجيب وقد يقال فيه في اصطلاح القوم (أنجاب) على غير القياس لمزاوجة[1] الابدال والاقطاب والجمع المقيس[2] نجباء مثل كريم وكرماء قال سيدي محيي الدين بن عربي العارف بالله في بعض مؤلفاته مَعْزِيًا (اي منسوبا) للفتوحات : ومن الاولياء النجباء وهم ثمانية في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون وهم أهل علم الصفات الثمانية السبعة المشهورة والادراك الثامن ومقامهم الكرسي لا يتعدون ولهم القدم الراسخة في علم تسيير الكواكب من جهة الكشف والاطلاع من جهة الطريقة المعلومة عند العلماء بهذا الشأن انتهى .

وأما البحث في النقباء :

(فالنقباء) جمع نقيب قال في الصحاح النقيب العريف وهو شاهد القوم وضمينهم (أي كفيلهم) انتهى .

قال العارف بالله ابن عربي هم الذين حازوا علم الفلك التاسع والنجباء حازوا علم الثمانية الافلاك التي دونه وقال ايضا في موضع آخر ومن الاولياء رضي الله تعالى عنهم النقباء وهم اثنا عشر نقيبا في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون على عدد بروج الفلك كل نقيب عالم بخاصية برج وبما اودع الله تعالى في مقامه من الاسرار والتأثيرات وما تقطع الكواكب السيارة والثوابت فان للثوابت حركات وقطعا في البروج لا يشعر به في الحس لانه لا يظهر ذلك الا في آلاف من السنين واعمال أهل الرصد تقصر[3] عن مشاهدة ذلك .

---

(١) يعني ليكون لفظ الانجاب متفقا بالوزن مع لفظ الابدال والاقطاب .

(٢) وفعيل وهو جمع القله على فعلاء .

(٣) والرصد معناه هنا والله اعلم علم الفلك .

واعلم ان الله تعالى قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها ومعرفة مكرها وخداعها وابليس مكشوف عندهم يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه أه ٠

أما البحث في الافراد فلا مندوحة عنه ٠

فقد ذكرهم العارف بالله بن عربي[1] في بعض كتبه قال ونظرهم من الملائكة الارواح المهيمنة وهم الكروبيون معتكفون في حضرة الحق سبحانه وتعالى لا يعرفون سواه ولا يشهدون سوى ما عرفوا منه ليس لهم بذواتهم علم عند نفوسهم وهم على الحقيقة ما عرفهم سواهم مقامهم بين الصديقية والنبوة ، انتهى ٠

«فصل» في الكلام في عددهم وبيان مساكنهم : نقل البرهان ابراهيم اللقاني في شرح منظومته الكبير المسمى بعمدة المريد لجوهرة التوحيد من حواشي الشفا لابن التلمساني قال : (نقل الخطيب في تاريخ بغداد عن الكتاني ما نصه : (النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والبدلاء اربعون والاخيار سبعة والعمد ويقال لهم (الاوتاد) ايضا اربعة والغوث واحد ومسكن النقباء (المغرب) ومسكن النجباء (مصر) ومسكن الابدال (الشام) والاخيار سياحون في الارض والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة وهناك اقوال آخرى قالها (ذو النون المصري) الى آخر الصفحة (٢٦٩) في الباب الاول من رسالة ابن عابدين المسماة باجابة الغوث ببيان حال النقباء والنجباء والاوتاد تأليف جنات حضرة شيخنا

---

(١) هذا هو سيدنا محي الدين بن عربي وقبره يزار في دمشق معروف لدى العام والخاص وعلى ضريحه هيبة وجلال وتاريخه مشهور وتآليفه لمن فهمها معروفة ولقد أعجبني أثناء زياراتي المتكررة اليه ما هو مكتوب على الستار الخشبي الموضوع عليه من ابيات شعرية تثلج الفؤاد وهي :

قبر محي الدين بن العربي ... كل من لاذ به أوزاره
قضيت حاجاته من بعد ما ... غفر الله له أوزاره

شيخ الطريقة والحقيقة سيدي العارف بربه تعالى الشيخ محمد أمين عابدين عفى الله عنه) .

(الباب الثاني) في نفس الصفحة (٢٦٩) نقتبس منه ما تيسر باذن الله .

فيما ورد فيهم من الآثار النبوية الدالة على وجودهم وفضلهم على سائر البرية قد ذكر نبذة من ذلك العلامة ابن حجر في الفتاوى الحديثة والشهاب أحمد المنيني في شرح منظومته عن الحافظ السيوطي والامام المناوي وكذا المنلا علي القاري في المعدن العدني في أويس القرني فمنها ما روي عن الامام علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تسبوا اهل الشام فان فيهم الابدال) رواه الطبراني وغيره ، وفي رواية عنه مرفوعا[1] وسُبُّوا ظُلمهم (ظلمتهم) وفي رواية أخرى لا تعمُّوا[2] فان فيهم الابدال .

وفي رواية اخرى الابدال في الشام والنجباء بالكوفة وفي أخرى الا ان الاوتاد من أهل الكوفة والابدال من أهل الشام وفي أخرى النجباء في مصر والاخيار من أهل العراق والقطب في اليمن والابدال في الشام وهم قليل .

قال ابن عابدين (قلت) وقوله في هذه الرواية النجباء في مصر مع قوله في السابقة والنجباء في الكوفة يفيد أنهم ليسوا مخصوصين بكونهم في أحد هذين المحلين بل تارة يكونون بالكوفة وتارة في مصر فلا منافاة والله تعالى أعلم .

---

(١) الى النبي صلوات الله وسلامه عليه .

(٢) أي لا تجعلوا سبابكم عاما على أهل الشام وعلى كل فلا يجوز سباب المسلم العادي فضلا عن غيره لقوله صلوات الله وسلامه عليه (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) كما ورد في صحيح مسلم .

وأخرج أحمد عنـه سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول (الابدال بالشام وهم اربعون رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب .

(قلت) وفي شرح الشهاب المنيني ولا ينافي تقييد النصرة هنا بأهل الشام اطلاقها في الاحاديث الاخر لان نصرتهم لمن هم في جوارهم أتم وان كانت أعم انتهى .

وأخرج ابن أبي الدنيا عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الابدال وهم ستون رجلا فقلت يا رسول الله حلهم لي : قال صلى الله عليه وسلم (ليسوا بالمنطعين[1] ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين[2] لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكن بسخاء الانفس وسلامة القلوب وفي رواية وسلامة الصدور والنصيحة لأئمتهم .

وعن أنس[3] رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (البدلاء اربعون رجلا اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم واحد أبدل اللهمكانه آخر فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة[4] .

وفي رواية أيضا عنه مرفوعا ان الابدال اربعون رجلا واربعون امرأة كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا وكلما ماتت امرأة ابدل الله مكانها

---

(١) المتمعقين في كلامهم بالتقعر والعجرفة والعنجهية .

(٢) والمتعمقين الذين في كلامهم تنطع أي تعمق وتدخل فيما لا يعنيه ، لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكن بسخاء الانفس وسلامة القلوب من الغش والحقد والمكر .

(٣) أنس على وزن فعل مثلثه هو أنس بن مالك رضي الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي يوما لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء تركته لم تركته ولا لشيء كسرته لم كسرته وانما يقول كل شيء بقضاء وقدر ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

(٤)رواه الحكيم الترمذي .

امرأة)[١] اخرجه الديلمي في مُسند الفردوس ، وفي رواية عنه أيضا (ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاتهم ولا صيامهم ولـكن دخلوها بسلامة صدورهم وسخاوة انفسهم [٢] أخرجه ابن عدي والخلال وزاد في خبره والنصح للمسلمين وفي رواية أخرى باسناد حسن عنه انه عليه الصلاة والسلام قال : (لن تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن[٣] فيهم يُسقوْن وبهم ينصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر . قال قتادة (لسنا نشك ان الحسن منهم) وعن ابن عباس[٤] رضي الله عنهما قال : (ما خلت الارض من بعد نوح عليه السلام يرفع الله تعالى بهم[٥] عن أهل الارض البلاء وعن ابن عمر[٦] رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والابدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل مـن الاربعين مكانه . قالوا يا رسول الله دلنا على أعمالهم قال (يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من أساء اليهم ويتواسون[٧] فيما آتاهم الله)[٨] . وفي رواية عنـه مرفوعـا (لكل قرن مـن أمتي سابقون) رواه ابو نعيم الحلية ايضا والحكيم الترمذي وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (ان لله عز وجل في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم ولله في الخلق اربعون قلوبهم على قلب ابراهيم ولله

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس .

(٢) آخرجه ابن عدي والخلال .

(٣) يعني في مدينة خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام .

(٤) معنى هذا أن هذا الحديث موقوف على صحابي معروف لذا فانه يحتج به .

(٥) يعني ان الله تعالى يرفع العذاب عن أهل الارض بسببهم أو يدفعه عنهم .

(٦) وهو سيدنا عبد الله بن عمر الذي هو أحد العبادلة الاربعة .

(٧) ومعنى يتواسون فيما آتاهم الله يعني أن ما من الله به عليهم مـن النعم اقتسموه فيمـا بينهم وبين المحتاجين .

(٨) أخرجه أبو نعيم (في الحلية) وغيره .

في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل ولله في الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة ، واذا مات من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة واذا مات من الخمسة ابدل الله مكانه السبعة واذا مات السبعة أبدل الله مكانه من الاربعين ، واذا مات من الاربعين ابدل الله مكانه من الثلاثمائة ، واذا مات من الثلاثمائة ابدل الله مكانه من العامة قيل لابن مسعود فيسقون ويسألونه فينبت لهم الارض ويدعون ربهم رفع انواع البلاء) أخرجه ابن عساكر[1] • ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم ان أحدا على قلبه فتأمله مع قول العارف ابن عربي فيما تقدم في الكلام على الاوتاد من ان احدهم على قلبه صلى الله عليه وسلم ونسب ذلك المقام لنفسه وهو قدس الله سره ونفعنا به مقامه اجل من ان يوصف كما يعلم ذلك من نور الله تعالى بصيرته وطهر من داء الحسد سريرته ولعل ذلك كان من ابن عربي عن طريق الكشف وليس فوق خليل الرحمن في العلوم والمعارف سوى نبينا صلى الله عليه وسلم قال ابن عربي انه على قلبه بيانا لعلو مقامه على سائر اقرانه وان لم يكن على قلبه حقيقة ومن كل وجه فتأمل •

والمراد يكون احدهم على قلب نبي او ملك كما قال قدس سره في بعض كتبه (انهم يتقلبون في المعارف الالهية بقلب ذلك الشخص اذ كانت واردات العلوم الالهية انما ترد على القلوب وكل علم يرد على كل قلب ذلك الاكبر من ملك او رسول فانه يرد على هذا القلب الذي هو على قلبه : قال وربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان وهو بهذا المعنى نفسه

(١) قال بعض العلماء لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان احدا على قلبه اذ لم يخلق الله تعالى في عالمي الخلق والامر اعز واشرف واكرم والطف من قلبه صلى الله عليه وسلم فقلوب الانبياء والملائكة والاولياء بالاضافة الى قلبه صلى الله عليه وسلم كاضافة سائر الكواكب الى اضاءة الشمس ولعل ذلك لانه مظهر الخلق بجميع صفاته بخلاف غيره فانه يكون مظهرا لبعض صفاته في صور تجلياته على مكنوناته •

تنبيه لاحق حول الاقطاب والابدال الخ ما تقدم :

قال الشهاب المنيني قد طعن ابن الجوزي[1] في أحاديث الابدال وحكم بوضعها[2] ولكن تعقبه جلال الدين السيوطي شيخ الفتيا والقضاء في مصر بان خبر الابدال صحيح وان شئت قلت متواتر واطال ثم قال مثل هذا بالـغ حـد التواتر المعنوي بحيث يقطـع بصحـة وجود الابدال ضرورة أهـ .

وقال السخاوي[3] : خبر الابدال له طرق بالفاظ مختلفة كلها ضعيفة ثم ساق الاحاديث الواردة فيهم ثم قال وأصح مما تقدم كله خبر احمد عن علي رضي الله عنه مرفوعا (البدلاء يكونون بالشام وهم اربعون رجلا كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا يُسقى بهم الغيث وينصر بهم على الاعداء ويصرف بهم عن اهل الشام البلاء والعذاب ثم قال السخاوي رجاله رجال الصحيح غير شريح ابن عبيد وهو ثقة أهـ .

وقال شيخه الحافظ ابن حجر في فتاويه[4] الابدال وردت في عدة أخبار منها ما يصح وما لا يصح واما القطب فدرد في بعض الآثار ، واما الغوث فبالوصف المشتهرين بين السادة الصوفية فلم يثبت وفي بعض

---

(١) وابن الجوزي معروف مشهور من جماعة ابن تيمية وابن حزم وابن كثير وامثال هؤلاء المنكرين على السادة الصوفية فضلهم واتباعهم للكتاب والسنة وكما قيل :

ما ضر شمس الضحى في الافق طالعة … الا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وكما قيل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد … وينكر الفم طعم الماء من سقم

رزقنا الله الثبات على الحق وأماتنا على الحق .

(٢) ولا مستند له في ذلك الا الحقد والتعنت ومخالف تعرف . ومعنى وضع الاحاديث بطلانها .

(٣) الامام السخاوي معروف بعلمه وفضله وتحريه للحديث لكنه عاد فاعترف بصحة هذه الاحاديث حيث قال وأصح مما تقدم الخ وعلى هذا فافعل التفضيل هنا على غير بابه اذ لا يوجد منها ما هو صحيح وما هو أصح بل جميع ما ورد في حديث الابدال بالغ درجة الصحة وقال بعض النحاة أفعلُ التفضيل على بابه اذ هما مشتركان في الصحة ولكن الحديث الاخير أصح منها والله أعلم .

(٤) اي في الفتاوى الحديثية .

الروايات (أن من علامات الابدال الا يولد لهم اولاد وانهم لا يعلنون شيئا أهـ ٠

لكن قد تقدم وسيأتي أيضا في كلام سيدنا الشافعي رحمه الله تفسير القطب بالغوث فدل على ثبوته وعلى أنهما شيء واحد[١] فاعلم ذلك وكان مراد الحافظ ابن حجر بعدم ثبوته عدم وروده في الاحاديث النبوية الصحيحة ويكفي في ثبوته شهرته واستفاضة اخباره وذكر بين أهل هذا الطريق الطاهر والله تعالى أعلم أهـ ٠

وفي الفتاوي الحديثة لابن حجر ذكر الحديث الاخير عن الامام اليافعي لكن مع اختصار ومع مغايرة في اللفظ ثم قال قال الامام اليافعي (قال بعض العارفين والواحد المذكور في هذا الحديث هو القطب وهو الغوث الفرد ثم قال والحديث الذي ذكره صح فيه فوائد خفية منها انه قد يجاب بان تلك الاعداد اصطلاح بدليل وقوع الخلاف في بعضهم كالابدال فقد يكونون في ذلك العدد قد نظروا الى مراتب عبروا عنها كالابدال والنقباء والنجباء والاوتاد وغير ذلك مما مر والحديث نظر الى مراتب أخرى والكل متفقون على وجود تلك الاعداد ومن هذه الاجوبة : أنه يقتضي ان الملائكة أفضل من الانبياء والذي دل عليه كلام أهل السنة والجماعة الا من شذ منهم[٢] أن الانبياء أفضل من جميع الملائكة (ومنها) انه يقتضي ان ميكائيل أفضل من جبرائيل

---

(١) اذا الغوث والقطب واحد لا كما قالوا وأما الغوث فبالوصف المشتهر بين السادة الصوفية حيث قد ورد النص في وجود القطب واذا كان القطب قد ثبت وجوده فقد ثبت وجود الغوث على انه يكفي في ثبوته شهرته ٠

(٢) كعمر الزمخشري حيث قال بافضلية جبريل عليه السلام على نبينا محمد صلوات الله عليه والصحب والآل ٠

قال العارف بالله سيدي عبد الرحمن الشريف :

فامدح كما شئت فهو الفذ مرتبة   وليس فوقه الا الله فافهم

والمشهور خلافه وان اسرافيل أفضل منهم وهو كذلك بالنسبة لميكائيل واما بالنسبة لجبريل ففيه خلاف والادلة فيه متكافئة فقيل جبريل أفضل لانه صاحب السر المخصوص بالرسالة الى الانبياء والرسل والقائم نجد منهم وتربيتهم وقيل اسرافيل لانه صاحب لسر الخلائق أجمعين ، اذا اللوح المحفوظ في جبهته لا يطلع عليه غيره وجبريل وغيره انما يتلقون ما فيه عنه وهو صاحب الصور القائم ملتقما له ينتظر الساعة والامر به لينفخ فيه فيموت كل شيء الا من استثنى الله تعالى ثم ساق ابن عابدين وقال واعلم ان هذا الحديث لم أر من خرجه من المحدثين الذين يعتمد عليهم لكن وردت احاديث تؤيد كثيرا مما فيه ثم ساقها وقال في أثنائها ولا تخالف بين الحدثين اي حديثي ابي نعيم واحمد المتقدمين في عدد الابدال لان البدل له اطلاقات كما يعلم من الاحاديث الآتية في تخالف علاماتهم وصفاتهم وانهم قد يكونون في مزان اربعين وفي آخر ثلاثين لكن ينكر على هذا رواية ولا الاربعون كلما مات رجل .. الخ انتهى . وهو مؤيد لما قلناه[1] سابقا وذكر فيها واقعه مع بعض مشايخه لا بأس بذكرها قال ولقد وقع لي في هذا البحث غريبة مع بعض مشايخي هي أني انما ربيت في حجور بعض هذه الطائفة[2] أعني القوم السالمين من المحذور واللوم فوقر عندي كلامهم لانه صادف قلبا خاليا فتمكنا فلما قرأت في العلوم الظاهرة وسني[3] نحو اربع عشرة سنة بقراءة مختصر أبي شجاع على شيخنا ابي عبد الله المجمع على بركته ونسكه وعلمه الشيخ محمد الجويني بالجامع الازهر بمصر المحروسة فلازمته مدة وكنت عنده فانجر الكلام يوما الى ذكر القطب والنجباء والنقباء والابدال وغيرهم

---

(١) هذا راجع لقول ابن عابدين نفسه رحمه الله .

(٢) وهي جماعة السادة الصافية والطائفة من الشيء قطعة منه ويطلق على الواحد فما فوق طائفة قال تعالى (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) .

(٣) وعمري .

ممن من فبادر الشيخ الى انكار ذلك بغلظة وقال هذا كله لا حقيقة له وليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له وكنت أصغر الحاضرين معاذ الله بل هذا صدق وحق لامرية[1] فيه لان اولياء الله تعالى اخبروا به وحاشاهم من الكذب وممن نقل ذلك الامام اليافعي وهو رجل جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة فزاد انكار الشيخ واغلاظه علي فلم يسعني الا السكوت فسكت واضمرت انه لا ينصرني الا شيخنا شيخ الاسلام والمسلمين وامام الفقهاء والعارفين ابو يحيى زكريا الانصاري وكان من عادتي ان اقود الشيخ محمد الجويني لانه كان ضريرا وأذهب أنا وهو الى شيخنا المذكور اعني شيخ الاسلام زكريا يسلم عليه فذهبت انا والشيخ محمد الجويني الى شيخ الاسلام فلما قربنا من محله قلت للشيخ الجويني لا بأس ان اذكره لشيخ الاسلام مسألة القطب ومن دونه وننظر ما عنده فيها فلما وصلنا اليه أقبل على الشيخ الجويني وبالغ في اكرامه وسؤال الدعاء منه ثم دعا لي بدعوات منها اللهم فقهه في الدين[3] وكان كثيرا ما يدعو لي بذلك فلما تم الشيخ واراد الجويني الانصراف قلت لشيخ الاسلام : يا سيدي القطب والاوتاد والنجباء والابدال وغيرهم ممن يذكره الصوفية : هل هم موجودون حقيقة ؟ فقال نعم والله يا ولدي) فقلت له يا سيدي : ان الشيخ وأشرت الى الشيخ الجويني ينكر ذلك ويبالغ في الرد على من ذكره . فقال شيخ

---

(١) أي لا شك ولا ريب فيه .

(٢) الشيخ زكريا الانصاري رضي الله عنه مشهور بفضله وعلمه وهو في مسجد الامام الشافعي رضي الله عنه على الدرج على شمال الداخل الى مقصورة الامام الشافعي فكنت أزوره وأقف بجانب ضريحه متوسلا ومبتهلا الى الله أثناء طلبي العلم في الجامع الأزهر الشريف .

(٣) وهذا يعتبر كرامة من الشيخ زكريا الانصاري حيث أطلعه الله على الحديث الذي دار بين السائل والمسؤول ودعاؤه هذا للسائل مقتبس من دعائه صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما (اللهم فقه في الدين وفهمه التأويل) وفعلا كان هو باب المدينة في العلم كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الاوتار عن سيدنا علي كرم الله وجهه (انا مدينة العلم وعلي بابها فمن أتى العلم فليأت الباب) رواه ابو الشيخ في السنة والطبراني والحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه غيرهم عن جابر .

الاسلام : هكذا يا شيخ محمد !! وكرر ذلك عليه حتى قال له الشيخ محمد يا مولانا شيخ الاسلام آمنت بذلك وصدقت به وقد ثبت فقال هذا هو الظن بك يا شيخ محمد ...) ثم قمنا ولم يعاتبني الجويني على ما صدر مني انتهى .

وفي كتاب الاجوبة المحققة عن الاسئلة المفرقة لشيخ مشايخنا اسماعيل العجلوني عن السيرة الحلبية وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه انه قال : قال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاث من كن فيه فهو من الابدال الذين بهم قوام الدنيا وأهلها (الرضاء[1] بالله ، والصبر[2] عن محارم الله ، والغضب[3] في ذات الله) .

آرح قلبك العاني وسلم له القضا تفز بالرضا فالأصل لا يتحـول
علامــة أهــل الله فينــا ثلاثــة أمان" وتسليم" وصبر مُجَمَّل'

وجاء في الحلية (حلية الاولياء) لابي نعيم : من قال كل يوم عشر مرات (اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم فرج الكرب عن أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد صلى الله عليه وسلم[4] كتب من الابدال انتهى .

وقال الشراملي المعروف فقها وعلما وتأليفا في مذهب امامنا الشافعي رضي الله عنه قال رحمه الله في حواشي المواهب معنى كونه من الابدال أنه مثلهم وصفا ومصاحبة بحيث تحشر معهم يوم القيامة لا ذاتا[5]

---

(١) الاكتفاء بالله عن جميع خلقه والاستغناء بالله عن جميع خلقه ومن الادعية الواردة في السنة (اللهم يا من يكتفي عن خلقه جميعا ولا يكتفي عنه أحد من خلقه ، يا أحد من لا أحد له انقطعت الآمال الا منك وخاب الرجاء الا فيك وانسدت الطرق الا اليك يا غياث المستغيثين أغثنا) تكرر (٧) مرات بعد تلاوة سورة القدر (٤١) مرة .

(٢) أن يغض الطرف عما حرم الله ولا يتعدى حدود الله .

(٣) ان يكون رضاه لله وفي الله وغضبه في الله ولله لا لغرض دنيوي ولا على شيء فاته من الدنيا .

(٤) معلوم لاخوتنا في الله أن من هذا الدعاء وردنا الصباحي والمسائي (اللهم أصلح أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اللهم فرج عن أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - اللهم ارحم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - اللهم اغفر لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم استر أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) تكرر ثلاث مرات فتقال ست مرات صباحا ومساء ولا مانع من الزيادة على ذلك .

(٥) يعني أن فلانا من الابدال ليس ذاتهم ولكنه يشابههم في أقوالهم وافعالهم .

فلا ينافي ان من قال ذلك يكون منهم وان فرض ان له اولادا كثيرين انتهى .

الباب الثالث

في الكلام على بعض أحوال القطب الغوث نفعنا الله تعالى به . تقدم ما يفيد ان مسكن القطب مكة واليمن والظاهر انه باعتبار بعض اوقاته او أغلبها يؤيد هذا ما نقله الامام العارف سيدي عبد الوهاب الشعراني عن شيخه العارف بالله ذي الامداد الرباني سيدي علي الخواص حيث قال في كتابه الجواهر والدرر قلت لشيخنا رضي الله عنه هل القطب الغوث مقيم بمكة دائما كما يقال ؟؟ فقال رضي الله عنه قلب القطب طوّاف بحضرة الحق تعالى لا يخرج من حضرته كما يطوف الناس بالبيت الحرام فهو يشهد الحق تعالى في كل جهة ومن كل جهة لا تحيز عنده للحق تعالى بوجه من الوجوه كما يستدير الناس حول الكعبة ولله تعالى المثل الاعلى اذ هو رضي الله تعالى عنه متلق عن الحق تعالى جميع ما يفيضه على الخلق من البلاء والامداد فرأسه دائما يكاد يتصدع من ثقل الواردات واما جسده فلا يختص بمكة ولا غيرها بل هو حيث شاء الله تعالى ، وسمعته يقول :

أكمل البلاد البلد الحرام وأكمل البيوت البيت الحرام وأكمل الخلق في كل عصر القطب فالبلد نظير جسده والبيت نظير قلبه ويتفرع الامداد عنه للخلق بحسب استعدادهم وانما كانت الامدادات اكثرها تنزل بمكة لقوله تعالى (يجبي اليه ثمرات كل شيء) لا سيما من أتاه محرما من بلاد بعيدة اذ الامدادات الالهية لا تنزل على عبد الا اذا تجرد من رؤية حسناته وصار فقيرا (انما الصدقات للفقراء والمساكين) ولذلك ورد ان (من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[1] فيولد هناك ولادة جديدة ، وربما كانت حسنات بعض الناس كالذنوب

(١) رواه احمد في مسنده متفق عليه والنسائي وابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه .

بالنظر الى ذلك المحل الاقدس فقلت له فهل يحيط أحد من الاولياء بأخلاق القطب رضي الله تعالى عنه ؟ فقال قل من الاولياء من يعرف القطب فضلا عن ان يحيط بأخلاقه بل قال بعضهم : ان القطب الغوث لا يرى الا بصورة استعداد الرائي انتهى) .

(وقال ايضا سألت شيخنا رضي الله تعالى عنه عن مدة القطب هل له مدة معينة ؟ اذا وليها ولي ؟ وهل يصح عزل القطب ام لا يعزل الا بالموت ؟؟ فقال رضي الله تعالى عنه (ذهب جماعة الى ان مدة القطب كغيرها من الولايات يقيم فيها صاحبها ما شاء الله تعالى ثم يعزل والذي أقول به وساعده الوجود ان القطبية ليس لها مدة معينة واذا وليهـا صاحبها لا يعزل الا بالموت لانه لا يصح في حقه خروج عن العدل حتى يعزل قال وايضاح ذلك ان الفروع تابعة للأصول وقد أقام صلى الله عليه وسلم في القطبية الكبرى مدة رسالته وهي ثلاث وعشرون سنة على الاصح واتفقوا على انه ليس بعده احد افضل من ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقد أقام في خلافته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين ونحو اربعة اشهر وهو اول اقطاب هذه الامة وكذلك مدة خلافة عمر وعثمان وعلي ومن بعدهم الى ظهور المهدي عليه السلام وهو آخر الاقطاب من الخلفاء المحمديين ثم ينزل بعده قطب وقته وخليفة الله تعالى في الارض عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فيقيم في الخلافة اربعين سنة كما ورد فعلم ان الحق عدم تقدير مدة القطبانية بمدة معينة وان كانت ثقيلة على صاحبها كالجبال فان الله تعالى يعينه عليها اذ لا ينزل البلاء من السماء والارض الا بقدر نزوله على القطب ولذلك كان من شأنه دائما تصدع الرأس حتى كأن احدا يضربه فيها يطير ليلا ونهارا) قال : وبلغنا عن الشيخ ابي النجا سالم المدفون بمدينة فوه انه اقام في القطبية اربعين يوما ثم مات وقيل انه أقام فيها عشرة ايام وبلغنا

مثل ذلك عن الشيخ أبي مَدْيَنَ المغربي فقلت لشيخنا فهل يشترط ان يكون القطب من اهل البيت كما قاله بعضهم ؟ فقال لا يشترط ذلك لانها طريق وهب يعطيها الله تعالى لمن شاء فتكون في الاشراف وغيرهم انتهى ·

فصل :

قد علمت مما ذكر ان القطب مختف عن اكثر الناس وانه لا يطلع عليه الا الافراد منهم وكأنه لعظم ما تحمله من الواردات وثقل أعبائها التي تعجز عنها المخلوقات وعظيم ما كساه الله من الهيبة والوقار لا تكاد تطيق رؤيته الأبصار وقد أفصح عن ذلك الامام الشعراني في كتابه المذكور حيث قال قال شيخنا رضي الله تعالى عنه واكثر الاولياء ولا يصح لهم الاجتماع به ولا يعرفونه فضلا عن غيرهم فان من شأنه الخفاء ولو انه ظهر لشخص لم يستطع ان يرفع رأسه في وجهه الا ان كان مؤهلا لذلك وقد أدخلوا شخصا على النبي صلى الله عليه وسلم فأرعد من هيبته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هون على نفسك او هون عليك فانما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد هذا حال من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه اكثر الخلق تواضعا والقطب بيقين نائبه في الارض (قلت) وقد حكى السيد الشريف الشيخ شرف الدين العالم الصالح بزاوية الخطاب بمصر المحروسة قال : حكى لي سيدي الشيخ عثمان الخطاب أنه لما حج مع شيخه العارف بالله تعالى سيدي الشيخ ابو بكر الدقدوسي رحمه الله تعالى سأله ان يجمعه بالقطب بمكة فقال يا عثمان لا تطيق رؤيته فقال لا بد واقسم على شيخه بين زمزم والمقام وقال لا تقم من هنا حتى يحضر فصارت رأس سيدي عثمان تثقل الى ان وصلت لحيته بين أفخاذه قهرا عليه فجاء القطب فجلس وصار يتحدث مع الشيخ ابي بكر زمانا ، ثم قال له القطب استوص بعثمان خير فانه ان عاش صار رجلا من رجال الله تعالى فلما أراد القطب

الانصراف قرأ الفاتحة وسورة لايلاف قريش الآيات ثم عاد وانصرف فلما شيعه الشيخ ابو بكر ورجع صار يكبس رقبه سيدي عثمان زمانا حتى استطاع ان يسمع كلامه وقال يا عثمان هذا حالك من سماع كلامه فكيف لو رأيت شخصه ومن ذلك الوقت ما كان سيدي عثمان ان يجتمع بشخص ويفارقه حتى يقرأ الفاتحة وسورة قريش تبركا بما سمعه من هدي القطب رضي الله تعالى عنه فاعلم ذلك انتهى كلام سيدي الشعراني .

وقال العلامة الشيخ محمد الشوبري في جواب سؤال ورد عليه في هذا الشأن قال الامام الشافعي نفعنا الله تعالى به في كتابه كفاية المعتقد في أثناء كلام نقله عن بعض العارفين وقد سترت احوال القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق تعالى عليه غير أنه يرى عالما كجاهل وأبله كفطين تاركا أخذا قريبا بعيدا سهلا عسرا آمنا حذرا وكشف احوال الاوتاد للخاصة وكشف احوال الابدال للخاصة والعارفين وسترت أحوال النجباء والنقباء عن العامة خاصة وكشف بعضهم لبعض وكشف حال الصالحين للعموم والخصوص (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) انتهى .

الباب الرابع

(في بيان ما ينزل على القطب وكيفية تصرفه فيما يرد عليه) قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في الجواهر والدرر قلت لشيخنا رضي الله عنه هل ينزل على القطب البلاء النازل على الخلق ثم ينتشر منه كما ينزل عليه النعم والامداد ام حكم الافاضة خاص بالنعم فقال رضي الله تعالى عنه : نعم ينزل عليه البلاء الخاص بأهل الارض كلهم ثم يفيض عنه فاذا نزل عليه بليته تلقاها بالخوف والقبول ثم ينتظر ما يظهره

الله تعالى في اللوح المحفوظ والاثبات الخصيصة بالاطلاق والسراح فان ظهر له المحو والتبديل نفذ قضاء الله تعالى وأمضاه بواسطة أهل التسليك[1] الذين هم سدنة[2] حضرته بحيث لا يشعرون الامر مفاضا عليهم منه رضي الله تعالى عنه[3] فان ظهر له الاثبات لذلك وعدم المحو دفعه الى أقرب عدد ونسبة منه وهما الامامان فيتحملانه ثم يدفعانه الى الى أقرب نسبة منهما وهم الاوتاد الاربعة وهكذا حتى يتنازل الى أهل دائرته جميعا فان لم يرتفع تفرّقته وغيرهم من العارفين الى آحاد عموم المؤمنين حتى يرفعه الله عز وجل بتحملهم وكثيرا ما يجد أحد في نفسه ضيقا وحرجا لا يعرف سببه وبعضهم يحصل له قلق يمنعه من النوم بالليل وبعضهم يحصل له غفلة وكثرة صمت حتى لا يستطيع النطق بحرف واحد وكل ذلك من البلاء الذي توزع عليهم ولو لم يحصل توزيع لتلاشي[4] من نزل عليهم البلاء في طرفة عين فلذلك قال الله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين)[5] .

الخاتمة

الخاتمة نسأل الله حسنها وحيث انجر بنا الكلام الى ما ذكرنا من أمر القطب أعاد الله علينا من بركاته ولحنا بلمحة من لمحاته وبيان شأنه العجيب وحاله الغريب الذي هو شيء خارج عن العادة وأمر خارق لا يظهر الا على يد من ايده الله تعالى وأراده فلنصرف عنان مطية البيان ونحل عقال راحلة البيان نحو الكلام على كرامات الاولياء وخوارق

---

(١) هم المرشدون العارفون بالله تعالى .

(٢) السدنة جمع سادن والسادن هو خادم الكعبة والجمع سدنة وهو من باب نصر وكتب والمراد من السدنة هنا لازمها وهو الخدمة لله والاعتماد على الله .

(٣) الضمير عائد على القطب .

(٤) تفرق تلاشت الهموم تفرقت .

(٥) الآية (٢٥١) البقرة .

العادات ونقدم بين يدي ذلك الكلام على الولي الذي تظهر على يديه فنقول(١) قال سيدنا الامام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري في الرسالة (فان قيل) فما معنى الولي ؟ قيل محتمل امرين أحدهما أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير وغيرهما ويكون معناه من توالت طاعته من غير تخلل معصية ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو الذي يتولى الحق سبحانه وتعالى حفظه وحراسته على الادامة والتوالي فلا يلحق به الخذلان الذي هو قدرة العصيان ويديم توفيقه الذي هو قدرة الطاعات قال الله تعالى (وهو يتولى الصالحين) انتهى ٠

وهو يفيد اشتراط كون الولي محفوظا كما يشترط في النبي ان يكون معصوما ولكن على معنى ان الله يحفظه من تماديه في الزلل والخطأ ان وقع فيهما بأن يلهمه التوبة فيتوب منهما والا فهما لا يقدحان في ولايته كما صرح(٢) به في الرسالة ٠ وفيها قيل للجنيد العارف يزني يا آبا القاسم أم لا ؟ فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال (وكان أمر الله قدرا مقدورا) وفيها(٣) أيضا (فان قيل) فما الغالب على الولي في أوان صحوه (قيل) صدقه في أداء حقوقه سبحانه ثم رفقه وشفقته على الخلق في جميع أحواله ثم انبساط رحمته لكافة الخلق ثم دوام تحمله عنهم بجميل الخلق وابتدائه لطلبه الاحسان من الله تعالى اليهم من غير التماس منهم ، وتعليق الهمة بنجاة الخلق وترك الانتقام منهم والتوقي عن استشعار حقد عليهم مع قصر اليد عن اموالهم وترك الطمع من كل وجه فيهم

---

(١) القول لا يزال لابن عابدين صاحب الحاشية والرسائل المعروفة ٠

(٢) الرسالة هي رسالة ابي القاسم القشيرية وتعرف عند القوم بالرسالة القشيرية ٠

(٣) اي في الرسالة القشيرية ٠

وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم ، والتصاون[١] عن شهود مساويهم[٢] ولا يكون خصما لاحد في الدنيا والآخرة انتهى .

(اذا علمت) ذلك فنقول الكرامة هي ظهور امر خارق للعادة على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي من الانبياء مقترنا بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح غير مقارن لدعوى النبوة وبهذا يمتاز عن المعجزة وبمقارنة صحيح الاعتقاد والعمل الصالح عن الاستدراج عن مؤكدات تكذيب الكذابين كما روي ان مسيلمة (بكسر اللام) دعا لاعور ان تصير عينه العوراء صحيحة فصارت عينه الصحيحة عوراء وبصق في بئر لتزداد حلاوة مائها فصار ملحا آجاجا ومسح على رأس يتيم فصار أقرع وهذا يسمى اهانة كما امتازت بكونها على يد ولي عما يسمى معونة وهي الخوارق الظاهرة على ايدي عوام المسلمين تخليصا من المحن والمكاره ، وبهذا ظهر ان الخوارق أربعة :

أ ـ معجزة .

ب ـ كرامة .

جـ ـ اهانة .

د ـ ومعونة .

وعليه اقتصر بعضهم وزاد بعض المتأخرين والارهاص[٣] كتسليم الحجر واظلال الغمام قبل البعثة على النبي عليه الصلاة والسلام ، والاستدراج[٤] وهي طبق دعواه بلا سبب كما وقع لفرعون السحر

---

(١) التصاون التغاضي والتباعد والاغضاء .

(٢) مساويهم عيوبهم قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه رحم الله امرءا أهدى الينا مساوينا اي عيوبنا وعلى كل فهي النقائص والمعايب .

(٣) وهي التأسيس وهي مقدمة للمعجزة وهو ما يكون قبل دعوى النبوة .

(٤) الاستدراج ما يظهر على يد ظاهر الفسق سنستدرجهم من حيث لا يعلمون .

والشعبذة وهو ما يكون بسبب كأكل الحيات وهي تلدغـه ولا يتأثر وبتكسير الزجاج بقدميه حافيتين فهو تنويم مغناطيسي لا كرامة منه لها ثم (اعلم) ان كل شيء خارق ظهر على يد أحد من العارفين فهو ذو جهتين جهة كرامة من حيث ظهوره على يد ذلك العارف وجهـة معجزة للرسول من حيث ان الذي ظهرت هذه الكرامة على يد واحد من أمته لانه لا يظهر بتلك الكرامة الآتي بها ولي الا وهو محق في ديانته وديانته : هي التصديق والاقرار برسالة ذلك الرسول مع الاطاعة لأوامره ونواهيه حتى لو ادعى هذا الولي الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليا ولم يظهر ذلك على يده فالخارق بالنسبة الى النبي لا يكون الا معجزة سواء أظهر من قبله فقط أم من قبل آحاد أمته وبالنسبة الى الولي لا يكون الا كرامة لخلوه عن دعوى من ظهر على يده على النبوة فالنبي لا بد من علمه بكونه نبيا ومن قصده اظهار خوارق العادات ومن حكمة قطعا بموجب المعجزات بخلاف الولي قاله بعض المحققين) وقد اشار الى ذلك ايضا الامام القشيري في رسالته · ثم قال : وهذا ابو يزيد البسطامي سئل عن هذه المسألة فقال مثل ما حصل للانبياء عليهم الصلاة والسلام كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة فتلك القطرة مثل ما لجميع الاولياء وما في الظرف مثل ما لنبينا عليه عليه الصلاة والسلام انتهى ·

وفيما مرّ اشارة الى جواز كون الكرامة من جنس ما وقع معجزة للأنبياء كانفلاق البحر وانقلاب العصا حيّة ، وإحياء الموتى خلافاً لمن منع كونها من جنس ذلك زعماً منهم أنها لا تمتاز عن المعجزة الا بذلك · وفي 'عمدة المريد للبرهان اللقاني قال السعد نقلا عن الامام في رد هذه المقالات وهذه الطرق غير سديدة والمرْضيُّ عندنا تجويز جميع خوارق العادات في معرض الكرامات ، وانما تمتاز عن المعجزات بخلوّها عند دعوى النبوّة حتى ولو ادعى الوليُّ النبوة صار عدوّ الله تعالى لا يستحق الكرامة

بل اللعنة[١] والاهانة انتهى ٠ ثم نقل فيها مثله عن الامام النووي رضي الله عنه حيث جعل ما قاله البعض غلطا وانكارا للحس وان الصواب جريانها بقلب الاعيان ونحوه قلت ومشى عليه الامام النسفي ونظمه شارح الوهبانية فقال :

واثباتهـا[٢] في كل مـا كان خارقـا

عن النّسفي النجم[٣] يـُرَوى ويـُنـْصَـرُ

فاعلم ذلك[٤] : قال في الرسالة : واعلم انـه ليس للولي مساكنـه (اي سكون)[٥] الى الكرامـة التي تظهر عليه ولا لـه ملاحظة وربما يكون لهم في ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم أن ذلك فعل الله تعالى فيستدلون بذلك على صحة ما هم عليه من العقائد وبالجملة فالقول بجواز ظهورها على الاولياء واجب وعليه جمهور اهل المعرفة ولكثرة ما تواتر بأجناسها الاخبار والحكايات صار العلم بكونها وظهورها على الاولياء في الجملة علما قويا انتفى عنه الشكوك ومن توسط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم واخبارهم لم يبق له شبهة في ذلك على الجملة ٠

---

(١) وهذا كحال المتلبسين بالاسلام اليوم والمتلبسين بمقام الارشاد والمعرفة الذين يدعون دعاوى باطلة فمنهم من يدعي نزول الوحي عليه ومنهم من يدعي العلم بالغيب ومنهم من يتلبس بالمهدي ويدعي أنه هو المهدي ومنهم من يخرج للحج زاعما انه سيلتقي بالمهدي حول الحرم واننا نبرأ الله من كل مستكبر مُدّعٍ كذاب ٠ فليحذر اغرار العامة وبعض وجوه الخاصة من تلبيس ابليس ٠

(٢) أي الكرامة الصادرة عن الولي ٠

(٣) الشمس يجوز فيه مالا يجوز في غيره ٠

(٤) يعني لا حقة ومكملة لما قبلها ٠

(٥) يعني ان الاولياء العارفين لا يرضون بالكرامة ولا يطمئنون اليها ٠

ومن دلائل هذه الجملة نص القرآن في قصة صاحب سليمان عليه الصلاة والسلام حيث قال (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك)[1] ولم يكن نبيا والاثر عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه صحيح أنه قال : (يا سارية الجبل الجبل) في حال خطبته في يوم الجمعة وتبليغ صوت عمر رضي الله عنه الى سارية في ذلك الوقت حتى تحرز[2] من مكامن العدو من الجبل في تلك الساعة ثم قال بعد كلام ذكره ومما شهد من القرآن على اظهار الكرامات على الاولياء قوله تعالى (في قصة مريم ولم تكن نبيا ولا رسولا[3] (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا)[4] وكان يقول[5] أنى[6] لك هذا ؟؟ فتقول مريم هو من عند الله) وقوله سبحانه لمريم (وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا)[7] وكان في غير أوان الرطب وكذلك قصة أصحاب الكهف[8] . والاعاجيب التي ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم وغير ذلك ، ومن قصة ذي القرنين وتمكينه سبحانه له مما لم يكن لغيره ، ومن ذلك ما ظهر على يد الخضر عليه السلام من اقامة الجدار وغيره من الاعاجيب وما كان يعرفه مما خفي على موسى عليه الصلاة والسلام . كل ذلك أمور ناقضة للعادة اختص الخضر[9] بها ولم يكن نبيا بل كان وليا ثم نقل من الآثار والاخبار والحكايات العجيبة عن الاخيار من الصحابة والتابعين والائمة المعتبرين واطال في ذلك جدا ، مما لا يستطيع له المنكر ردا ،

---

(١) الآية (٤٠) من سورة النمل .

(٢) أي تحصّن .

(٣) قال في بدء الامالي : وما كانت نبيا قط أنثى .

(٤) الآية (٣٧) من سورة آل عمران .

(٥) أي زكريا .

(٦) من أين لك هذا وكيف وصل اليها في غير أوانه .

(٧) مثمرة ناضجة والجني بفتح الجيم والنون من يجتني من الشجر يقال أتانا بجناه بفتح الجيم طيبة ورطب جني حين جني والجذع بكسر الجيم وتسكين الذال . الآية (٢٥) من سورة مريم .

(٨) ارجع الى سورة الكهف وانظر في تفسيرها تر أمرا عجبا .

(٩) اختلف فيه هل هو نبي او ولي والله اعلم بحقيقته والجمهور على انه نبي . ويجوز كسر الخاء وفتحها الخِضر الخَضر .

ولو التزمنا[1] ذكر ذلك لخرجنا عن المقصود فسبحان الملك المعبود الذي تفرد في الوجود بافاضة الخير والجود ، يمنح من فضله ما يشاء ويختص برحمته من يشاء نسأله سبحانه ان يميتنا على حبهم ، وان يسقينا من رحيقهم[2] وشربهم ، وان يحيد[3] علينا من بركاتهم الظاهرة ، وينفعنا بأنفاسهم الطاهرة ، ويلبسنا من حللهم الفاخرة ، ويجعلنا من اشياعهم في الدنيا والآخرة انه اكرم الاكرمين وأرحم الراحمين . وصلى الله على سيدنا وسندنا محمد خير المقربين وعلى آله وأصحابه واتباعه واحزابه الى يوم الدين نجز تحرير هذه المقالة في نهار الاربعاء الثامن من شوال سنة ١٢٢٤[4] .

قال سيدي المؤلف رحمه الله تعالى وقد يسر المولى ختم تهذيب هذه المقالة وتذهيب دملج[5] هذه العجالة بتوسلات ألهمت لهذا العبد الضعيف بهؤلاء القوم ذوي المقام المنيف راجيا من الله تعالى القبول بحرمة نبيه النبيه الرسول وأتباعه ذوي القرب والوصول ، عوالي الفروع ثوابت الاصول فقلت وعلى الله اتكلت :

توسل الى الله الجليل بأقطاب
وقف طارقا باب الفتوح على الباب

(١) هذه هي فذلكه (أي نتيجة) وزبدة القول فيما جاء في الاقطاب والابدال والافراد والنقباء الخ والاولياء وما جاء في كراماتهم مما لا ينكره الا أعشى البصر وأعمى البصيرة (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) .

(٢) الرحيق (يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك) الرحيق هو صفوة الخمر او خلاصة كل شراب بعكس شراب الدنيا فان آخر الكاس عادة لا بد وان تكون فيه حثالة الشراب .

(٣) الاولى أن يعود .

(٤) يلزمه على هذا ان ابن عابدين رحمه الله من المتاخرين تاريخا فقد مضى على تأليف هذه الرسالة نحو مائة واحدى وسبعين سنة ١٧١ وتاليف رسائله سنة ١٢٣٧ هـ .

(٥) (الدملج) والدملوج بضم الدال واللام فيهما المقصد والمراد به هنا محاسن الرسالة وترتيبها وتنميقها .

وبالسادة الابدال دوما ذوي التقى
وبالسادة الاوتاد ثـم بانجـاب

كذلـك بالاخيـار والنقبا تفـز
بخير على قطر السما والحصا رابي

فهـم عـدة للناس مـن كل نازل
بهم يتقى من كل ضير[1] وأوصاب[2]

أولئك أقوام رقوا[3] ذروة العـلا
وحلّوا[4] مقاما ليس يدنى بأطناب[5]

وراضوا بما أرضوا نفوسا وما رضوا
لهـا غير ذلـك وانكسار باعتـاب

ففازوا بعز لا ينـال لغيرهـم
بخدمـة مولى ليس عنـه بغيـاب

فكن راقيـا في حبهـم صهوة وكن
لحوْد[6] هداهـم خير سـاع وخطاب

وكن دائمـا مستمسكا لائذا بهـم
ودع قـول أفاك جهـول ومرتـاب

---

(١) ضير الضير بتشديد الضاد وسكون الياء الضرر قال في واللغة (ضاره) ضيرا من باب باع تقول هذا الشيء لا يضيرني أي لا يضرني ·

(٢) الاوصاب جمع وصب بفتح الثلاثة المرض وقد وصب بكسر الصاد يوصب بفتحها بوزن أعلم يعلم فهو وصب بكسر الصاد وأوصبه الله فهو موصب ، ووصب الشيء يصب بالكسر وصابا دام ودبه قوله تعالى (وله الدين واصبا) أي دائما ·

(٣) ذروة بكسر الذال وضمها ذروة الشيء أعلاه وأعاليه ·

(٤) (وحلوا) نزلوا حل بالمكان نزل فيه من باب رد ·

(٥) جمع طنب على وزن فعل حبل الخباء ·

(٦) (الحود) أي الطريق أو منهج · أي لا تدل عن حماهم ولا عن منهجهم ·

وقل سيدي يا من له الامر كله
ومنه يفاض الخير من غير تطلاب(١)

سألتك(٢) بالمختار سيدهم ومن
علا كل عبد ناسك(٣) لك أواب(٤)

محمد المبعوث من خير عنصر(٥)
وأشرف آباء وأطهر أصلاب(٦)

بأكرم آل طاهرين من الردى(٧)
وأرفع أتباع وأشرف أصحاب

بصديقه خير الائمة بعده
كذا عمر الفاروق ذاك ابن خطاب

بعثمان ذي النورين(٨) جامع(٩) ذكره
بحيدرة(١٠) الضرغام(١١) أشجع غلاب

---

(١) تطلاب هو التطلب مرة بعد اخرى ويقال اطلبه بتشديد الطاء .

(٢) ان ابن عابدين رحمه الله يتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم ردا على الوهابية ومن سار في ركابهم وشرب من يحمومهم المزكوم وهذا هو ابن عابدين حجة الاسلام على المتأخرين والمتقدمين وفي صدر البيت نفسه رد عليهم قولهم المموه الباطل بأنه لا سيادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث الشريف في صحيح مسلم (أنا سيد الناس يوم القيامة) راجع (كتاب زاد المسلم) فيما اتفق عليه البخاري ومسلم وحديث أنا سيد ولد آدم ولافخر .

(٣) الناسك هو العابد والنسك العبادة والمصدر نسكا بضم النون وتسكين السين ونسك من باب ظرف وتنسك تعبد .

(٤) أواب بفتح الواو وشدها رجاع ومنه يتوب ويؤوب ان ابراهيم لحليم أواه منيب (٧٥) هود .

(٥) العنصر هو الاصل .

(٦) الصلب الظهر والنسل .

(٧) طاهرين من الدنس والرجس والباطل .

(٨) ذي النورين لقب سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لزواجه بكريمتي المصطفى صلى الله عليه وسلم

(٩) المراد من الذكر هنا القرآن الذي جمعه سيدنا عثمان رضي الله عنه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

(١٠) حيدرة اشارة الى سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

(١١) الضرغام اسم من اسماء الاسد شبه سيدنا علي بالاسد بجامع الشجاعة في كل واستعير لفظ الضرغام للشجاعة على سبيل الاستعارة التصريحية والعلاقة بينهما الشجاعة في كل منهما .

وبالقرني[1] المحجوب عن أهل عصره
أويس امام الفضل من غير حجّاب

بأهل اجتهاد[2] في القضايا ومن غدا
لهم تابعا للفضل والعلم طلّاب

بقطب رحى[3] هذا الزمان وحزبه
أئمة هذا الكون منحة تواب

أغثني أغثني يا مجيب ونجني
بهم من همومي ثم ضيقي وأتعابي

وكن راحما ضعفي وغافر زلتي
وذنبي الذي أعيا الاساة[4] وأودى[5] بي

وكن مشفعا لي يوم ليس بنافع
سوى العفو من مال[6] وخل وأتراب[7]

ويمم[12] مدى الازمان بي منهج التقى
بتسيير ألطاف وتيسير أسباب

---

(١) اشارة الى سيدنا أويس القرني .

(٢) اشارة الى الائمة الاربعة المجتهدين رضى الله عنهم وجعلنا من متبعيهم .

(٣) رحى طاحونة وفي تشبيه القطب بالرحى اشارة الى أن مدار الكون عليه بعد الله تعالى .

(٤) الاسا كقضاه جمع آس والآسي هو الطبيب .

(٥) أودى به أثقله وأتعبه .

(٦) (الخل) بكسر الخاء هو الصديق وفي الحديث الشريف (المرء على دين خليله فليحذر احدكم من يخالل) وجاء شعرا :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي
واذا صاحبت قوما فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

وقال :

واذا صاحبت فاصحب صاحبا ... ذا حياء وعفاف وكرم
قائلا للشيء لا ان قلت لا ... واذا قلت نعم قال نعم

(٧) أتراب جمع ترب بكسر التاء وهي اللدة وهي المعادلة لها في السن .

(٨) يمم قصد .

وحقق رجائي منك واستر تفضلا
ذنوبي مــن العفو الجميل بأثــواب

كذلـك أشياخي وصحبــي ووالدي
جميعا وأنصاري جميعـا وأحبابي

وصل وسلم يـــا الهي مباركـــا
على المصطفى خير الورى من أحقابي

وآل وأصحـاب وحزب بــه اقتدوا
فهـم خير أصحاب وآل وأحـزاب

الى هنا انتهى ما جاء في حق السادة الصوفية وما ذكره حجة الاسلام في وسائله محمد امين عابدين رحمه الله وجزاه الله خيرا ٠

وابن عابدين هذا هو شيخ الطريقة والحقيقة وهو العارف بالله فمن له أدنى اعتراض عليه فليتفضل بالاجابة وليرجع الى رسائله ليتحقق من ذلك كله في رسالته (اجابة الغوث) ٠

مـن هنـا نبـدأ

في

« شرح ورد الدرة »

قوله رحمه الله • بسم الله وبالله ومن الله والى الله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)[1] •

الشرح : أبتدىء وردنا هذا متيمنا بالله ومعتصما ومعتزا بالله تعالى لان كل امر في الخليقة لا يقع الا بأمره وسابق علمه اذ لا يتم شيء ولا يكمل الا باذنه وارادته فالرضا من العبد بما يقع في الكون دليل على صدق نيته وكمال ايمانه •

ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)[2] •

الشرح : يخبرنا المولى سبحانه وتعالى بعظيم قدر رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم عنده وعلو منزلته ومرتبته فصدر الآية يدل على أنها خبرية لفظاً انشائية معنى ولذا فقد قال سبحانه آمرا عباده بقوله

---

(١) ابتدأ رضي الله عنه ورد الدرة بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم) فهو أجذم او ابتر أو أقطع ومعنى ذلك أن كل أمر هام وصاحب أهمية وحال لا يبدأ فيه بالبسملة فهو ناقص وقليل النفع والخير وكل كتاب من كتب المؤلفين الغير المبدوءة بالبسملة ناقصة النفع والفائدة وان تمت حسا لا تتم معنى • فقوله (بسم الله) اي ابتداء وردي مستعينا بالله والمراد من الاسم المسمى فالاستعانة بالله دائما (وبالله) : اعتز واعتصم بالله ومن الله اي كل ما نعتزم عمله فلا يتم ولا يقضى الا بالله لأنه الواحد الاحد الفرد المصمود اليه بالحوائج وقوله (ومن الله) الرضا بالقضاء والقدر خيره وشره ومن الله تعالى ولا يقع في ملكه الا ما يريده ومن رضي بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى فقد استكمل الايمان وأمن من الكفر • ومع هذا فوقوع الشر بسبب كسب الانسان •

(٢) الاحزاب آية ٥٦ •

(يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ومعنى ذلك انه اذا ثبت ان الله وملائكته يصلون على النبي فالصلاة منكم مطلوبة بالأولى ٠

امر الله سبحانه وتعالى عباده بالصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وخصه بالذكر دون سائر انبيائه تشريفا له وتكريما واتفق جمهور العلماء على أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة ٠

واما الصلاة عليه في كل حين فهي مـــن الواجبـات وجوب السنن المؤكدة (١) التي لا يجوز تركها ولا يغفلها الا من لا خير فيه وهنا يرد علينا سؤال من الآخرين :

هل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة ام مندوبة (اي مندوب اليها) ؟ الجواب هي واجبة كلما جرى ذكره وكلما ذكر في مجلس من مجالس الخير وفي الحديث المروي الذي جاء فيه جبريل عليه السلام الى رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يصعد المنبر (من ذكرت عنده فلم يصل علي فأبعده الله)(٢) ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره ٠ يروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله أرأيت قول الله عز وجل (٣) ؟ : (ان الله وملائكته يصلون على النبي) فقال صلى الله عليه وسلم : هذا من العلم المكنون ولولا انكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به : ان الله تعالى وكل بي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين (آمين)(٤) وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره والذي

---

(١) فلو ترك سنة مؤكدة أكد الشارع في طلبها قضاها في وقت آخر لسنة الفجر ومستحبة (اي سنة الضحى) ٠
(٢) فذلكم هو البخيل ٠
(٣) اخبرنا عن قول الله عز وجل ٠
(٤) آمين في الدعاء يمد ويقصر ونونه مفتوحة على كل حال وقيل هو اسم من أسمائه تعالى ومعناه اللهم استجب ٠

يقتضيه الحال والمقام والاحتياط : الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار الكثيرة في ذلك وأما صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم : فروى مالك عن أبي مسعود الانصاري قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله ، فكيف نصلي عليك ؟ قال فسكت رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى تمنينا انه لم يسأله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قولوا (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم رواه أئمة الحديث في الكتب المعتبرة الصحيحة علمهم كيف يصلون عليه وعلمهم في التحيات كيف السلام عليه وهو قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته) وقال سهل بن عبد الله : الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم أفضل العبادات ، لان الله تعالى تولاها هو وملائكته ثم أمر بها المؤمنين واما سائر العبادات فليست كذلك مع العلم بانه ورد حث قوي على سائر العبادات وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام انه قال (من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا وقال ابو سليمان الداراني : (من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : ثم يسأل الله حاجته ، ثم يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فان الله يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يرد بينهما وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما انه قال : (الدعاء يحجب دون السماء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم : فاذا جاءت الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام [1] رفع الدعاء .

---

(١) اي قبل وقبله الله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) اي يقبله .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يصلون عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب واختلف العلماء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد في الصلاة : فالذي عليه الجمّ الغفير من الناس والجمهور الكثير ان ذلك من سنن الصلاة ومستحباتها وقال ابن المنذر يستحب الا يصلي أحد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لو ترك ذلك تارك فصلاته مجزية [1] في مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري وغيرهم من أهل الكوفة من ذوي الرأي ولكن الامام وسفيان فالاهم انها مستحبة في التشهد الاخير لكنه لو تركها فهو مسيء •

وأما امامنا الشافعي رضي الله عنه فقد اوجب على تاركها في الصلاة الاعادة للاتيان بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وقال الامام الشافعي نصاً (اذا لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاخير بعد التشهد وقبل التسليم أعاد الصلاة ، وقال ابن عمر[2] كان ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب[3] •

قال الطحاوي : الصلاة واجبة كلما ذكر عليه الصلاة والسلام لقوله صلى الله عليه وسلم (رغم[4] أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي) ولقوله صلى الله عليه وسلم (البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي)[5]

---

(١) صحيحة وكافية •

(٢) هو عبد الله بن عمر ومتى قيل عبد الله مطلقا انصرف اليه بكنيته وهو من العبادلة الاربعة •

(٣) محل يجتمع فيه الصبية للتعلم •

(٤) الرغام بالفتح التراب وارغم الله أنفه الصقه بالرغام وهو التراب وهذا كناية عن دعاء بالاذلال والفقر لمن ذكر عنده رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصل عليه وهذا الحديث رواه الترمذي •

(٥) رواه الترمذي أيضا •

فها أنت ذا ترى في هذه الاحاديث أن بعضها يفيد الوجوب وبعضها فيه وعيد أو ذم وهما يفيدان الوجوب أيضا ·

هنا يرد علينا سؤال لم خص النبي عليه الصلاة والسلام حينما سئل عن كيفية الصلاة عليه (سيدنا ابراهيم الخليل) من بين الانبياء ·

الجواب لانه أرسل السلام لامة محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء دون غيره من الانبياء ولانه دعا ربه بقوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) ولأنه سمانا[1] المسلمين وسماه الله أبا[2] للمسلمين ·

روى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (اذا أراد أحدكم ان يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل[3] فانه أجدر ان ينجح أي يقضي حاجته ·

وفي حديث آخر (كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة علي صعد الدعاء) فآخر الدعاء من مواطن الصلاة أيضا ومن المواطن التي يؤكد فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وسماع اسمه وعند كتابته على ورق وعند الآذان والاقامة ويوم الجمعة ودخول المسجد والخروج منه وعندصلاة الجنازة وابتداء الكتب والرسائل بعد البسملة والحمد له لا قبلهما وكذا عند ختم الكتب والفراغ من تأليفها او دراستها وليلة الجمعة · وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) والمراد هنا اللقب الذي اشتهر بمدح هذه الامة ·

(٢) والمراد هنا الكنية وهي ما صدرت باب أو أم أو اخ الخ ·

(٣) اللام هنا مكسورة وهي للامر وهو الطلب ·

قال (أكثروا علي من الصلاة في الليلة الزهراء[1] واليوم الأزهر[2] فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا وينبغي للمصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي على طريق الاحتساب وطلب الثواب وعليه ان يختار من صيغ الصلاة ما كان أتم وأعم لاهل بيته وفي الحديث (من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل[3] منه .

وذكر القاضي عياض في الشفاء ما نصه (ومن الصلاة الاتم والاعم ما روى عن الحسن البصري أنه كان يقول (من أراد ان يشرب الكأس الاوفى من حوض المصطفى فليقل (اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه واولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه[4] ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين) . وقال الامام الحليمي من المتقدمين وصاحبه البهقي وناهيك بها امامة وجلالة وتبعهما امام المتأخرين محرر المذهب ابو زكريا النووي رحمه الله في روضته ومنهاجه ومما قالوا (اننا اذا قلنا اللهم صل على محمد فانما نريد اللهم عظّم محمدا في الدنيا باعلاء ذكره واظهاره دينه وابقاء شريعته وفي الآخرة بتشفيعه في أمته واجزال أجره ومثوبته وابداء فضله للاولين والآخرين بالمقام المحمود وتقديمه على كافة المقربين الشهود .

---

(١) النيرة المشرقة البيضاء .

(٢) الازهر النير ويسمى القمر والازهران الشمس والقمر والتعبير بهذين اللفظين كناية عن المدح في ليلة الجمعة المضيئة المشرقة البيضاء وعن يوم الجمعة المشرق المضيء الابيض .

(٣) اي لم يقبل فيه قبولا كاملا .

(٤) الاشياع الامثال والتابعين له والسائرين على منته .

قالوا وهذه الامور وان كان الله تعالى قد اوجبها للنبي صلى الله عليه وسلم وان كل شيء منها درجات ومراتب فقد يجوز اذا صلى عليه واحد من أمته فاستجيب دعاؤه فيه أن يزاد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الدعاء في كل شيء مما سميناه مرتبة ودرجة رفيعة ولهذا كانت الصلاة من يقصد بها من قضاء حقه ، ويتقرب بأدائها الى الله تعالى ، ويدل على ان قولنا (اللهم صل على محمد صلاة منا عليه) انا لا املك ايصال ما يعظم به أمره ويعلو به قدره اليه وانما ذلك بيد الله تعالى فصح ان صلاتنا عليه الدعاء له بذلك وابتغاؤه من الله جل ثناؤه أهـ ٠

قوله تعالى (وسلموا تسليما) نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم آمروا أن يسلموا عليه عند حضورهم قبره وعند ذكره ٠

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهي فقلت (انا لنرى البشرى في وجهك ! فقال : « انه أتاني الملك فقال : يا محمد ان ربك يقول أما يرضيك انه لا يصلي عليك احد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا »[1] ٠

وعن محمد بن عبد الرحمن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما منكم من احد يسلم علي اذا مت إلا جاءني سلامه مع جبريل يقول يا محمد هذا فلان بن فلان يقرأ عليك السلام » فأقول وعليه السلام ورحمة الله وبركاته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من أمتي السلام ٠

قال الامام القشيري والتسليم هو قولك (سلام عليك) ٠

---

(١) الحديث رواه النسائي عن عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم)الحديث٠

وعبارة البيهقي في تفسيره السلام عليك أيها النبي ويحتمل أن يكون بمعنى السلامة أي ليكن قضى الله عليك السلام والسلامة والمقام والمقامة اي سلمك الله من المذام والنقائص ·

فاذا قلت اللهم سلم على محمد انما تريد اللهم اكتب لمحمد في دعوته وأمته وذكره السلامة من كل نقص فتزداد دعوته على ممر الايام علواً تكاثراً وذكره ارتفاعاً أه بيهقي فتأمله تجده صريحا فيما أفاد كلام شيخه الحكيمي مما مرت الاشارة اليه ·

واذا صرح هذان الامثلان بذلك وتبعهما النووي فأي شبهة بقيت في هذا المحل يتشبث[1] بها المنكرون كأنك لم تر ولم تسمع ايها المنكر ولم تستحضر ما يقوله الحاج كل سنة عند رؤية الكعبة (البيت الحرام) (اللهم زد هذا البيت تشريفا وتكريما وزد من شرفه ففيه الدعاء للكعبة المعظمة بزيادة التشريف والتكريم وهي قبل دعائك لا نقص فيها ثم قال العلماء المذكورون رضي الله عنهم وكذلك الدعاء بالزيادة في شرف النبي صلى الله عليه وسلم على ان هذا الوارد يشمله ثم قال ويدل لذلك ايضا الحديث المشهور عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلث الليل قام فقال : يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، قال أبي فقلت يا رسول الله اني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي فقال ما شئت : قلت الربع ، قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالنصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير لك[2] قلت أجعل لك صلاتي كلها ، قال إذاً تكفي همك ويغفر لك ذنبك[3] وفي رواية اذا ذهب ربع الليل وفي

(١) يتمسك ويتعلق به ·
(٢) انظر الى فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهميتها ·
(٣) حسنه الترمذي وصححه الحاكم في موضعين من مستدركه ·

أخرى قال رجل يا رسول الله : (أرأيت ان جعلت صلاتي كلها عليك : قال اذا يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك .

قال شيخ الاسلام الحافظ بن حجر كما نقله عنه تلميذه الحافظ السخاوي واستحسنه : وهذا الحديث اصل عظيم لمن يدعو عقب قراءته فيقول اللهم اجعل ذلك لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمن من يقول مثل ثواب ذلك زيادة في شرفه صلى الله عليه وسلم مع العلم بكماله في الشرف فلعله لحظ ان معنى طلب الزيادة في شرفه ان يتقبل الله قراءته فيثبته عليها واذا أثبت أحد من الأمة على فعل طاعة من الطاعات كان للذي علمه مثل أجره ، وللمعلم الاول وهو الشارع صلى الله عليه وسلم نظير جميع ذلك فهذا معنى الزيادة في شرفه صلى الله عليه وسلم وان كان شرفه مستقرا حاصلا وقد ورد هذا القول عند مشاهدة الكعبة (اللهم زد هذا البيت تشريفا وتكريما وإجلالا وتعظيما) .

قوله (اللهم صل بحقيقة صلواتك المقرونة بالتعظيم)[1] .

الشرح : قوله (وأنعم بأجزل[2] تسليما لك المصحوبة بالتكريم) .

هذا دعاء من سيدي الشيخ رحمه الله : يطلب فيه من ربه ان ينعم على رسوله برفعة الدرجات وعلو الشرف المصحوبة بتكريمه له سبحانه وتعالى ولامته .

قوله (على اول من برز للوجود من انوارك الذاتية) .

الشرح : عبر عنه باول ولم يظهر ولم يقل (على محمد مثلا) للعلم به ولتفخيمه وإجلالـه وأنـه أول مخلوق برز للوجود بنوره وجاء في

---

(١) هذا هو عين ما ورد ذكره في الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه هي حقيقة الصلوات على رسول الله المقرونة بالتعظيم زيادة وتشريفا وتكريما لشرفه .

(٢) اي اعظم واكثر .

الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي المكي علامة زمانه وفريد دهره ووحيد أوانه صاحب الزواجر المشهورة ما نصه (آخرج عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما قال قلت يا رسول الله : بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الاشياء !؟ قال : يا جابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا انس ولا جن فلما اراد الله سبحانه وتعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد (لا اله الا الله محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم (١) ٠

قال رحمه الله (وآخر خليفة لحضرتك السبوحية(٢)) يعني أن آدم عليه السلام هو الخليفة الاول خلقاً وايجاداً (اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة)(٣) ٠

---

(١) تأمل الحديث تجده ظاهرا وصريحا في خلق حملة العرش قبل خلق بقية الملائكة من صفحة (٤٤) من الفتاوي الحديثة وتجد نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سابقا على خلق الاشياء كلها ٠

(٢) التسبيح معناه التقديس والتنزيه يقال : سبحت الله أي نزهته عما يقول الجاحدون والتسبيح يطلق على الصلاة ايضا يقال هو يسبح أي يصلي السبحة فريضة كانت او نافلة ، ويسبح على راحلته أي يصلي النافلة ومنه سبحة الضحى أي صلاة الضحى ومنه (فلولا أنه كان من المسبحين) أي المصلين : وسميت الصلاة ذكرا لاشتمالها عليه ومنه (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) : أي اذكروا الله وسبحان ربي العظيم أي الحمد لله ٠ وسبوح قدوس بضم اولهما أي منزه سبحانه عن كل شيء وعيب والسبوحية هنا نسبة الى الحضرة الالهية ٠

(٣) آية ٣٠ من سورة البقرة ٠

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خليفة الله ايضا في أرضه يبلغ الناس أحكامه وأوامره ونواهيه ·

ومعنى ذلك اللهم صل بحقيقة صلواتك المقرونة بالتعظيم وانعم بتسليماتك الجزيلة الكثيرة المصحوبة بالتكريم على سيدنا محمد اول مخلوق برز من نورك للوجود وسطع فجره من انوارك الذاتية من أنوارك أنت لا غيرك وصل وسلم على آخر خليفة بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة فلا ينافي ان هناك رسلا بينه وبين آدم مبشرين ومنذرين ثم قال رضي الله عنه (مظهرك الذي تفجرت منه ينابيع الحقائق والحكم) ·

ان هذا الرسول العظيم هو مظهر مشيئتك وقدرتك وارادتك هذا المظهر الذي تفجرت وظهرت منه ينابيع الحقائق العلمية والدينية والحكم الالهية حتى قال رحمه الله :

(فكان سبباً لكشف بصائر[1] السائرين عن مخبآت القدم) ·

يعني أن هذا الرسول العظيم لما اتبعه المؤمنون المخلصون وساروا على شريعته واستمسكوا بطريقته كان سببا مباشرا في نجاحهم وفوزهم وسعادتهم الدنيوية والاخروية وكان ارشاد هذا الرسول صلى الله عليه وسلم سببا لانكشاف قلوبهم ورفع الحجب عنها حتى صار اتباعه ومتبعوه ومحبوه السائرون على نهجه من أهل الكشف والبصيرة والحجة واقناع غيرهم بما جرى به القلم من قبل الله وما هو مكتوب ومستور عن ابصارهم وبصائرهم ·

---

(١) البصائر جمع بصيرة ويعبر عنها بالقلب (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (٤٦) الحج · ويقال هو ذو بصيرة وبصر أي صاحب علم وخبرة · والبصر حاسة الرؤية وتطلق على الحجة بضم الحاء وقوله تعالى (بل الانسان على نفسه بصيرة) جعله هو البصيرة كما تقول للرجل أنت حجة على نفسك ، وتطلق البصيرة على قوة الادراك والفطنة وتطلق على العقيدة وعلى معان كثيرة ·

ثم قال رضي الله عنه (كيف لا وهو الجوهرة المنطوية على كنوز الدقائق اللاهوتية ٠

المعنى : هذا[1] القول فيه تشبيه[2] بليغ حيث جعل نفس الرسول صلى الله عليه وسلم هو الجوهرة الخالصة وجوهر كل شيء ما خلقت عليه جبلته أي خلقته وجوهر كل شيء خلاصته وزبدته ٠

كأن شيخنا رحمه الله يقول كيف لا يكون سيدنا رسول الله سببا للكشف او في كشف قلوب العارفين السائرين في طريق الحق وازاحة وازالة الحُجب عن تلكم القلوب الصادقة المخلصة وفي الحديث القدسي (لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها) الحديث ٠

وكيف لا يكون ذلك حقيقة مع العلم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو زبدة وخلاصة هذا الكون وخلاصة هذا العالم وجوهرة تلكم الجوهرة التي جعل الله فيها علوم الاولين والآخرين وهو محبوب الله عز وجل عظيم القدر عنده وقد صلى عليه هو وملائكته فوجبت محبة المحبوب الكنز الذي لا يجارى ولا يبارى محمد عليه الصلاة والسلام ٠

قال رضي الله عنــه (والدرة[3] التي عجز عــن ادراك عنصر[4] معدنها[5] العوالم الملكية والملكوتية) ٠

---

(١) فيه استفهام تقريري ٠ يعني كن معترفا ومقرا ايها المعترض لا تقل لا ولا تكن منكرا ٠

(٢) والتشبيه البليغ في علم البلاغة أن يجعل المشبه نفس وعين المشبه به كما قالوا الشافعي عيلم وزيد بدر ولا حاجة الى بحث حمل المواطأة وحمل الاشتقاق هنا للاختصار وتحذف من التشبيه البليغ أداة التشبيه ووجه الشبه ٠

(٣) الدرة بضم الدال وتشديدها : اللؤلؤة وجمعها درر وتجمع على در ودرات والكوكب الدري : الثاقب المضيء تسبب الى الدر لبياضه ومنه قوله تعالى (وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) من سورة الطارق آية (٣) ومنه قوله تعالى (كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة) (٣٥) من سورة النور ٠

(٤) عنصر الشيء اصله ونسبه ووزنه (فنعل) بضم الفاء والعين ٠

(٥) معدنها : معدن بكسر الدال بعد الميم المفتوحة معدن كل شيء حيث يكون أصله وعدن بالمكان من بابي ضرب وقعد أقام ومنه جنات عدن أي جنات اقامة ٠

البيان : شيخنا رضي الله عنه شبّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدرة والنجم الثاقب المضيء المشرق لانه أنار الطريق للعالمين وأضاء السبيل للحائرين ويقال فيه ما قيل في سابقه حيث جعل رسول الهداية وانسان عين الوجود ونفس الدرة هذه الدرة التي ليست كدرر الدنيا ومباهجها وانما هي درة عجز وقصر عن معرفة كُنْهها وحقيقتها جميع طبقات الخلق من ملك وانس وجن والعوالم جميع عالم بفتح اللام وهو لفظ عام يشمل جميع المخلوقات والمراد من قوله رضي الله عنه : (عجز عن ادراك عنصر معدنها العوالم الملكية والملكوتية) يعني ان جميع الخلق لم تدرك حقيقة هذا الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم حتى انهم لم يعرفوا اصل هذه الجوهرة المحمدية لعجزهم عن الادراك وقصورهم عن الوصول الى غاية من غاياته .

قال رحمه الله (كيف (١) تدركه العوالم وبه (٢) تعلم آدم الاسماء(٣) وامتلأت قلوب انبيائك معالم (٤) وحكما) .

يعني ان يبدي التعجب ويقول كيف تدركه العوالم والخلق أجمعون وبسببه تعلم آدم الاسماء .

يعني لولا محمد صلى الله عليه وسلم ما كان آدم ولا وجد ولا علمه الله شيئا من الوجود والمراد ان الله تعالى جعل آدم مستمدا لمعرفة خصائص الاشياء لينتفع بها .

---

(١) كيف هنا اسم مبهم غير متمكن وانما حرك آخره لالتقاء الساكنين وبني على الفتح دون الكسر لمكان الياء وهو للاستفهام عن الاحوال وقد يقع بمعنى التعجب كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله) ! وهو هنا للانكار .

(٢) الباء هنا سببية .

(٣) قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة) الآية (٣١) من سورة البقرة .

(٤) معالم : يلاحظ ان معالم في الكتابة مصروفة وهذا خطأ مطبعي أو مع الزمن والا فان معالم غير مصروفة لانها على وزن دفاعل ومساجد وهذا من صيغ منتهى الجموع وليس لنا الا هذا وما كان على وزن مفاعيل ومصابيح .

وقد تقدم مثل هذا البحث عند ذكر خلق الله لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وانه برز من نوره وقصة آدم معلومة عند أكله من الشجرة في الجنة وقد نهاه الله عن الاكل منها أنه بعد أكله منها قال (أسألك يا رب بحق محمد الا ما غفرت لي : قال الله عز وجل من أين عرفت محمداً ؟ قال يا رب نظرت الى ساق العرش فوجدت مكتوبا عليه بيد القدرة الآلهية هكذا (لا اله الا الله محمد رسول الله)[1] فغفر الله له أكله منها وهي تعتبر زلة في نظرنا ولكن في الحقيقة ان الانبياء والمرسلين معصومون من المعصية قبل الرسالة وبعدها وقبل النبوة وبعدها لكنه اجتهد فأخطأ وله أجر أو أنها خطيئة بحسب الظاهر والله يعلم وانتم لا تعلمون . ثم قال رضي الله عنه :

(فهو انسان عين[2] الوجود ، وروح حياة كل موجود ظهر من ضياء حضرة قدميتك ، فانطبعت معارج شهوده في الواح إبداع أحديتك ، وسطرت في جريدة اختراع صمديتك) .

المراد من قوله انسان عين الوجود يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو باصرة الوجود التي لولاها ما أبصر الانسان شيئا فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو انسان حقيقة هذا الوجود وثمرة هذا الكون نعم وهو السبب في خلق كل موجود . جاء في حاشية الشيخ محمد احمد عليش على مولد البرزنجي صفحة ١١ عند قوله ولما اراد الله تعالى ابراز حقيقته المحمدية واظهاره جسماً وروحاً بصورته ومعناه نقله الى مقره

---

(١) ارجع الى كتب السيرة تجد ذلك صريحا وواضحا وفي بعض كتب التفسير عند تفسير هذه الآية (وعلم ادم الاسماء كلها) الآية .

(٢) انسان العين : هو المثال الذي يرى في السواد وجمعه (اناسي) فانسان العين في الاصل ناظرها ففي الكلام استعارة تصريحية بالكناية حيث شبه الوجود بانسان ذي عين والنبي ناظر تلك العين وطوى ذكر المشبه أو يقال شبه صلى الله عليه وسلم بانسان ذي باصرة ناظرة الخ ...
به ورمز له بشيء من لوازمه وهو عين وذكر الانسان ترشيح : راجع ما جاء في علم البلاغة البيان) .

من صدفة[1] آمنــة الزهرية وخصهــا القريب المجيب بأن تكون أمــاً لمصطفاه ونودي في السموات والارض بحملها الانوار الذاتية .

قال الشيخ محمد عليش رحمه الله في الحاشية (فقد انتقل النور المكنون الى آمنة ذات العقل الباهر والفخر المصون قد خصها الله تعالى القريب المجيب بالسيد المصطفى الحبيب ، وقال سهل بن عبد الله التُستَرى (لما اراد الله تعالى خلق محمد صلى الله عليه وسلم في بطن أمه ليلة رجب أمر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الخبان ان يفتح الفردوس ونادى مناد في السماء (الا ان النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن آمنة الذي يتم في خلقه ويخرج الى الناس بشيراً ونذيراً وفي رواية كعب الاحبار انه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها والارض وبقاعها ان النور المكنون الذي منه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل في بطن آمنة فيا طوبى لها ثم يا طوبى وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا منكوسة وكانت قريش في جدب[2] شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم الرِّفد[3] من كل جانب حتى سميت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتــح والابتهــاج وقال (في أفضــل الصلوات لشيخنــا الاستاذ النبهاني في كتابه (أفضل الصلوات على سيد السادات) تنبيهات :

(الاول) قال الشيخ رحمه الله الصلاة من الله على نبيه رحمتــه المقرونة بالتعظيم ، وعلى غيره مطلق الرحمة ، ومن غيره تعالى الدعاء مطلقاً لا فرق بين مَلَك وبشر[4] .

---

(١) بيا لقرء صلى الله عليه وسلم وهي قرينة على تشبيهه باللؤلؤة واستعارته له في النفس .
(٢) أي قحط ومحل وعوز .
(٣) الرفد بكسر الراء وشدها العطاء والصلة وبفتحها المصدر ورفده اعطاه ورفده أعانه وبابهما ضرب والارفاد الاعطاء .
(٤) كذا حققه الامير والصبان .

وقوله رحمه الله (وروح حياة كل موجود) اي انه صلى الله عليه وسلم حياة ورحمة لكل موجود كما قال تعالى (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)[1] ٠

فشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم (بالروح)[2] التي لولاها ما عاش انسان ٠ يعني أنه رضي الله عنه وصف الوجود كله بالجماد الذي جعل الله له روحا فرسول الله عليه الصلاة والسلام هو حياة هذا الوجود بهديه وارشاده وتوجيهه ومقامه عند ربه ٠ والمعنى انه صلى الله عليه وسلم يمد الارواح ويغذيها بالفضائل كما يمد العود الاخضر من الماء فكما ان المياه حياة الابدان والنباتات هو صلى الله عليه وسلم حياة الارواح والاشباح وروحها فالارواح التي لا تشاهد ولا تستقي منه كأنها شبيهة بالاموات وهي ارواح أهل الكفر والعصيان) ٠

ثم قال رضي الله عنه (ظهر من ضياء حضرة قدميتك) يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم نور من نور ربه وقد سبق الكلام عليه آنفا

وقوله رحمه الله (فانطبعت[3] معارج[4] شهوده[5] في ألواح إبداع[6] أحديتك) ٠

يعني ان وجوده صلى الله عليه وسلم سابق على العالم أزلا وان ابراز حقيقته كانت مفاجئة للعالم كله بعد نحو خمسة قرون فأكثر من بعثة

---

(١) آية (١٠٧) الانبياء ٠

(٢) فاجراء الاستعارة هكذا شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالروح التي هي سبب لحياة كل موجود ولكل كائن حي والنبي صلى الله عليه وسلم صاحب هذه الروح وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو موجود وذكر الانسان سابقا ترشيح ٠

(٣) انطبعت تمكنت وتأسست وهو من أفعال المطاوعة طبعته فانطبع يعني أنها صارت طبيعة وسجية له ٠

(٤) المعارج المصاعد والمراقي ٠

(٥) شهوده صلى الله عليه وسلم للذات العلية والمقام الاقدس ٠

(٦) ابدع الشيء اخترعه لاعلى مثال والله (بديع السموات والارض) والابداع والايجاد هو الاختراع على غير مثال سابق ٠

عيسى صلوات الله وسلامه عليه والله تعالى يقول (ولمن خاف مقام ربه جنتان)[١] ٠

ذهب بعض المفسرين الى ان من خاف حساب ربه وذهب بعض السادة الصوفية الى ان معنى هذه الآية وللذي خاف عذاب ربه جنتان احداهما جنة الشهود في الدنيا وثانيهما جنة الخلود في العقبى ولكن ان شهود النبي صلى الله عليه وسلم لربه أسمى وأرقى من كل شهود وهو دائما مع ربه يكون مراقبا وداعيا ومسائلا وخاشيا ٠

وقوله رحمه الله (وسطرت[٢] في جريدة اختراع[٣] صمديتك)[٤] فالصمدية المراد بها أحديتك وأبديتك ٠

يعني أن ظهوره صلى الله عليه وسلم وايجاده كان في سابق علمك وبايجاد أحديتك وأبديتك وقد سطر ذلك كلــه في اللوح المحفوظ ٠ والمراد من الجريدة هنا سابق علمك ٠

قوله (فهو كينونة مظهر جمالك التي لا يعتريها آفة أقوال)[٥] ٠

الشرح : معنى ذلك ان محمدا صلى الله عليه وسلم ونور محمد عليه الصلاة والسلام وجماله الباهر قد ظهر ووجد من مظهر جمالك ذلكم الجمال الذي لا يعتريه أفول ولا غيبوبة ولا سنة ولا ذهول ٠ اذ هو حقيقة فضل قد برز من تفضلك على العالم (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)[٦] ٠

---

(١) الرحمن آية (٤٦) ٠

(٢) سطرت الكتاب سطرا من باب قتل كتبته ويقال سطر بتسكين الطاء وفتحها ويجمع على اسطار مثل سبب واسباب وتسكين مفرده في لغة الجمهور ويقال سطر وسطور واسطر مثل فلس وافلس وفلوس ٠

(٣) المراد بالاختراع هنا الايجاد ٠

(٤) صمديتك : الصمدية السيادة والصمد بالفتح السيد لانه يصمد اليه في الحوائج اي يقصد يقال صمده من باب نصر قصده ٠

(٥) أفل بمعنى غاب وبابه دخل وجلس ٠

(٦) آية (١٠٧) الانبياء ٠

قال رحمه الله (وصيرورة[1] نفوذ احكام علاك المصرحة بنفائس الوصول) .

المعنى : هذه الجملة معطوفة على ما قبلها :

يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم تفضل الله على عباده بكينونته[2] ووجوده ايجاده فكان كنزا مخفيا عن العالم وظهر في أحلك الاوقات وأشدها حيث كان العالم يرسف[3] تحت قيود الظلم والاستعباد غارقا في الوثنية والجاهلية وهو صلى الله عليه وسلم الحريص على تنفيذ أوامر الله ونشر دعوته تلك الدعوة الشاملة التي كانت سببا مباشرا في الوصول الى الله جل جلاله ونفائس الوصول هنا هي ما يتنافس فيها ويرغب فيها

ومن اضافة الصفة للموصوف يعني بالاصول النفيسة يعني الكريمة المصونة الممدوحة .

قال رضي الله عنه (من أسرى[4] به من حرم الاسماء والصفات فعرج معارج المؤانسة الى حرم رؤية ذاتك ، وتروّى بارتشاف حميا هاتيك التجليات) .

يعني لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ومكنون سر معنى كلمة كن[5] ، ولم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها ورفعها الى قرب منشئها والطواف بهـا عـلى عجائب ملكوت السموات والارض . أراد الله سبحانه وتعالى اظهار منزلته ومكانته عنده .

---

(١) صيرورة مصدر صار كقوله تعالى (والى الله المصير) صيره كذا جعله .

(٢) كينونته من كان تقول كان كونا وكينونة اذا وجد لان كان قد تكون ناقصة فتحتاج الى خبر وقد تكون تامة لا تحتاج الى خبر وتكون بمعنى وجد وحدث ووقع وتكتفي بمرفوعها (اي فاعلها) .

(٣) رسف في قيده رسفا من بابي ضرب وقتل .

(٤) اشارة الى اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالاسراء والمعراج اللذين وقعا للرسول عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة بنحو عام تسلية له صلى الله عليه وسلم وتثبيتا لمن آمن به .

(٥) اشارة الى قوله تعالى (انما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له (كن) فيكون (٨٢) يس .

فمن عجائب ما رآه المصطفى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج أن عرضت عليه الجنة لانه كان يعرضها على أمته ليشتروها كما قال جلت عظمته (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة)[1] ، فأراد الله سبحانه وتعالى ان يطلع حبيبه صلى الله عليه وسلم على حقيقة الجنة لتكون الدلالة اقوى واراد سبحانه أن يعاين النبي عليه الصلاة والسلام ما يعرضه على أمته ليكون وصفها عن مشاهدة ومعاينه ولتكون مشاهدته لها من باب حق[2] اليقين ، وليعلم هذا الرسول خسة الدنيا في جنب ما رآه وليقارن بين الملك والملكوت[3] فيكون في الدنيا أزهد وعلى الشدائد أصبر فلما دخلها صلى الله عليه وسلم فاذا فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[4] من النعيم المقيم فرآى مكتوبا على بابها (الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثماني عشرة حسنة فقال صلى الله عليه وسلم : (يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال جبريل لان السائل يسأل وعنده شيء والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة) .

ومن العجائب أنه صلى الله عليه وسلم رآى جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق[5] يتناثر من أجنحته الأمور المهولة كالدر والياقوت وغيرها مما لا يعلمه الا الله . قال بعض أهـل

---

(١) آية (١١١) التوبة .

(٢) هي ثلاثة علم اليقين كأن يعلم الانسان عن الكعبة علما لا مشاهدة معه وعين اليقين هو ان يراها عن بعد من مشارف مكة وحق اليقين ان يراها حقيقة ومشاهدة وطوافا أرانا الله اياها مرات ومرات .

(٣) تقدم معنى هذين اللفظين فقد يعبر عن الملك بالعالم الدنيوي ويعبر عن الملكوت بالعالم العلوي والتاء فيه للمبالغة والتكثير والملك بكسر الميم وتسكين اللام خاص بالذوات والملك بضم الميم خاص بالله جل وعلا تقول هذا ملكي بالكسر ولا تقل هذا ملكي بالضم وملاك الامر بكسر الميم قوامه بكسر القاف

(٤) اشارة الى الآية (وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين) آية (٧١) من سورة الزخرف واشارة الى الحديث .

(٥) اي النواحي المرئية والمشاهدة .

الاشارات من العارفين بالله : قال جبريل بلسان حاله للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد قد جعلتك الوسيلة[1] في حاجة قلت فيها حيلتي ، وانقطعت فيها وسيلتي ، وأنا فيها ذاهل الفكر داهش السر : يا محمد حيرني حين أوقفني في ميدان أزله وأبده) .

اعلموا اخواني هداني الله واياكم ، ووقانا بمنه الزيغ والضلال والعناد أن معجزة الاسراء والمعراج زلت فيها الاقدام وقالوا في الاسراء ما قالوا وقالوا في المعراج ما قالوا وحسبوها رؤيا منامية (فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)[2] . ورضي الله عن الامام البوصيري حيث قال :

وإذا ضلت العقـول على علــ ـــم فماذا تقولــه النصحـــاء
والدعاوى ان لـم تقيموا عليــ ـــها بينـــات فكلهـــن هبـــاء

وقال :

قد تنكر العين ضوء الشمس مـن رمـد
وينكر الفم طعـم المـاء مـــن سقم[3]

وقيل :

ما ضر شمس الضحى في الافق طالعـة
ألا يرى ضوءهـا مـــن ليس ذا بصر

---

(١) وهذا رد واضح قاضح على منكري الوسيلة اعاذنا الله من شرورهم وهم من فرق الخوارج والوهابية .

(٢) الحج آية (٤٦) .

(٣) لا يعرف الشوق الا مـن يكابـده ولا الصبابـة الا مـن يعانيهـا

وكما قيل :

واذا لـم تـر الهـلال فسلـم لأنـاس رأوه بالأبصـار

وقال ابن بنت الميلق :

مـن ذاق طعـم شراب القوم يدريـه ومـن دراه غـدا بالروح يشريـه
وقطرة منـه تكفي الخلـق لو طعموا فيشطحـون عـلى الاكـوان بالتيـه

ومن ذاق عرف ومن لم يذق فهو محروم .

أعود فأقول اعلموا اخواني ان الله سبحانه وتعالى قد اختص نبيه وحبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم بالاسراء من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الاقصى في فلسطين والعروج الى السموات العلا الى سدرة المنتهى الى ما فوقها ، وشهوده صلى الله عليه وسلم باهر جماله تعالى كما جاء في ذلك صريح الآيات القرآنية ، والاحاديث الصحيحة النبوية ، وكان ذلك بجسده وروحه يقظة لا مناما في مدة يسيرة من الليل ، وأما ما ورد عن الرؤى التي رآها صلى الله عليه وسلم قبل وقوع الاسراء والمعراج فانما كانت ارهاصات[1] ودلائل على النبوة وتأييدا لرسالته ، ومن أنكر أن سيدنا وحبيبنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم أسري به بجسمه من مكة الى العرش مع ما رآه صلى الله عليه وسلم من العجائب والغرائب في هذه المدة اليسيرة لامتناعه عقلا بسبب استبعاده سرعة نقل الاجسام الى هذا الحد فلينظر الى سرعة فلك الشمس التي هي قدر كرة الارض بنحو مائة ونيف[2] وستين مرة عند قدماء علماء الهيئة ، اذ نراها بازغة من الارض وفي أسرع من لمح بالبصر نراها قد فارقت دائرة الافق مرتفعة مع عظم هذا الجسم فاذا كان هذا واقعا في الحس ، فكيف يتصور امتناعه ، والممتنع مالا يتصور العقل وجوده وليتأمل الشاك والمرتاب في ذلك كيف سخر الله الريح لسليمان مع ان غدوها شهر ورواحها شهر ، وليتأمل في نزول جبريل من فوق سبع سموات من العرش الى الفرش في لحظة ما وليس حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم بأقل منزلة من جبريل ولا دون سليمان في المعجزة والكرامة بل اذا كانت هذه الكرامة لسليمان وجبريل عليهما السلام فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أضعاف مضاعفة عنهما فانه سيدهما وسيد الخلق أجمعين .

---

(١) الارهاصات : المقدمات والبشائر .

(٢) النيف بتشديد الياء وكسرها بوزن (الهين الزيادة يقال (نيف بتسكين الياء ويقال (نيف) بتشديدها يعني يخفف ويشدد يقال عشرة ونيف ، ومائة ونيف وكل ما زاد على العقد بفتح العين فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني ويقال نيف فلان على السبعين اي زاد وأناف على السبعين أشرف عليها .

فهذا يا أخي ملخص ما قاله جدنا الاكبر رضي الله عنه في المتن (فعرج[1] معارج المؤانسة الى حرم[2] رؤية ذاتك وتروي[3] بارتشاف حميا[4] هاتيك[5] التجليات) .

يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العروج به الى السموات العلا وما بعدها روي واكتفى بما شاهده وعاينه في تلك الليلة من التجليات والكرامات والمعجزات .

قال رضي الله عنه (فأصبحت به بصائر قلوب العارفين محدقة[6] الاطلاع على غيب مكنوناتك) .

يعني أن قلوب العارفين قد اصبحت به اي بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكشف والنور فقد صفت قلوبهم وتعلقت بمحبوبهم فلا يعرفون غيره .

ثم قال رضي الله عنه (وباصرة جمال بديع حسن علاء ربو بيتك في مصنوعاتك) .

يعني أن قلوب العارفين بالله هي التي قد غدت بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم تبصر وتروي الجمال الالهي وتشاهد النور الرباني في جمال هذا الكون ومصنوعاته لان الصنعة تدل على عظم صانعها وانت

---

(١) فعرج بفتح الراء بمعنى صعد بكسر العين وترقى وارتقى وعرج بتشديد يد الراء بمعنى يقال عرج فلان على المنزل تعريجا اذا حبس مطيته عليه وأقام وعرج عليه مال اليه وانعطف .

(٢) حرم رؤية ذاتك : في هذا اجراء استعارة حيث فيها تشبيه حمى الله ولا حمى الا لله ورسوله وهو الممتنع عن الغير الا عن خاصته بالحرم المصون حماه .

(٣) تروى بارتشاف يقال روى وتروى كله بمعنى ويقال ايضا روي من الماء ومن اللبن فالحبيب صلى الله عليه وسلم امتلأ قلبه نورا وعلما بتلك المشاهدة .

(٤) حميا : حميا الكأس اول سورتها يعني انه صلى الله عليه وسلم تروى من كأس المعاينة والمشاهدة .

(٥) وها للتنبيه وتيك وتلك اسما اشارة ويقال تلك وتاك وللتثنية وتانك .

(٦) التحديق شدة النظر واسم الفاعل منه محدق بكسر الدال وأحدق القوم بالبلد احداقا أحاطوا به .

سبحانك وحدك لا شريك لك الصانع الحكيم لهذا الكون المليء بالعجائب ولا شك أن الأثر يدل أيضا على المؤثر :

عجبت لسائـل في الحـي أضحـى
يرى هـذا الجمـال ولا يهيـم

وكما قيل :

عباداتنـا شتى وحسنك واحـد
وكـل الى ذاك الجمـال يشـير

وما أجمل ما قيل :

أيـا عجبـا كيف يعصي الالـه أم كيف يجحـده الجاحـد
وفي كـل شـيء لـه آيـة تدل عـلى أنـه الواحـد
ولله في كـل تحريكـة وتسكينة في الورى شاهـد

وما أحسن ما قيل :

هاج للقلب مـن هـواه ادكار وليـال خلالهـن نهـار
ونجوم تلـوح في جنـح ليـل مشرقات وفي الدجى أقمـار
وجبـال شوامـخ راسيات وعيـون مياههـن غـزار
والـذي قلـت دل عـلى اللـه نفوسا لهـا هُدى واعتبار

ثم قال رحمه الله :

فكيف لا يكون كما وصفناه ، أم كيف لا يعبر عنه بما ذكرناه ، وقد قيلت له : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله[1] ، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ، ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) .

---

(١) يشير شيخنا رضي الله عنه الى الآية (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (٣١) آل عمران واشارة الى قوله تعالى (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله (٨٠) النساء واشارة الى قوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) (١٠) الفتح .

لما ادعى الاعراب الايمان في قوله تعالى (قالت الاعراب[1] آمنا ، رد الله عليهم بقوله (قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ولما[2] يدخل الايمان في قلوبكم) .

رد الله عليهم بما ترى قل لهم يا محمد انكم لم تؤمنوا ايمان صدق وحق ولكنكم انقدتم انقيادا ظاهريا بالاسلام فدعواهم الايمان مردودة عليهم وهذا يفيد ان هناك فرقا بين الاسلام والايمان وبعض العلماء قال الاسلام والايمان شيء واحد ولما ادعى فريق من هؤلاء أنهم يحبون الله حبا جما رد الله عليهم بما يأتي :

اولا : ان كنتم تحبون الله فاتباع هو عين محبة الله وسلوك طريقتي والسير على شريعتي هو عين محبة الله واذا اتبعتموني فقد أحبكم الله وغفر لكم ذنوبكم .

ثانيا : ان كنتم تحبون الله فأطيعوني واتبعوا أمري يحبكم الله لان طاعتي هي عين طاعة الله .

ثالثا : بايعوني[3] على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا الخ ...

فالذين يبايعونني ويعاهدونني حقا فقد عاهدوا الله وأطاعوه واتبعوه .

قال رحمه الله :

ومن ذلك تحرر[4] وبه ارتسم[5] في مرآة الفكر وتقرر بدون شك واشتباه أنك أنت الله .

---

(١) الآية (١٤) الحجرات .

(٢) ولما حرف يدل على استمرار نفي ما بعده الى وقت التكلم وهي جازمة للفعل بعدها .

(٣) تطلق المبايعة على الطاعة هنا والمعاهدة .

(٤) تحرر : تحرير الكتاب تقويمه وضبطه تحرير الرقبة عتقها ويقال : حررته اذا اعتقته . وتحرر هنا بمعنى اصبح واضحا وواقعا بعد تقويمه وضبطه .

(٥) ارتسم : يقال اما ارتسم مراسمك ورسم الكتاب كتبه وارتسم الرجل كبر ودعا ويقال ارتسم بمعنى ثبت وهو اللائق بالمقام ومنه قول الشاعر : وصلى على دنها وارتسم ورسم بمعنى أعلم . ورسمت له كذا فارتسم : اي امتثله .

معنى ذلك والله أعلم وهو المعنى الاجمالي ومن ذلك الارشاد الالهي والدعوة الى محبة رسولك المصطفى صلى الله عليه وسلم لانها عين محبتك واطاعته عين طاعتك ومبايعته عين مبايعتك ومعاهدتك من حيث سمو رفعته وكمال قدره ومزيد العناية به فقد ثبت لدى كل عاقل وكان ذلك كالشيء المكتوب المرسوم في فكره أنك أنت الله الواحد الاحد الفرد الصمد وذلك دون شك او خلط او ارتياب ٠

ثم قال شيخنا رضي الله عنه :

(وهو مهبط[١] تنزلات[٢] وحيك محمد رسول الله بمعرفته عرفناك ، وأقرب من حبل الوريد[٣] وجدناك) ٠

المعنى والله اعلم الضمير في قوله (وهو) يعود الى المصطفى صلى الله عليه وسلم المتحدث عنه والمعنى في هذه العجالة يعني محل مهابط الوحي التي تتنزل عليه شيئا فشيئا ٠

ولقد عاد رحمه الله فقال (محمد رسول الله) عاد الى ذكر محمد[٤] رسول الله) فهذا الرسول بمعرفتـــه عرفناك : لانه هـــو الدال عليك والمرشد اليك ولولا محمد صلى الله عليه وسلم ما عرفنا ربه ولا عبدناه (اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط) وبمعرفتنا[٥] لك ربنا وجدناك أقرب الينا من حبل الوريد الى العنق أي الى جسم الانسان ٠

---

(١) مهبط بكسر الباء : مكان الهبوط (ومكة مهبط الوحي بكسر الباء وزان مسجد ٠ وهبطته بتخفيف الباء انزلته يتعدى ويلزم وهبطت الوادي نزلته ٠

(٢) تنزلات : نزل من علو الى سفل ينزل نزولا ويتعدى بالحرف والتضعيف والتنزلات هنا جمع تنزل وهو عبارة عن النزول في مهله ٠

(٣) الوريد : عرق تزعم العرب انه من الوتين قيل هو الودج وهو ينبض أبدا وهو قريب الى صفحة العنق ٠

(٤) محمد رسول الله بعد ان قال وهو مهبط فذكر المسند اليه عاد الى ذكر المسند لزيد العناية وليتقرر ويثبت ذكر رسول الله في النفس ٠

(٥) الباء هنا للسببية مثل دخل الجنة بحبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي بسبب حبه ٠

أيهـــا المعـــرض عنـــا ان اعراضـــك منـــا
لـــو أردنـــاك جعلنـــا كـــل مـــا فيـــك يردنا

فمن عرف ربه خشية خافه وتمسك به ومن لم يعرفه فلا خوف ولا خشية وفي الحديث :

عن النبي صلى الله عليه وسلم (إني لأعرفكم بالله وأخشاكم منه) وكثير من الناس من لا يعرف ربه لانه بعيد عنه غارق في مهاوي الضلال سادر[1] في غيه[2] وشهواته وملذاته .

ثم قال رضي الله عنه :

(صل اللهم عليه أكمل صلوات[3] بدوام التنزلات العارية عن السوى[4] ، وابد التنقلات المخبآت[5] عمن التوى[6] ، ما بطن الباطن بانطوائه في الوجود ، وبدأ الظهور فعم بصائر أهل الشهود) .

شروع من الشيخ رحمه الله في الدعاء الى الله والابتهال اليه وقد طلب من الله سبحانه وتعالى ان يصلي على نبيه وحبيبه أكمل وأفضل الصلوات الكمالية وجاء في الصلوات لشيخنا الشيخ احمد الدردير صاحب الخريدة في التوحيد وقد كنت أزوره كثيرا في القاهرة أيام طلب العلم في الازهر الشريف ومقامه وضريحه في الغورية مقابل الجامع الازهر

---

(١) السادر : المتحير وهو ايضا الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع .

(٢) الغي : الضلال والخيبة ايضا وقد (غوى يغوي) بالكسر غيا (فسوف يلقون غيا) وغواية أيضا بالفتح فهو غاو وغو وأغواه غيره فهو غوي .

(٣) من اضافة الصفة للموصوف يعني (صل يا رب على حبيبك صلواتك التامة الكاملة وهو يشير الى الصلاة الابراهيمية او الكمالية .

(٤) من العالم والسوى في اصطلاح القوم الغير المنظور .

(٥) العلوم الغيبية التي لا يعلمها سوى الله .

(٦) لوى والتوى بمعنى واحد يعني عمن تباعد عن الاطلاع على الغيبيات .

كنت اذا ضاق صدري وشعرت بغربتي وبعدي عن أهلي أذهب الى زيارته وزيارة سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما فينشرح صدري ويطمئن قلبي ، قال سيدنا الشيخ احمد الصاوي في كتاب الاسرار الربانية عند قول الدردير (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله) قال الصاوي رضي الله عنه في قوله اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله اي كل مؤمن (عدد كمال الله) اي كل كمال له وهو لا يتناهى ومعنى عدها ان الله يحصيها بعلمه ويعلم انها لا تتناهى ، وليس المراد عد الخلق لها فانه مستحيل ·

قال[1] رضي الله عنه (وكما) اي وصلاة مثل الذي (يليق بكماله) اي المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد افاض الله عليه من كل كمال فصار بهذا المعنى كمالـه صلى الله عليـه وسلم لا يتناهى للخلق ، وان كان يتناهى في علم الله ، لان كل حادث دخل الوجود وصار في الكون متناهيا ، والمعنى : صل اللهم عليه وعلى آ الخ ·· صلاة لا يحيط بقدرها غير علمك لكونها لا تنقضي ولا تزول ، وطلب شيخنا وجدنا الشيخ عبد الرحمن الشريف من الله تعالى ان يصلي على رسوله بأفضل وأجمل صلواته ويحييه بأسمى تكريماته وتحياته أبدا بدوام تنزلات رحمتك ورضوانك وآلائك[2] وتجلياتك الغيبية الالهية التي ليست مـن صفات الخلق الذاهبة الفانية ·

وقوله رضي الله عنه (ما بطن[3] الباطن بانطوائه في الوجود ، وبدأ الظهور ، فعم بصائر أهل الشهود) ·

---

(١) أي الدردير ·

(٢) الآلاء جمع الى وهي النعم (الى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء مثل معا وامعاء والالية على وزن عطية وجمعها الايا مثل عطايا ·

(٣) هنا (ما) مصدرية ظرفية (اي مدة دوام) وسميت مصدرية لانها تسبك مع ما بعدها بمصدر وبطن بمعنى غاب واستبطن الشيء اخفاه ·

أيهـــا المعـــرض عنـــا ان اعراضـــك منـــا
لـــو أردنـــاك جعلنـــا كـــل مـــا فيـــك يردنا

فمن عرف ربه خشية خافه وتمسك به ومن لم يعرفه فلا خوف ولا خشية وفي الحديث :

عن النبي صلى الله عليه وسلم (إني لأعرفكم بالله وأخشاكم منه) وكثير من الناس من لا يعرف ربه لانه بعيد عنه غارق في مهاوي الضلال سادر[1] في غيه[2] وشهواته وملذاته ٠

ثم قال رضي الله عنه :

(صل اللهم عليه أكمل صلوات[3] بدوام التنزلات العارية عن السوى[4] ، وابد التنقلات المخبآت[5] عمن التوى[6] ، ما بطن الباطن بانطوائه في الوجود ، وبدأ الظهور فعم بصائر أهل الشهود) ٠

شروع من الشيخ رحمه الله في الدعاء الى الله والابتهال اليه وقد طلب من الله سبحانه وتعالى ان يصلي على نبيه وحبيبه أكمل وأفضل الصلوات الكمالية وجاء في الصلوات لشيخنا الشيخ احمد الدردير صاحب الخريدة في التوحيد وقد كنت أزوره كثيرا في القاهرة أيام طلب العلم في الازهر الشريف ومقامه وضريحه في الغورية مقابل الجامع الازهر

---

(١) السادر : المتحير وهو ايضا الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع ٠

(٢) الغي : الضلال والخيبة ايضا وقد (غوى يغوي) بالكسر غيا (فسوف يلقون غيا) وغواية أيضا بالفتح فهو غاو وغو وأغواه غيره فهو غوي ٠

(٣) من اضافة الصفة للموصوف يعني (صل يا رب على حبيبك صلواتك التامة الكاملة وهو يشير الى الصلاة الابراهيمية أو الكمالية ٠

(٤) من العالم والسوي في اصطلاح القوم الغير المنظور ٠

(٥) العلوم الغيبية التي لا يعلمها سوى الله ٠

(٦) لوى والتوى بمعنى واحد يعني عمن تباعد عن الاطلاع على المغيبات ٠

كنت اذا ضاق صدري وشعرت بغربتي وبعدي عن أهلي أذهب الى زيارته وزيارة سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما فينشرح صدري ويطمئن قلبي ، قال سيدنا الشيخ احمد الصاوي في كتاب الاسرار الربانية عند قول الدردير (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله) قال الصاوي رضي الله عنه في قوله اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله اي كل مؤمن (عدد كمال الله) اي كل كمال له وهو لا يتناهى ومعنى عدها ان الله يحصيها بعلمه ويعلم انها لا تتناهى ، وليس المراد عد الخلق لها فانه مستحيل ٠

قال[1] رضي الله عنه (وكما) اي وصلاة مثل الذي (يليق بكماله) اي المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد افاض الله عليه من كل كمال فصار بهذا المعنى كمالـه صلى الله عليـه وسلم لا يتناهى للخلق ، وان كان يتناهى في علم الله ، لان كل حادث دخل الوجود وصار في الكون متناهيا ، والمعنى : صل اللهم عليه وعلى آ الخ ٠٠ صلاة لا يحيط بقدرها غير علمك لكونها لا تنقضي ولا تزول ، وطلب شيخنا وجدنا الشيخ عبد الرحمن الشريف من الله تعالى ان يصلي على رسوله بأفضل وأجمل صلواته ويحييه بأسمى تكريماته وتحياته أبدا بدوام تنزلات رحمتك ورضوانك وآلائك[2] وتجلياتك الغيبية الالهية التي ليست مـن صفات الخلق الذاهبة الفانية ٠

وقوله رضي الله عنه (ما بطن[3] الباطن بانطوائه في الوجود ، وبدأ الظهور ، فعم بصائر أهل الشهود) ٠

---

(١) أي الدردير ٠

(٢) الآلاء جمع ألى وهى النعم (ألى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء مثل معا وامعاء والألية على وزن عطية وجمعها آلايا مثل عطايا ٠

(٣) هنا (ما) مصدرية ظرفية (اي مدة دوام) وسميت مصدرية لانها تسبك مع ما بعدها بمصدر وبطن بمعنى غاب واستبطن الشيء أخفاه ٠

معنى ذلك والله أعلم : ان الشيخ رحمه الله طلب من ربه ان يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكون هذه الصلاة[1] مستمرة أبد الآبدين أي مدة دوام بطون الاشياء وخفائها في علم الله وعدم اطلاع احد من الخلق على ما غاب منها والمراد من قوله (الباطن[2]) مدة دوام خفاء الاشياء وغيبتها عن الناس وقولــه بانطوائــه[3] في الوجود أي بسبب فالباء هنا سببية ومعنى ذلك صل يا رب عليه مدة دوام الاشياء وغيبتها عنا لان أفهامنا وعقولنا تقصر عن الاطلاع عليها مع انها منطوية وثابتة آثارها في الوجود ٠

تلــك آثارنا تــدل علينــا   فانظــر وابعدنــا الى الآثــار

قال تعالى (وفي الارض آيات للموقنين ، ٢٠) وفي أنفسكم أفلا تبصرون[4] (٢١) ٠

وبدأ الظهور[5] فعم بصائر أهل الشهود[6] ٠ نعم بعد ظهور المصطفى صلى الله عليه وسلم وبروزه الى العالم الكوني خرج العالم من الظلمات الى النور ومن الجهل الى العلم ومن حب العصبيات والقبليات الى محبة ومودة شاملة كاملة فبظهوره صلى الله عليه وسلم ظهر الميزة كله وشاهده أرباب القلوب وعرفوه ولولا محمد صلى الله عليه وسلم لما كان هناك اسلام ولا ايمان ونحن وان لم نره فقد آمنا بــه صلى الله عليه وسلم وبرسالته ٠

---

(١) والصلاة اذا أضيفت الى الله كان معناها الرحمة ٠

(٢) فالباطن اسم من اسمائه تعالى ولكن المراد منه ما غاب غائب وما خفي خاف على الخلق يعني (لا يعلم الغيب الا الله) ٠

(٣) انطوى بمعنى خفى يقال انطوى عليه وانطوى على نفسه ٠

(٤) الذاريات آية ٢٠ ، ٢١ ٠

(٥) جملة معطوفة على قوله (ما بطن الباطن **بانطوائه في الوجود** ٠

(٦) المراد بهم خاصة الناس الذين يشاهدون الله في كل فعل من افعاله وكل تصرف من تصرفاته فيرون حقيقة انه هو الفاعل المختار يقال شهده بالكسر شهودا ، والمشاهدة هي المعاينة ٠

قال تعالى (الذين يؤمنون بالغيب[1] ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون (٥)[2] .

قال ابن الفارض رضي الله عنه :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفني الزمان وفيه مالم يوصف

انه صلى الله عليه وسلم احتوى على صفات جمالية ظاهرية وباطنية لا تدخل تحت حصر ، وصفات جلالية كذلك .

قال البوصيري :

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلّوا عنه بالحلم

فغاية ما نعلم ان نقول :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

وقال الامام البوصيري في الهمزية أيضا :

ليته خصني برؤية وجه زال عن كل من يراه الشقاء

روى صاحب الدلائل انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من القوي في الايمان بك ؟ فقال من آمن بي ولم يرني فانه مؤمن بي على شوق مني وصدق في محبتي وعلامة ذلك انه يود رؤيتي بجميع ما يملك وفي رواية بملء الارض ذهبا ذلك المؤمن بي حقا والمخلص في محبتي صدقا) وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (أرأيت[3]) صلاة المصلين

---

(١) هم الذين يؤمنون وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به ولم يروه .

(٢) من سورة البقرة . الآيات ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٣) اعلمنا وأخبرنا يا رسول الله .

عليك ممن غاب عنك وممن يأتي بعدك ما حالهما عندك ؟ فقال : أسمع صلاة أهل محبتي وأعرفهم وتعرض علي صلاة غيرهم عرضا أه .

ومعلوم أيها الاخوة : ان من ذاق لذة محبة ووصال المصطفى صلى الله عليه وسلم ذاق لذة وصال ربه لان الحضرة واحدة ، ومن بلغ الوسيلة شهد المقصد[١] ، ومن فرق بين الوصالين لم يذق للمعرفة طعما وانما العارفون تنافسوا في محبة الله ورسوله ، فمنهم من طلب الوصال بالتغزل في الوسيلة كالبرعى[٢] والبوصيري[٣] ومنهم من طلبه بالتغزل في المقصد كابن الفارض[٤] وأمثاله ومنهم من تغزل في المقامين كسيدي علي وفا ومقصد الجميع واحد كما قال :

عباداتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير

قال سيدي عمر بن الفارض يصفنا الله به حين كشف له الحجاب عن الجنة وما اعد له فيها :

ان كان منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي[٥]

قال رضي الله عنه (وسلم عليه وعلى آله حدائق اشجار الحقائق ، المحفوظين من الدنس والبوائق ، المجملين بقلائد مكارم بدائع اسرارك

---

(١) اي الامر المقصود والمطلوب والمرغوب فيه .

(٢) العارف بالله عبد الرحيم البرعي .

(٣) الامام الكامل مولانا وسيدنا الشيخ شرف الدين ابي عبد الله محمد سعيد البوصيري .

(٤) سلطان العاشقين سيدي عمر بن الفارض وقد رأيت بيتا مكتوبا على ضريحه أثناء زيارتي لمصر هكذا :

وحياة اشواقي اليك وحرمة الصبر الجميل

ما استحسنت عيني سواك ولا صبوت الى خليل

(٥) انه يريد ان يعطي النظر الى وجهه الكريم (وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) الى ربها ناظرة (٢٣) القيامة للذين احسنوا الحسنى وزيادة) الخ ... (٢٦) يونس . المثوبة الحسنى وهي مجازات الحسنة بعشر أمثالها (وزيادة) هي النعيم الروحي وهو النظر الى وجه ربهم الكريم .

معنى ذلك والله اعلم : انه اراد رضي الله تعالى عنه ان يكرر الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم اما رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد تقدم الكلام عليه بما يمكن [1] الوقوف والاطلاع عليه .

وأما آل محمد صلى الله عليه وسلم فاليك البيان فقد زلت في هـذا المقام الاقدام :

يعني أن شيخنا رحمه الله يقول اي وسلام الله مع صلاته على آله الخ . وفي كلامه الصلاة على غير الانبياء والملائكة ، تبعا وهي جائزة اتفاقا بل هي مطلوبة ، لقوله عليه الصلاة والسلام (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة البتراء[2] وهي التي لم يذكر فيها الآل ويكره ان يقال (اللهم صل على محمد) دون ذكر آله او (اللهم صل على آل محمد) دون ذكر محمد وقيل خلاف الاولى والصيغة الكاملة (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) واصل آل في اللغة (اول) بفتح الواو لجمل بدليل تصغيره على اويل وقيل اصله اهل بدليل تصغيره على أهيل واعلم ان الآل له معان باعتبار المقامات وربما جعلت اقوالا كثيرة ، ففي مقام الدعاء كما هنا كل مؤمن ولو عاصيا لان العاصي اشد احتياجا للدعاء من غيره ، وفي مقام المدح آل محمد كل مؤمن تقي أخذا مما ورد (آل

---

(١) في هذا مجاز بالاستعارة حيث شبه آل النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة لطهارتهم وروائحهم الطيبة المشبه به . نعم انهم محفوظون من الدنس والرجس والمعاصي لقوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (٣٣) الاحزاب وهم المجملون حقا بقلائد مكارم بدائع اسراره وفي بالحدائق والبساتين ذات الرائحة العطرة استعارة كنية واثبات الحقائق تخييل لان الحقائق من لوازم ذلك استعارة مكنية تخييلية أيضا .

(٢) البتراء مؤنث ابتر والابتر في اللغة الأقطع يقال بتره قطعه من باب نصر ومنه قوله تعالى خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم (ان شانئك هو الابتر) يعني ان مبغضك يا محمد المقطوع عن كل خير والابتر الذي لا عقب له والصلاة هي الصلاة التي لم تكن كاملة وفي الحديث (ما هذه البتراء) يعني الناقصة .

محمد كل تقي) وقال صلى الله عليه وسلم (ومن بطأ[1] به عمله لم يسرع به نسبه وما ما تناقلته السنة الناس (أنا جد كل تقي) فلم يرد وليس له أصل .

واما آل محمد في مقام الزكاة عند السادة الشافعية فهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، وبنو هاشم فقط عند السادة المالكية والحنابلة اما السادة الحنفية فقد توسعوا في ذلك وقالوا ان آل البيت فرق خمس وهم :

١ ــ آل علي .

٢ ــ آل جعفر .

٣ ــ آل عقيل .

٤ ــ آل العباس .

٥ ــ آل الحارث .

وورد انه كان صلى الله عليه وسلم يفسر آله المصلى عليهم بالازواج والذرية وأهل البيت وتارة يقول آلي كل مؤمن تقي آمن بي وصدق بي ولم يرني) .

وكان زيد بن ارقم يقول (آل النبي هم الذين حرموا الصدقة بعد من آل جعفر وآل عقيل وآل العباس رضي الله عنهم وكانت أم سلمة (زوج النبي صلى الله عليه وسلم) تقول (قلت يا رسول الله أنا من آهل البيت ؟؟ قال : بلى ان شاء الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول كثيرا (مولي القوم منهم فيدخل في الصلاة على الآل كما دخل في تحريم الصدقة) ذكره في كتاب كشف الغمة عن جميع الامة ج ١ صفحة ٨٨ .

---

(١) بطأ بتشديد الطاء وابطأ بمعنى أخر به عمله عن اللحاق بالصالحين العاملين (أبطأ الرجل) تأخر مجيئه وبطؤ مجيئه بطئا من باب قرب بضم الراء وبطاءة بالفتح والمد فهو بطيء.

(٢) للشيخ عبد الوهاب الشعراني .

ثم أتى رضي الله عنه على ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعترته[1] وأزواجه[2] وعشيرته[3] وذلك من باب ذكر العام بعد الخاص[4] . وهذه هي الصلاة الكاملة كما ورد في كتاب أفضل الصلوات على سيد السادات للشيخ يوسف اسماعيل النبهاني رضي الله عنه حيث ذكرها هناك .

وقوله رضي الله عنه (ما دامت تجليات صفاتك الرحمانية) المراد من ايراد هذه الجملة الاستمرار والدوام في الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجلياته سبحانه وتعالى لا تنقطع عن عارفيه ومحبيه ومقربيه ، وقد اجمع علماء السادة الصوفية ان لله صفات على الحقيقة هو بها موصوف : من العلم والقدرة ، والقوة ، والعز ، والحكم والكبرياء والجبروت ، والقدم ، والحياة ، والارادة والمشيئة والكلام . واعلم بانهم لم يذكروا الصفات على طريقة علماء الكلام لان صفات الله لا تعد ولا تحصى ، وأسماؤه لا تخفى ، له الكمال كله ولغيره النقص .

قولهم في التجلي والاستتار :

قال سيدنا سهل[5] التجلي على ثلاثة احوال :

تجلي ذات : وهي المكاشفة ، وتجلي صفات الذات وهي موضع النور ، وتجلي حكم الذات : وهي الآخرة وما فيها .

---

(١) عترته : العترة نسله صلى الله عليه وسلم وورد عترة الرجل وذريته وعقبه من صلبه وصلب أقربائه .

(٢) أزواجه ـ وهن امهات المؤمنين المذكورات في السيرة النبوية .

(٣) وعشيرته ـ جماعته وقبيلته وعصبيته .

(٤) هذه قاعدة أصولية كما قال تعالى (وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) البقرة ١٣٦ .

(٥) انظر كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف صفحة ١٤٥ لتاج الاسلام ابو بكر محمد الكلاباذي .

إذاً فما معنى قوله تجلي ذات (او الذات) وهي المكاشفة كشوف القلب في الدنيا : كقول عبد الله بن عمر : (كنا نتراءى[1] الله في ذلك المكان ، يعني في الطواف ·

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (أعبد الله كأنك تراه[2] ، وكشوف العيان في الآخرة ·

ومعنى قوله تجلي صفات الذات : وهي موضع النور هو ان تتجلى له قدرته عليه فلا يخاف عليه ، وكفايته له فلا يرجو سواه وكذلك جميع الصفات كما قال حارثة : كأني أنظر الى عرش ربي بارزا) : يعني كأنه تجلى له كلامه في اخباره فصار الخبر له كالمعاينة ·

واما تجلي حكم الذات : فيكون في الآخرة : فريق في الجنة وفريق في السعير ·

قال احد كبارهم رضي الله عنهم اجمعين : علامة تجلي الحق للاسرار ، هو ان لا يشهد السر ما يتسلط عليه التعبير او يحويه الفهم ، فمن عبر او فهم فهو خاطر استدلال لا ناظر اجلال ·

معنى ذلك : ان يشهد ما لا يمكنه التعبير عنه لانه لا يشهد الا تعظيما وهيبة فيمنعه ذلك عن تحصيل ما شاهد من الحال ·

وقال بعضهم : التجلي رفع حجبة البشرية ، لا ان تتلون ذات الحق جل وعز عن ذلك وعلا[3] ، واما الاستتار فهو ان تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب ·

---

(١) نرى ونبصر وننظر ·

(٢) ذكره ابن نعيم في حلية الاولياء وطبقات الاصفياء عن زيد بن ارقم ، والطبراني في الكبير عن ابي الدرداء وفي حديث الصحيحين « الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه » وكلها احاديث طويلة أطولها حديث جبريل في كتاب الايمان ·

(٣) هذه هي التجليات الرحمانية ·

وما معنى رفع حجبه[1] البشرية : ان يكون الله تعالى يقيمك تحت موارد ما يبدو لك من الغيب لان البشرية لا تقاوم أحوال الغيب والاستتار الذي يعقب التجلي هو ان تستتر الاشياء عنك ، فلا تشاهدها كقول عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما للذي سلم عليه اثناء طوافه فلم يرد عليه ، فشكاه فقال : انا كنا نتراءى الله (اي نرى آثار فعله) في ذلك المكان .

فعبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبر عن تجلي الحق له بقوله (كنا نتراءى الله ، وأخبر عن الاستتار بغيبته عن التسليم عليه . وأنشد أحد كبارهم قائلا :

سرائر الحــق لا تبـدو لمحتجب
أخفاه عنــك فــلا تعرض لمخفيــه
لا تعنِ نفسك فيمـا لست تدركه
حاشا الحقيقــة ان تبدو فتثويــه

قوله رضي الله عنه : (في المظاهر الحسية والغيبية .

المظاهر الحسية : هي الشهود وهي ان يرى العبد او المريد حظوظ نفسه .

ومعنى في المظاهر الحسية هي أن يأخذ العبد ما يأخذ بحال العبودية وخضوع البشرية .

---

(١) حجبه منعه ومنه قيل للستر حجاب لانه يمنع المشاهدة وقيل لبواب الامير حاجب لانه يمنع من الدخول والاصل اللغوي في الحجاب هو الجسم الحائل بين جسدين وقد استعمل في المعاني حتى قال فيه ساداتنا الصوفية رضي الله عنهم العجز حجاب بين الانسان ومراده ، والمعصية حجاب بين العبد وربه ويجمع مثل هذا على حجب مثل كتاب وكتب وجمع الحاجب وهو المانع حجاب مثل طالب وطلاب .

وغيبة أخرى وراء هذه : وهي أن يغيب عن الفناء والفاني ، بشهود البقاء والباقي كما قيل :

وبعد الفنا في الله كن كيفما تشا
فعلمك لاجهل وفعلك لاوزر

وهكذا أخبر حارثة رضي الله عنه عن نفسه ، ويكون الشهود شهود عيان[١] ، وتكون غيبته عما غاب غيبة شهود الضر والنفع ، لا غيبة استتار واحتجاب •

وأنشدونا للنووي رضي الله عنه :

شهدت ولم أشهد لحاظا لحظته
وحسب لحاظ شاهد غير مشهد

وغبت مغيبا غاب للغيب غيبة
فلاح ظهور غيبة غير مفقد

وقد عبر بعض العلماء عن المظاهر الحسية (الشهود) فقال كما قال لبيد :

الاكل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

وكما قال موسى عليه الصلاة والسلام (ان هي الا فتنتك)[٢] ، ما هي الا ابتلاؤك واختبارك اللهم لا تمتحنا فانا لا نطيق ذلك •

---

(١) عيان : عاين الشيء عيانا بكسر العين رآه بعينه وقد يراه ببصيرته اي بعيني قلبه •

(٢) آية (١٥٥) الاعراف • يعني ما هي الا فتنتك وبيان ذلك انه (لما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين الاعراف (١٥٥) وقد اهلكهم الله بسبب طلبهم رؤية الله جهرة •

واما معنى المظاهر الغيبية المعبر عنها بالغيبة ٠ وهي ان يغيب الطالب او المريد او التلميذ عن حظوظ نفسه فلا يراها مع ان حظوظه معه غير انه غائب عنها بشهود ما للحق : كما قال ابو سليمان الداراني وبلغه انه قيل للاوزاعي[1] رأينا جاريتك الزرقاء في السوق فقال : (اوزرقاء هي :

فقال سليمان : انفتحت عيون قلوبهم وانطبقت عيون رؤوسهم ٠ فقد أخبر ان غيبته عن زرقتها كانت مع بقاء لذة الحور فيه بقوله : او زرقاء هي ؟ ولعله يريد الن الحديث حين جرى في شأن الزرقة كان مما يقوله بحكم الغريزة كما قال : قائمة مع الصوفي ولكنه يغيب عنها فلا يشتغل بها او المراد من المظاهر الحسية والغيبية حالات مراقبة العبد لربه ٠

ثم قال رضي الله عنه :

(ونسألك اللهم ان تجعل وصولنا بمتابعة شريعته) :

ما اجمل هذا القول يا اخواني في الله ٠

ان شيخنا وجدنا الاكبر ملتزم بحدود الشريعة فلا يتجاوز حدودها قيد شعره وعلى كل فالعصمة لله ولرسوله وهذا رد كاشف فاضح نوايا المغترين بقشور علمهم ونواياهم السيئة الفاسدة الذين يصمون السادة

---

(١) وقد ذكر الامام الشعراني في طبقاته في طبقات الصوفية من عباراته (تبارك من خلقك وجعلك تنظر بشحم وتسمع بعظم وتتكلم بلحم) وهذه العبارة في الحقيقة الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وكان يقول ليس ساعة من ساعات الدنيا الا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوما يوما وساعة ساعة ومن عباراته الكريمة (لو قلنا عن الناس كل ما يعرضون عليها لهنا في أعينهم) ٠ توفي رضي الله عنه سنة ٥١ هـ ٠ والاوزاعي هو عبد الرحمن الاوزاعي فقيه الشام رضي الله عنه ٠

الصوفية بالرجعية ووو · لانهم لا يسيرون على الشريعة وما علم هؤلاء وهؤلاء ان شيخنا عبد الرحمن حسين الشريف كان يمقت اعمال البعيدين عن الشريعة مستمسكا بقوله تعالى :

ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)[١] وفي قوله تعالى (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)[٢] وقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب)[٣] · وقوله عز وجل (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)[٤] ·

فالسادة الصوفية يسيرون على نهج الكتاب والسنة ولا يعنون بما خالف الشريعة وخرج عن جادة الصواب ·

يقول عليه الصلاة والسلام (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فانما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم)[٥] ·

وعن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه قال : (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مرعوب[٦] فقال : (أطيعوني ما كنت بين أظهركم وعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه)[٧] ·

---

(١) آية (١٧) الجاثية : يعني ثم جعلناك يا محمد على طريقة واضحة من أمر الدين فاتبعها

(٢) آية (١٥٣) الانعام ·

(٣) آية (٧) الحشر ·

(٤) آية (٤٣) النحل ·

(٥) رواه البخاري ومسلم ·

(٦) وجل خائف

(٧) رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات ·

فالشيخ رحمه الله يسأله سبحانه ان يجعل وصوله اليه سبحانه بمتابعة شريعته كما قيل :

فكل خير في اتبـاع مـن سلف
وكل شر في ابتداع مـن خلف

فما قام بتأليف هذه الدرة الكريمة الا بعون وفيض من الله للاتباع[1] .

واتبع شريعة احمد خير الورى
من حاد عنها ربنا أراده

ثم قال رحمه الله « وامداد نفحاتنا بسلوك طريقته » .

يقول عليه الصلاة والسلام (ان لله في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها[2]) .

طلب الشيخ رحمه الله من ربه بعد ان سأله التوفيق للسير على شريعته ان يمده بامداداته وينفحه بنفحاته[3] ويسبغ عليه من نعمه وآلائه وعطاياه يطلب هذا له ولمريديه ومتبعيه والمؤمنين والدليل على ذلك أنه عبر بصيغة الجمع في كل فقال (ونسألك اللهم ان تجعل وصولنا بمتابعة شريعته وامداد نفحاتنا بسلوك طريقته) .

ثم قال رحمه الله (وبقدرتك الالهية الباهرة اجمع اللهم بيننا وبينه في الدنيا قبل الآخرة ، ليكون حياة أرواحنا ، وسمير أشباحنا ، ولتكون

(١) اي افعل النبي المتبع .

(٢) النفحات جمع نفحة وهي العطايا الربانية يقال للعارف بالله نفحة طيبة .

(٣) هي اويقات العبادة الخالصة لله لا سيما في جوف الليل .

دلالتنا عليك بمحيا ارشاده ، وبمزيد اسعافه وامداده ، وببديع قدرتك العظموتية ، وبجلال صولة عنايتك القهرموتية صف بواطننا من الاغيا وظواهرنا من الاكدار ، صفاء من صفته يد جذباتك ، ففاز بمعالي قرباتك ، حتى نخرج من وبال عضال اطوار البشرية ونراقبك من دون غيرية ، ونشهد حضرتك من غير محيه) .

هذا شروع من المؤلف رحمه الله بحسن الختام فبدأ يضرع الى الله تعالى بالدعاء ويلهج بالثناء ويقول : (وبقدرتك[1] الالهية الباهرة[2] اجمع اللهم بيننا وبينه في الدنيا قبل الآخرة) ...

كأن الشيخ رحمه الله يقول ضارعا[3] الى الله أسألك مستعينا بقدرك الظاهرة على كل شيء وأنت الفاعل المختار أن تجمع بيننا وبين رسولك المصطفى الذي هو الواسطة العظمى في الحياة الدنيا قبل الآخرة . الذي يظهر والله أعلم أن شيخنا رحمه الله كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم مناما فسأل الله أن يريه اياه يقظة وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل بي الشيطان[4] .

ومصداق لقوله عليه الصلاة والسلام (من رآني فقد رأى الحق فان الشيطان لا يترايابي[5] ومصداق قوله صلى الله عليه وسلم (من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي[6] .

---

(١) الباء للاستعانة يعني استعين بقدرتك الباهرة .

(٢) بهره بهرا من باب نفع غلبه وفضله ومنه قيل للقمر الباهر لظهوره على جميع الكواكب ويقال بهر القمر النجوم غمرها بضوئه ، وبهرت الشمس الارض : اي عمها نورها وضوؤها وبهر فلان نظراءه ؛ اي برعهم وفاقهم .

(٣) ضرع الى الله ذل وخضع فهو ضارع .

(٤) رواه الامامان الجليلان البخاري ومسلم واتفقا عليه كما رواه ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه .

(٥) رواه احمد في مسنده واتفق عليه البخاري ومسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه وقوله لا يترايابي أي لا يتمثل بي أي لا يتشبه بي ولا يأتي على صورتي .

(٦) رواه أحمد في مسنده والبخاري والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

فالشيخ سأل ربه متبتلا(١) متوسلا بنبيه أن يشاهده صلى الله عليه وسلم يقظة(٢) وعيانا(٣) كما شاهده مناما فذلك أقوى وأثبت وأرسخ للعقيدة .

ثم قال رحمه الله (ليكون حياة أرواحنا وسمير(٤) أشباحنا) طلب من الله أن يريه سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ليعاينه ويشاهده شخصيا ويحظى الحظوة(٥) الكبرى بالاجتماع ليكون هذا الرسول حياة أرواحنا وسمير أجسامنا وأشخاصنا والشبح الشخص وأشباح جمع شبح كسبب وأسباب وهاديا ودليلا الى الله تعالى ومنقذا لنا من الضلالة الى الهدى ، من الظلمات الى النور وليكون هدية مؤنسا لنا في الحياة وبعد الممات (ولتكون دلالتنا عليك يا رب بمحيا ارشاده وبمزيد اسعافه وامداده وببديع قدرته العظموتية ، وبجلال صولة عنايتك القهرموتية صف بواطننا من الأغيار وظواهرنا من الأكدار(٦) .

فقوله ولتكون دلالتنا عليـــك بمحيا(٧) ارشاده أي بسبب ارشاده وبمزيد أي زيادة اسعافه أي اعانته وامداده المستمد من الله وحده يقال أمددت الرجل اذا أعطيته مدة بعلم وأمددت الجيش بمدد والاستمداد هو طلب المدد قال أبو زيد : ((مددنا) القـــوم صرنا مددا لهـــم .

---

(١) التبتل الانقطاع الى الله تعالى بالعبادة عن الدنيا وكذلك التبتيل .

(٢) منصوب على نزع الخافض أي في اليقظة والصحو او حال من يشاهده .

(٣) العيان المشاهدة بالعين بكسر العين يقال في اللغة عاين الشيء عيانا بكسر العين رآه رأي العين .

(٤) السمير المؤانس لحبيبه وجليســه ليلا فقد شبه محمد صلى الله عليه وسلم بحياة الارواح اذ لا حياة بلا روح .

(٥) حظيت المرأة عند زوجها حظوة بكسر الحاء وضمها والمراد بها المنزلة الرفيعة .

(٦) انما كررت ذكر المتن لنأتي على شرحه كلمة كلمة .

(٧) المحيا بضم الميم وتشديد الياء الوجه ومنه قول المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

ومحيا كالشمس منــك مضــيء   أسفرت عنه ليلــة غــراء

ويطلق المحيا على السبب والوسيلة .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو النور الذاتي والسر الساري الجاري في جميع أسماء الخلق باعتبار مسمياتها والصفات للحق فهو صلى الله عليه وسلم الممد لجميع ذوات الخلائق وصفاتهم وانه صلى الله عليه وسلم مهبط التجلي للأسماء والصفات فلا يستمد من اسم من أسمائه تعالى وصفاته ولا صفة من صفاته تعالى الا بواسطة فهو ممد لجميع ذوات الخلق وصفاتهم دنيا وأخرى بواسطة أنه مهبط التجلي لأسماء الله تعالى وصفاته فهو صلى الله عليه وسلم النور الذاتي أي نور ذات الله أي الذي خلقه الله بلا مادة لانه مفتاح الوجود ومادة لكل موجود ومعنى ذلك بوضوح يا أخي المريد أن الوجود محتاج لهذا المدد المحمدي والنور السرمدي ولولا محمد لاتصف الوجود بالعمى لما في الحديث (لولاك ما خلقت سماء ولا أرضا ولا انسا ولا جنا ولا ملكا قال الامام البوصيري رضي الله عنه :

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وأمددناهم بغيرنا وأمددناهم بفاكهة وكان شيخنا رحمه الله يطلب من الله أن تكون دلالتنا على الله بعناية واسعاف[1] وامداد من رسول الله عليه الصلاة والسلام ٠

وان تكون الدلالة بقدرتك العظيمة البديعة[2] التي لا نظير لها ولا مثيل ٠ وقدرة الله قوته الغالبة ٠

والعظموتية[3] وبجلال صولة[4] عنايتك القهرموتية ٠

---

(١) اسعافه : اسعفه بحاجة قضاها له والمساعفة والمؤاتاه والمساعدة وأسعفته أعنته على أمره ٠

(٢) البديع فعل قولهم فلان بدع في هذا الامر اي هو أول من فعله ٠

(٣) عظم الشيء عظما وزان عنب وعظامة أيضا بالفتح فهو عظيم وأعظمته بالالف وعظمته تعظيما مثل وقرته توقيرا وفخمته واستعظمته رأيته عظيما والعظموتية نسبة الى العظيم الذي لا عظيم سواه وهو الله والقهرموتية نسبة الى القاهر الذي لا قاهر ولا قادر سواه ٠

(٤) والصولة هي السلطان والقوة والدولة ٠

واجعل دلالتنا عليك بعظيم صولة وسلطان عنايتك التي قهرت أهل البغي والظلم والعناد توسل رضي الله عنه بهذه التوسلات ودعا بهذه الدعوات ليصل الى طلب عظيم شريف فقال :

(صف بواطننا من الأغيار ، وظواهرنا من الأكدار) أراد رضي الله عنه أن يصل الى هذه النتيجة الحسنة والعاقبة المحمودة وهي الدعاء : ولنذكر لك شيئا من الدعاء قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين)[١] ففي قوله تضرعا : أصل التضرع التذلل ومنتهى الخشوع والمراد به هنا اسم الفاعل أي متضرعين (وخفية) أي بعيدا عن الناس لأنه أبعد عن الرياء وقوله ان الله لا يحب المعتدين (لا يحب الاعتداء في الدعاء هو رفع الصوت فيه الى الغير المشروع والمبالغة فيه بما لاينبغي او الدعاء بما لا يجوز قال تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام قال (يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني أعظك ان تكون من الجاهلين (٤٦) قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين (٤٧)[٢] وقال سبحانه (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)[٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام (الدعاء مخ العبادة)[٤] .

قال تعالى : (قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أياما تدعو[٥] فله الأسماء

---

(١) الاعراف (٥٤) .

(٢) هود (٤٧) .

(٣) غافر (المؤمن) آية (٦٠) والمراد من قوله داخرين المراد اذلاء مهانين مقهورين يعني ان المراد من هذه الآية الذين يستكبرون ويأنفون من الدعاء الذي هو خلاصة العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم (الدعاء مخ العبادة سندخلهم جهنم وهم في ذلة واهانة وقهر .

(٤) أي خلاصة وزبدة العبادة ، والدعاء روح العبادة ، والدعاء هو العبادة .

(٥) يعني أي اسم تنادون به تعالى من اسمائه فهو حسن لان اسماءه كلها حسنى . آية (١١١) من سورة الاسراء .

الحسنى ولا تجهر[1] بصلاتك ولا تخافت[2] بهـا وابتـغ بين ذلـك سبيلا[3] (١١٠) وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) (١١١) الاسراء ٠

وورد أن هذه الآية (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) نزلت في الدعاء رواه البخاري ومسلم ٠

واستدل جماعة على الاسرار في الدعاء بحديث أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكنا اذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا[4] وارتفعت أصواتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أيها الناس اربعوا[5] على أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انه معكم سميع قريب) رواه البخاري ٠

ومعنى اربعوا بكسر الهمزة وفتح الباء على وزن (افعلوا) أي ارفعوا وابتدئوا ٠

وخلاصة ما جاء في الدعاء أنني ألفت لذلك رسالة خاصة في الدعاء ومشروعيته والرد على المعترضين عليه في رسالة مستقلة تقع في تسع عشرة صفحة بتاريخ الثاني والعشرين من شعبان سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية وفق اليوم التاسع من أيلول (سبتمبر) سنة أربع وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية فليرجع اليها من شاء فانها تشفي العليل وتروي الغليل والحمد لله وعنوانها الذي على غلافها[6] ٠

---

(١) المراد ولا تجهر بصلاتك ، أي قراءتك في الصلاة حتى يسمعك المشركون فيؤذوا المصلين وكان ذلك في مكة والمسلمون ما زالوا ضعافا ٠

(٢) ـ ولا تخافت بها ـ أي لا تخفض صوتك بها جدا الى حد لا يسمعك من خلفك من المؤمنين ٠

(٣) أي أطلب طريقا وسطا بين الجهر والسر ٠

(٤) هلل وكبر فيها شيء من علم النحت أي قلنا لا اله الا الله والله أكبر ٠

(٥) أي مهلا مهلا موتورة على أنفسكم لا تحملوها مالا تطيق أيضا ٠

(٦) هل الدعاء وارد بعد الصلاة أم لا ؟ ٠
وهل الدعاء مطلوب شرعا أم لا ؟ ٠

قال الاستاذ أبو اسحق الاسفراييني رضي الله عنه :

(والدعاء مفتاح الحاجة) وهو مستروح أصحاب الفاقات وملجأ المضطرين ومتنفس ذوي المآرب وقد ذم الله تعالى قوما تركوا الدعاء فقال (ويقبضون أيديهم)[1] أي لا يمدونها الينا في السؤال ، وقال سهل بن عبد الله خلق الله تعالى الخلق وقال : ناجوني فان لم تفعلوا فانظروا الي فان لم تفعلوا فاسمعوا مني ، فان لم تفعلوا فكونوا ببابي ، فان لم تفعلوا فأنزلوا حاجاتكم بي) .

وقال سهيل بن عبد الله (أقرب الدعاء الى الاجابة دعاء الحال)[2] وقال عبد الله المكانسي كنت عند الجنيد رضي الله عنه فأتت امرأة اليه وقالت : يا جنيد أدع الله تعالى لي فان ابنا لي قد ضاع ، فقال اذهبي واصبري فمضت ثم عادت فقالت مثل ذلك فقال لها الجنيد اذهبي واصبري ، فمضت ثم عادت ففعلت مثل ذلك مرات والجنيد يقول لها اصبري فقالت يا جنيد : عيل[3] صبري ولم يبق لي طاقة فادع لي فقال الجنيد ان كان كما قلت فاذهبي فقد رجع فمضت ثم عادت تشكر له . فقيل للجنيد بم عرفت ذلك ؟ فقال قال الله تعالى (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء[4] والمضطر المراد به هنا الذي تضطره وتلجئه الشدة الى الضراعة الى الله سبحانه وتعالى)[4] .

ثم قال رحمه الله (صف بواطننا من الأغيار وظواهرنا من الأكدار صفاء من صفته يدجذباتك ففاز بمعالي قرباتك) .

---

(١) التوبة آية (٦٨) .

(٢) ومعنى دعاء الحال ان يكون صاحب الدعاء مضطرا لا بد له مما يدعو لأجله .

(٣) عال فلان عيلا وعيلة افتقر ، وعال الشيء فلانا أعجزه وأحوجه وعيل صبري ضعف ونفد وكل ومنه قولة الشاعر : وفيه من بديع الكلام الجناس .

طرقت الباب حتى كلمتني ... فلما كلمتني كل متني

فقالت لي أيا اسماعيل صبرا ... فقلت لها أيا اسماعيل صبري

(٤) النمل آية (٦٢) .

الطلب كما مر له مراتب ثلاث : وهي كما جاءت شعرا لكبار العلماء:

أمر مع استعلا وعكسه دعا
وفي التساوي فالتماس وقعا

فالطلب من أعلى لأدنى يقال له أمر كما قال تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) والطلب من أدنى لأعلى يقال له دعاء كقول المؤلف رحمه الله (صف بواطننا من الأغيار) •

والطلب من متساويين يقال له التماس ، كقولك لأخيك أعطني كذا •

(ومعنى صف[1] بواطننا من الأغيار)[2] هنا طلب الشيخ من الله تصفية البواطن ، عملا بقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه (اللهم اجعل باطننا خيرا من ظاهرنا واجعل ظاهرنا صالحنا وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن[2] فكأنه يقول (اللهم نق وطهر قلوبنا من الشك ومن الشكوك والأوهام وطهر ظواهرنا من الأكدار والمعوقات الدنيوية والأخروية موافقة لدعائه صلى الله عليه وسلم الآنف الذكر واجعل هذا الصفاء كصفائك من نالته نفحة من نفحاتك أو جذبة من جذباتك تكشف حجاب الوهم عن عين اليقين[3] وقد قال بعضهم في الدعاء لسان الاشتياق الى الحبيب •

ومن نالته نفحة من نفحاتك أو جذبة من جذباتك لا شك بأنه يفوز بمعالي[4] قرباتك أي نفوز بشرف القرب منك وفي الحديث (ان الله

---

(١) الصفاء ممدود ضد الكدر وقد صفا الشراب يصفو صفاء أي صار نقيا نظيفا ، وصفوة الشيء خالصه يقال محمد صلى الله عليه وسلم صفوة الله من خلقه ومصطفاه •

(٢) الاغيار : الغير بوزن العنب الاسم من قولك (غيرت الشيء فتغير) ومنه غير الزمان على وزن عبر وهو اسم مفرد وجمعه أغيار •

(٣) هي ثلاثة علم اليقين ، عين اليقين ، حق اليقين • فعلم اليقين ان تعلم مثلا بوجود مكة وعين اليقين أن تشاهدها عند الدخول وحق اليقين ان تدخل مكة وتمتزج بها •

(٤) المعلا الرفعة والشرف وكذا المعلاة والجمع المعالي •

يحب معالي الامور ويكره سفسافها[1] وفي حديث آخر (ان الله تعالى يحب معالي الامور واشرافها ويكره سفسافها) رواه ابن حبان في روضة العقلاء والطبراني عن الحسين ابن علي رضي الله عنهما ثم سأل الله تعالى شيئا آخر فقال (حتى نخرج من وبال[2] عضال[3] أطوار[4] البشرية) يعني دعوناك ربنا أن تخرجنا من كل ماله سوء العاقبة وما كان ثقيلا على نفوسنا أو ما كان فيه شدة أو نصب وتعب الى نفوسنا مما يعتري النفوس البشرية نسألك أن تسخر نفوسنا فيمـــا يرضيك فمتى صفت نفوسنـــا وتخلصنا من شهوات ورعونات البشرية تفرغت الى عبادتك ومراقبتك في جميع الاحوال • مصداق قوله صلى الله عليه وسلم (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن[5] نراقبك من غير أن نشرك بك شيئا أو من غير أن نشرك بك أحدا غيرك كما قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)[6] وهذا معنى قوله رحمه الله (حتى نخرج من وبال عضال أطوار البشرية ونراقبك من دونه غيريه دون شركة أحد في عبادتك • ثم شرع رضي الله عنه بالدعاء لنفسه ولغيره مصداق قوله صلى الله عليه وسلم (اذا دعوتم فعمموا) •

فقال (وأطل اللهم حياتنا وحسن بفضلك أعمالنا ، وتول اللهم حركاتنا وسكناتنا ، وزحزحنا لمرادك عن مرادنا ، ووجهنا لاختيارك وتأثيره على اختيارنا) •

ان المؤلف رحمه الله يطلب من الله شيئا آخر • يطلب من الله أن يطيل حياته ويمد في عمره ومن تبعه وسار على نهجه عملا بقوله صلى

---

(١) رواه أبو داود •
(٢) الوبال : الثقيل الوخيم الشديد ويطلق على سوء العاقبة والعمل السيء وبال •
(٣) أعضل الامر اشتد ومنه داء عضال : أي شديد •
(٤) أطوار ـ الطور التارة وفعل ذلك طور ابعد طور مرة بعد مرة والطور الحال والهيئة •
(٥) رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية حسن صحيح •
(٦) الكهف آية (١١١) •

الله عليه وسلم (خير الناس أو خيركم من طال عمره وحسن عمله)[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام (خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله)[2] .

وكان من دعاء أحد العارفين (اللهم ارزقنا سنا[3] طويلا في الخير مشتغلا بالعبادة الخالصة . فهو رضي الله عنه يقول في دعائه (أسألك اللهم أن تطيل حياتنا وتمد في أعمارنا وأن ترزقنا جميعا أعمارا مديدة مملوءة بعمل الخير وخير العمل) وقوله : (وحسن بفضلك أعمالنا : أي اجعل أعمالنا خالصة لوجهك لا لرياء ولا لسمعة ولا لجر مغنم أو دفع مغرم) قال ابن عطاء الله السكندري في الحكم (الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها) والله تعالى يقول : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء)[4] .

كأنــه يقول رضي الله عنــه وحسن بفضلك أعمالنــا نقهــا مــن الشوائب[5] والكدورات لان العبادة تتطلب اخلاصا في العمل وصفاء في النفس .

ثم قال (وتول اللهم حركاتنا[6] وسكناتنا) .

الشيخ رحمه الله يطلب أيضا من الله تعالى الا تكون له حركة ولا عدمها (أي ولا سكون) الا بأمر الله وارادته لا من قبل سلطان الهوى

---

(١) رواه أحمد في مسنده والترمذي عن عبد الله بن بسر .

(٢) رواه أحمد في مسنده والترمذي والحاكم في المستدرك عن ابي بكرة .

(٣) يعني اللهم ارزقني عمرا طويلا يعطيني فرصة العبادة الخالصة ومدارسة العلوم والمعارف ومجالسة العارفين .

(٤) البينة آية (٥) أي وما أمروا الا ليعبدوا الله اللام هنا في قوله تعالى (ليعبدوا) أي أن يعبدوا الله او الا بان يعبدوا الله . وحنفاء جمع حنيف وهو البعيد عن الباطل المائل الى الحق .

(٥) شابه شوبا من باب قال خلطه وليس فيه شائبة لا شبهة فيه .

(٦) الحركة : ضد السكون والاستقرار والسكون هو عدم الحركة .

والنفس فهو سبحانه وتعالى وحده الذي يتولى الأمور صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها كما قال تعالى : (ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)[1] يعني أن ناصري ومتولي أمري هو الله لا غيره وكما قال المؤلف رحمه الله في أحد أحزابه (اللهم لا تجعل لنا حركة لا ظاهرية ولا باطنية الا بنوره المستمد من أمره الناشيء عن أمرك) والمراد من نوره : نور المصطفى عليه الصلاة والسلام المستمد من الله والناشيء عن أمر الله ٠

ثم قال رحمه الله : (وزحزحنا[2] لمرادك عن مرادنا ، ووجهنا لاختيارك وتأثيره على اختيارنا) أي باعد بيننا وبين مرادنا ومطلوبنا فلا تجعل لنا مرادا ولا اختيارا بل المراد هو مرادك والأمر لك وحدك ٠ قال تعالى (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)[3] ٠

ووجهنا ربنا لاختيارك لا لاختيارنا فنحن عبيد ضعاف ليس بيدنا حول ولا طول ٠ وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم (اللهم خرلي واخترلي) فقد حصر الارادة والاختيار في الله وحده ٠

ثم قال رضي الله عنه وباعد بيننا وبين الفتن[4] الظاهرية والباطنية ودبر[5] مصالحنا الدنيوية والأخروية ، ووفقنا للأعمال الصالحة النقية ، وتوجنا بتاج الهداية ، الناجحة السنية ، واكلأنا بكلاءتك من

---

(١) الاعراف آية (١٩٥) يعني فهو متولي أمري وناصري ٠

(٢) زحزحه فتزحزح أي باعده فتباعد ٠

(٣) آل عمران آية (١٨٥) ٠

(٤) فتن المال الناس من باب ضرب استمالهم ، وفتن في دينه بالبناء للمجهول وافتتن ايضا بالبناء للمفعول مال عنه ، والفتنة المحنة والابتلاء والجمع فتن واصلها الاختبار ٠

(٥) دبر الامر تدبيرا فعله عن فكر وروية وهذا مستحيل على الله فكل شيء استحال على الله في المبدأ يطلق ويراد لازمه والمراد من التدبير هنا الفعل وهو تذليل وتسهيل حاجاتنا الدنيوية والأخروية ٠

السلب والعطب ، وأوصلنا لبرازخنا عنـد النهايـة بدون مشقة ولا نصب) ٠

يقول ربنا جاف وباعد بيننا جميعا وبين الفتن الظاهرة المحسوسة فلا تفتنا في مال ولا في ولد ولا في مرض ولا في دين وجنبنا محن الزمان الخفيـة التي لا يعلمهـا الا أنت ثـم قال (ودبر مصالحنا الدنيويـة والأخروية أي هيأ مصالحنا وأمورنا التي لها علاقة دنيوية مما كان فيها طاعتك ورضاك وذلل مصالحنا وحاجاتنا الأخروية لما ورد (من أكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى الله مائة حاجة منها ثلاثون في الدنيا وسبعون في الآخرة) وهول الموقف فيه ما فيه من الشدائد والكربات فهو رضي الله عنه يسأله سبحانه وتعـالى تذليل وتسهيل حاجاتنا دنيا وآخرى ٠

ثم قال : (ووفقنا[1] للأعمال الصالحة النقية) أي أسألك ربي أن تسدد أعمالنا وأقوالنا وأفعالنا وتهدينا الى الصدق والصواب وكسب الأعمال الصالحة الصافية الخالية من كل غرض ومرض ٠

ثم قال : (وتوجنا[2] بتاج الهداية الناجحة السنية كأنه رحمه الله يسأل ربه أن يجعل الهداية رأس ماله وأن يجعل ارشاده وتوجيهـه لأهل طريق الحق عز وجل ناجحين بتأييده سبحانه المشرق والمضيء في الظلمات تلك الهداية السليمة الناجحة الرفيعة لأن السنية معناهـا الرفيعة ٠

---

(١) وفقه الله توفيقا سدده وصوبه ، ووفق أمره يفق بكسرتين من التوفيق وتوافق القوم اتفقوا اتفاقا ٠ ووفقت بينهم أصلحت واستوفق الله سأله التوفيق ، وأصل التوفيق هو خلق قدرة الطاعة في العبد مع الاخذ في الاسباب ، والوفق بفتح الواو الموافقة بين الشيئين ٠

(٢) توج اذا سدد وصار سيدا فالتتويج ايذان بالسيادة ويطلق على الاكليل ففيه استعارة مكنية تخييلية فقد شبه الهداية والارشاد برجل له تاج وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه ٠

ثم قال : (واكلأنا بكلاءتك من السلب[١] والعطب[٢] وأوصلنا لبرازخنا عند النهاية بدون مشقة ولا نصب) .

يعني أنه سأل ربه أيضا أن يحفظه وأتباعه ومن سار على نهج الشريعة الغراء بحفظه ورعايته من السلب بعد العطاء فقد استعاذ أحد العارفين بالله من ذلك وقال في أحد أوراده وأحزابه ونعوذ بك من السلب بعد العطاء ويسأله أن يحفظه من سلب الايمان فهذا أبو بكر الصديق[٣] على جلالة قدره وعظيم قربه من الله ووثيق صحبته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (والله لو وضعت رجلا في الجنة ورجلا خارجها ما أمنت مكر الله تعالى . وهذا عمر[٤] بن الخطاب مع عظيم مكانته من الله تعالى وعظيم قربه من النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الويل لعمر ان لم يغفر له ربه) .

فالمؤلف طلب من الله أن يكلأه[٥] بكلاءته من الهلاك وفقدان السداد والصواب ثم قال (وأوصلنا لبرازخنا عند النهاية بلا مشقة ولا نصب) .

أي أنه يسأل الله تعالى حسن الخاتمة حتى اذا حان وقت اللقاء أن يذلل له كل صعوبة تقف حاجزا بينه وبين جدثه[٦] الذي أعده الله له دون حصول مشقة ولمشيعيه الذين يحملونه ويسيرون في جنازته ولا نصب[٧] ولا تعب اللهم أوصلنا لبرازخنا عند النهاية بلا مشقة ولا تعب يا أكرم الأكرمين .

---

(١) سلب الشيء سلبا انتزعه قهرا وسلب الايمان والعياذ بالله أخذه بعد اعطائه .
(٢) العطب بفتحتين الهلاك من باب طرب .
(٣) الوزير الاول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده .
(٤) الوزير الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الخليفة الثاني .
(٥) وكلأه الله يكلؤه كلاءة بكسر الكاف الحفظ والعناية ويجوز التخفيف فتقول كلاه يقال كلأته أكلاه من باب تعب .
(٦) الجدث بفتح الجيم والدال هو القبر وجمعه أجدث وأجداث .
(٧) هو التعب ومنه قوله تعالى في سورة الانشراح (فاذا فرغت فانصب) .

ثم شرع رضي الله عنه في دعاء من نوع آخر نظرا لما يلاقيه صاحب الدعوة من أذى واعتداء واستهزاء فقال (وكف عنا كل أذية ، ونقمة وبلية لندوم عاكفين بنعمتك على امتثال أوامر حضرتك العلية) ٠

انه رضي الله تعالى عنه يطلب من مولاه الكريم أن يدفع عنه وعن تابعيه ومحبيه وذراريه والمتمسكين بشريعة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من أمته فقال : (وكف عنا كل أذية)[1] أي كل ضرر وتألم في النفس أو في الأهل أو في المال أو في الجسم (ونقمه)[2] فكأنه يسأل سبحانه وتعالى أن يعافيه من النقم والعقوبات وأن يجعل محبتنافي قلوب الناس جميعا بلا طعن ولا كراهية ولا حقد ٠

(وبلية)[3] وسلمنا من كل بلوى تزعجنا وتصدنا عن طاعتك وعبادتك فلا تشغلنا الهنا بسواك ولذلك أي ومن أجل هذا قال رحمه الله (لندوم عاكفين[4] بنعمتك فنسألك أن تجنبنا هذه الأمور والشؤون والبلايا كلها حتى نتمكن من العمل الذي يرضيك فنقبل عليه مواظبين لا نبرح بابك لائذين[5] بجنابك عائذين بحضرتك وقدسيتك ٠ وقوله (بنعمتك)[6] أي بسبب انعامك وأفضالك التي أنعمت بها علينا (على أمتثال أوامر حضرتك العلية) فان فراغ القلب من شواغل الدنيا ومشاكلها فيه الخير الكثير والاقبال على الله العلي القدير كما قيل :

---

(١) آذاه يؤذيه (أذى) و (أذاة) و (أذية) تأذى به وهي الضرر الواقع من المؤذي على غيره فالاذية اسم من الأذى ويقول أذى على وزن فهم بكلا تضرر به وتألم منه فهو اذ ٠

(٢) نقم عليه فهو ناقم أي عتب عليه بالفتح وانتقم الله منه عاقبه والاسم منه النقمة ونقمت عليه اذا عبته وكرهته والخلاصة فالنقمة يراد منها هنا العقوبة ٠

(٣) وبلاه الله بخير أو شر يبلوه بلوا وأبلاه ابتلاء بمعنى امتحنه والاسم منه البلاء والبلية هنا هي البلوى عافانا الله ٠

(٤) عاكفين : عكف على الشيء أقبل عليه مواظبا وبابه دخل ٠

(٥) (لاذ) به لجأ اليه وعاذ به وبابه قال لياذا أيضا بالكسر ٠

(٦) الباء للسببية اي بسبب نعمتك التي أنعمت بها علينا وهي الاقبال عليك ٠

كن مـــع الله تر الله معـــك　　　واترك الكــل وحاذر طمعـك
والزم القنــع بمــن أنت لــه　　　في رحاب الكون حتى يسعـك

ثم قال (سالكين مسلك مناجاتك البهية فاذا فرغت قلوبنـا مـن الشواغل والمقلقات الدنيوية) كان هناك مجال فسيح أمام مريد الحق سبحانه وتعالى للسلوك في طريق الحق ومناجاته والاختصاص بطاعته وعبادته ومناجاتك البهية[1] لنناجيك[2] وندعوك سرا وعلانية ٠

ثم قال رحمه الله (راجعين اليك بحالة راضية مرضية متى تفرغت قلوبنا لطاعتك وعبادتك عدنا اليك وثبنا لحضرتك بحالة ترضاها عنا أي فان هاته الحالة والتفرغ والتفرد بالعبادة سيرضى عنها كل مريد والطريقة التي يسلكها المريد مرضية مقبولة عند الله ٠

ثم قال رحمه الله (متلقين منك وعنك المعالم اللدينة)[3] ٠

قال تعالى (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا[4] علما) (٦٥) الكهف الذي آتاه الله من لدنا علما : ذكر صاحب التفسير الميسر في سورة الكهف عند ذكر هذه الآية أنه من بني اسرائيل والذي جاء في المناوى على الجامع الصغير ما نصه (ذكر بعضهم أن الخضر بن آدم من صلبه وقيل ابن حلقيا وقيل ابن قابيل بن آدم

---

(١) بهي على وزن علم بكسر اللام الرجل بهاء والبهاء في الأصل الحسن والجمال يقال بها يبهو مثل علا يعلو اذا جمل بضم الميم فهو بهي فعل بمعنى فاعل ويكون البهاء حسن الهيئة والمراد بالبهي هنا عظمة الله (فمناجاة الله البهية : أي العظيمة) ٠

(٢) النجاه خصه بالمناجات وهي الدعاء سرا وعلانية ٠

(٣) اللدنية : علم لدني علم رباني يصل بصاحبه من طريق الالهام ٠

(٤) من لدنا : من عندنا ، أي من عند الله ٠

وقيل سبط[1] هرون وهو ابن خالة اسكندر ذي القرنين ووزيره وأعجب ما قيل انه من الملائكة والأصح أن الخضر نبي وهو حي عند الجمهور لا يموت الا آخر الزمان اذا ارتفع القرآن ويقتله الدجال ثم يحييه وانما طالت حياته لانه شرب ماء الحياة وليكذب الدجال آ هـ من كتاب شرح الصلوات لسيدي احمد الدردير ص ٤ فقوله رحمه الله : (متلقين منك وعنك المعالم[2] اللدنية)[3] .

فكأنه رحمه الله بعد أن قال (سالكين مسلك مناجاتك البهيـــة ، راجعين اليك بحالة راضية مرضية متلقين منك وعنك المعالم اللدنية) انها جاءت جملا حالية انلنا كذا ربنا حالة كوننا متلقين منك بواسطة هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وعنك بسببه أيضا (اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط) يعني ان الرسول صـــلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى في وجود المخلوقات :

وأنت باب الله أي امـــرىء أتاه مـــن غيرك لا يدخـــل

المعالم اللدنية : يعني أطلعنا على ما خفي عنا من المعلومات التي جهلناها من هذه الكونيات وذلك من قبيل العلم اللدني) وهو الفيض الرباني الالهي وارجع أيها المريد الى قصة الخضر عليه السلام مـــع موسى عليه الصلاة والسلام تجد شيئا عجبا وذلك لئلا يدعي أحد العلم

---

(١) السبط بكسر السين واحد الاسباط وهو ولد الولد والاسباط من بني اسرائيل كالقبائل من العرب أ هـ مختار الصحاح .

(٢) المعالم : مفرده معلم بفتح الميم والمعلم بفتح الميم واللام من كل شيء مظنته جمع معالم بمعنى خفيت معالم الطريق وليس هذا مراد الشيخ هنا بل المراد من ذلك (العوالم) فالعوالم مفردها (عالم) بفتح اللام وهو كل صنف من اصناف الخلق كعالم الحيوان وعالم النبات ويجمع على (عوالم وعالمون) بكسر اللام الاولى وفتح الثانية وقيل العوالم كل ما حواه بطن الفلك .

(٣) علم لدني رباني يصل بصاحبه من طريق الالهام .

فيقول (أنا علم أو أنا عالم أو أنا بحر فكلها دعاوى باطلة فارغة لا تستند الى دليل ولا برهان قال عليه الصلاة والسلام (العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع) وقال عليه الصلاة والسلام ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) وقال صلى الله عليه وسلم : (أنا من غير الدجال عليكم أخوف فقيل من هم يا رسول الله قال علماء السوء) ٠

ورد في بعض الآثار أن أحد العلماء واسمه والله أعلم ادعى العلم وقال للحاضرين على درسه « سلوني ما شئتم فاني أحفظ كل شيء ولا أنساه ، فلما انتهى من كلامه وأراد الخروج من المسجد لبس حذاءه كالمعتاد ووقف هنيهة بسيطة مع تلاميذه ولما أراد الخروج صار يسأل عن نعله (حذائه) أين حذائي أين حذائي ؟ واذا بأحد تلاميذه الذي كان حديث السن يقول يا سيدي الاستاذ حذاؤك أي (نعلك في رجليك) فكيف نسيته ؟ فوقف مبهوتا متحيرا ثم قال (سبحان من لا يسهو ولا يغفل ولا ينام) ثم قال أخطأت فيما قلت فالانسان مهما بلغ من العلم فلا يدعيه) وفي بعض الآثار (وليس بحديث) (من قال اني عالم فهو جاهل) ٠

أنظر أيها المريد كيف قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وقد اصطفاه لنفسه ليكون رحمة عامة للعالمين (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) (٨٥) الاسراء وقال لنبيه وحبيبه ورسوله بكل صراحة (وقل رب زدني علما) (١١٤) طه ٠

فقول الشيخ رحمه الله : (متلقين منك وعنك المعالم اللدنية) قال تعالى بالنسبة لهذا الموضوع (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من

عندنا وعلمناه من لدنا علما) (٦٥) الكهف فقوله فوجدا[1] عبدا من عبادنا هو الخضر آتيناه النبوة من عندنا وعلمناه من عندنا علما لا ينال الا بتوفيقنا (وهو علم الغيب وعلمناه مما يختص بنا علما هو علم الغيب وانظر كيف قال موسى للخضر عليهما السلام هل تقبل أن أتبعك على شرط أن تعلمني مما أفاض الله عليك رشدا[2] ؟ ٠

فانظر يا أخي وقارن بين منزلة كل من موسى صلى الله عليه وسلم والخضر عليه الصلاة والسلام ففضل الله واسع يعطي ما شاء لمن شاء فسبحانه من اله حكيم ٠

قال رحمه الله : (وأدم الله صلاتك مع السلام ، على أفضل الرسل الكرام ، وعلى جميع اخوانه من النبيين والمرسلين ، وعمم بذلك عبيدك التالين ، والملائكة المقربين) ٠ طلب رحمه الله من الله تعالى أن يجعل صلواته وتسليماته دائمة مستمرة وعلى أفضل وأعلى منزلة من الرسل الذين أكرمهم الله بالنبوة والرسالة :

وأفضل الخلق على الاطلاق　　　نبينا فمل عن الشقاق

وقال الأبوصيري :

محمد سيد الكونين والثقلين　　　والفريقين من عرب ومن عجم
هو الحبيب الذي ترجى شفاعته　　　لكل هول من الأهوال مقتحم
دعا الى الله فالمستمسكون به　　　مستمسكون بحبل غير منفصم
فاق النبيين في خلق وفي خلق　　　ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس　　　غرفا من البحر أو رشفا من الديم[3]

---

(١) هما موسى صلى الله عليه وسلم وفتاه ٠
(٢) أي علما ذا رشد ٠
(٣)الديم على وزن النعم جمع ديمة والديمة المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق ومنه قول الشاعر :
فسقى ديارك غير مفسدها　　　صوب الربيع وديمة تهمي

ثم قال رحمه الله (من دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) ٠

أحب رضي الله عنه أن يبدأ ورده بما بدأ الله وان يختمه بما ورد عن الله ورسوله ، فقال تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما)[١] ٠

وقال رحمه الله (من دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام) أراد أن يشرب من الكأسين ويجمع بين الآية والحديث ومعنى ذلك بعد أن طلب رحمه الله ، من الله تعالى أن يديم صلواته وتسليماته على سيد المرسلين أجمعين وصفوتهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أحب رحمه الله أن يجعل مثل ذلك على رسله وأنبيائه ومن تلاهم من عباده المؤمنين والملائكة المقربين قال صلى الله عليه وسلم ومن قال بعد الفراغ من المجلس الذي كان فيه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا اله الا انت أستغفرك وأتوب اليك) كفر لغط[٢] المجلس ٠

كأن سائلا سأله من هم هؤلاء الذين تطلب لهم مثل طلبك للرسول الأعظم فقال (من) الذين كانت دعواهم أي دعاؤهم[٣] في الجنة أن يقولوا سبحانك اللهم بمعنى أنهم يبدءون بالتسبيح ويختمون بالحمد وقيل ان الدعاء هنا بمعنى التمني قال تعالى (ولكم فيها ما تدعون نزلا)[٤] أي لكم في الجنة ما تتمنونه وتطلبونه اكراما من عند الله

---

(١) الاحزاب آية (٤٤) ٠

(٢) لغط المجلس ٠ لغط لغطا من باب نفع واللغط بفتحتين اسم منه وهو كلام فيه جلبة واختلاط ولاتبين ولغط المجلس ان هذا الدعاء عند القيام يكفر لغط المجلس وما حصل فيه من غيبة أو نميمة أو سعاية أو وشاية ٠

(٣) والدعوى مصدر دعا يدعو كالشكوى مصدر شكا يشكو ٠

(٤) سورة فصلت آيه (٣١) ٠

فالمؤلف رحمه الله قال (وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)[1] .

ومن قال بعد الفراغ من المجلس الذي كان فيه لغط ونيل من أعراض الناس : (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك) كفَّر لغط المجلس .

وأن هنا مخففة من الثقيلة والمعنى أنه الحمد لله فالتسبيح والتحميد والتهليل قد يسمى دعاء : (روى مسلم والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : « لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم (لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) فانه لن يدعو بها مسلم في شيء قط الا استجيب له .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (دعوة ذي النون اذ دعا بها في بطن الحوت .

ثم قال رحمه الله : (بسم الله الرحمن الرحيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١٧٣) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) (١٧٤) آل عمران .

قوله رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم ذكر البسملة هنا لعله قصد به التبرك لأن البسملة ما شرعت الا لتكون في أوائل السور كما ورد في باب الاستعاذة في فن التجويد وفي مثل هذه الحالة يؤتى بالاستعاذة بدلا من البسملة وقال الامام ابو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي رضي الله عنه في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن) في الصفحة السادسة عشرة منه (فصل) فان اراد الشروع في

---

(١) سورة يونس آية (١٠) .

القراءة استعاذ فقال أعوذ بالله مـن الشيطان الرجيـم ، هكـذا قال الجمهور من العلماء · وقال بعض العلماء يتعوذ بعد القراءة لقوله تعالى : (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم[1] وتقدير الآية عند الجمهور (اذا اردت القراءة فاستعذ الخ ثم صيغة التعوذ كما ذكرناه ، وكان جماعة من السلف يقولون : أعوذ بالله السميـع العليم من الشيطان الرجيم ، ولا بأس بهذا ، ولكن الاختيار هو الأول (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ثم ان التعوذ مستحب وليس بواجب وهو مستحب لكل قارىء سواء أكان في الصلاة أم في غيرها ويستحب في الصلاة في كل ركعة على الصحيح من الوجهين عند أصحابنا · وعـلى الوجه الثاني انما يستحب في الركعة الاولى · فان تركه في الاولى أتى به في الثانية الخ ··

ثم قال : وينبغي أن يحافظ على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة سوى براءة فان أكثر العلماء قالوا انها آية ، حيث تكتب في المصحف ، وقد كتبت في أوائل السور سوى براءة ، فاذا قرأها كان متيقنا قراءة الختمة أول السورة فاذا أخل بالبسملة (يعني كأن لم يأت بها في أوائل السور) كان تاركا لبعض القرآن عند الأكثرين · فاذا كانت القراءة في وظيفة عليها جعل[1] كالأسباع والأجزاء التي عليها أوقاف وأرزاق كان الاعتناء بالبسملة أكثر لتيقن قراءة الختمة فانه اذا تركها لم يستحق شيئا من الوقوف عند من يقول البسملة آية من أول السورة وهذه دقيقة نفيسة يتأكد الاعتناء بها واشاعتها ·

---

(١) سورة النحل آيه (٩٨) ·

(٢) الجعل بضم الجيم وتسكين العين هو ما شرطه الرجل على نفسه كالاجرة وفي اللغة هكذا كما نص عليه في مختار الصحاح (الجعل) بالضم ما جعل للانسان من شيء على فعل وكذا الجعالة بكسر الجيم ·

ثم قال رحمه الله : (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (١٧٣) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (١٧٤)[١] .

قوله تعالى : الذين قال لهم الناس هم منافقو المدينة ان الناس : أي كفار مكة .

(قد جمعوا لكم) : أي جموعا عريضة كثيرة كبيرة من المشركين .

فانقلبوا بنعمة من الله : هي قوة الايمان .

وفضل : هو الاجر العظيم والثواب الكبير .

واتبعوا : المراد سلكوا في عملهم هذا كل طريق يوصلهم لرضاء الله عنهم .

والمراد من اتباع رضوان الله سيرهم في الطريق التي يرضون بها ربهم فكأنه جعل ما يرضيه اماما يسير وراءه كما قال تعالى : (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير[٢] .

اذا اتبعوا رضوان الله ففي اتباع رضوان الله رضا كثير وخير كثير من الله .

والمراد من سياق هذه الآية في هذه الدرة المنيفة[٣] أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز وأصحابه للمسير الى (بدر الصغرى) لميعاد أبي

---

(١) سورة آل عمران .

(٢) سورة آل عمران آية (١٦٢) .

(٣) المنيف المشرف على غيره يقال : عز منيف عال تام ، وقصر منيف طويل في ارتفاع والمنيفة : يقال امرأة منيفة تامة الطول والحسن ففي قوله الدرة المنيفة اي التامة الحسن وفي ذلك تشبيه لا يخفى على من له المام في علم البيان (البلاغة) .

سفيان أتاهم المنافقون وقالوا نحن أصحابكم الذين نهيناكم عن الخروج اليهم وعصيتمونا وقد قاتلوكم في دياركم وظفروا فان أتيتموهم في ديارهم فلا يرجع منكم أحد فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل (فزادهم ايمانا) أي فزاد المؤمنين قول الناس ايمانا أي تصديقا ويقينا في دينهم واقامة على نصرتهم ، وقوة وجراءة واستعدادا فزيادة الايمان على هذا هي في الأعمال يقول صلى الله عليه وسلم « الايمان بضع وسبعون بابا فأعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق »[1] . وفي حديث علي كرم الله وجهه « ان الايمان ليبدو لمظة بيضاء في القلب كلما ازداد الايمان ازدادت الكلمة » . وكذلك النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب كلما ازداد النفاق اسود القلب حتى يسود القلب كله روى البخاري عن ابن عباس قال في قوله تعالى « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له الناس : (ان الناس قد جمعوا لكم)[2] .

وقوله تعالى : (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) . قال علماؤنا : لما فوضوا أمورهم اليه واعتمدوا بقلوبهم عليه أعطاهم من الجزاء أربعة معان من النعم ، النعمة ، والفضل ، وصرف السوء ، واتباع الرضا فرضاهم عنه ورضي عليهم .

---

(١) أخرجه الترمذي وزاد مسلم والحياء شعبة من الايمان ، وأماطه دفعه وأزاله .

(٢) لمظة على وزن فعلة كهمزة وهي بفتح اللام والميم عند المحدثين واما كلام العرب فبالضم كما تقدم مثل شبهه ودهمه وخمره وفي هذا الحديث والتوجيه حجة على من أنكر أن يكون الايمان يزيد وينقص وقوله (لمظة) قال اللمظة مثل النكتة ونحوها من البياض ومنه قيل فرس المظ اذا كان بمحجلته شيء من البياض .

ثم قال رضي الله عنه : (وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين)(١) ٠

يعني (وان يريدوا ان يخدعوك) أي بأن يظهر والك السلم(٢) ويبطنوا الغدر والخيانة فان حسبك الله هو كافيك أي كافيك الله أي يتولى كفايتك وحياطتك ٠ كما قيل :

اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا
فحسبك والضحاك سيفٌ مهنّدُ

ثم قال رحمه الله في درته مقتبسا من القرآن الكريم قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم (١٢٨) فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) (١٢٩)(٣) ٠

هاتان الآيتان في قول أبَيّ بن كعب أقرب للقرآن بالسماء عهدا وفي قول سعيد بن جبير رضي الله عنه آخر ما نزل من القرآن (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)(٤) ٠

اذاً فيحتمل أن يكون قول (أبَيّ أقرب القرآن بالسماء عهدا بعد قوله (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله) والخطاب للعرب في قول الجمهور وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك حيث جاء بلسانهم وبما يفهمونه وشرفوا به غابر الأيام وقال الزجاج خطاب لجميع العالم ٠

---

(١) سورة الانفال آية (٦٢) ٠

(٢) بان يظهروا لك الصلح السلم بفتح السين الصلح والسلم بكسر السين السلام (ادخلوا في السلم كافة) اي في الاسلام كما قرأ ابو عمرو ٠

(٣) التوبة مدنية الآيتان (١٢٨) ، (١٢٩) ٠

(٤) سورة البقرة آية (٢٨١) ٠

والمعنى : لقد جاءكم رسول من البشر والاول أصوب وأقبل • قال ابن عباس : (ما من قبيلة من العرب الا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه قال : (يا معشر العرب : لقد جاءكم رسول من بني اسماعيل والقول الثاني أوكد للحجة اي هو بشر قبلكم لتفهموا عنه وتأتموا به وقوله تعالى : (من أنفسكم يقتضي مدحا لنسب النبي صلى الله عليه وسلم وانه من صميم العرب وخالصها •

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله اصطفى كنانــة مــن ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانه واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » وروى عنه صلى الله عليه وسلم (اني ولدت من نكاح ولست من سفاح)[1] •

ومعنى هذا ان نسبه صلى الله عليــه وسلم الى آدم عليــه الصلاة والسلام لم يكن النسل فيه الا من نكاح ، ولم يكن فيه زنا •

وقرأ عبد الله بن قسيط المكي (من أنفَسكم) بفتح الفاء مــن النفاسة ، ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضي الله عنها أي جاءكم رسول من أشرفكم وأفضلكم من قولك شيء نفيس اذا كان مرغوبا فيه وقيل : (من أنفسكم) أي أكثركم طاعة قوله تعالى : (عزيز عليهما عنتم) أي يعز عليه مشقتكم والعنت : المشقة مــن قولهم (أكمة" عنوت) اذا كانت شاقة مهلكة و (ما) في (عنتم) مصدرية ظرفية وهي ابتدائية و (عزيز) خبر مقدم ويجوز ان يكون (ما عنتم) فاعلا بعزيز و (عزيز) صفة للرسول ، وهو أصوب وكذا (حريص عليكم) وكذا (رؤف رحيم) رفع على الصفة وفي قوله (يشق) عليــه أن تدخلوا النار (حريص عليكم) أن تدخلوا النار (بالمؤمنين رءوف

---

(١) رواه مسلم والترمذي عن واثلة •

رحيم) الرءوف المبالغ في الرأفة والشفقة قال الحسين بن الفضل : (لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه الا للنبي صلى الله عليه وسلم فانه قال (بالمؤمنين رءوف رحيم) ٠

ونظم الآية وزبدة القول[١] في هذه الآية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز حريص بالمؤمنين رءوف رحيم ، عزيز عليه (يشق عليه) عنتكم ومشقتكم أي لا يهمه صلى الله عليه وسلم الا شأنكم ، وهو قائم بالشفاعة لكم فلا تهتموا بما عنتم (أي بما أصابكم من المشقة والعنت والتعب) لا تهتموا ما دمتم قائمين على سنته ، فانه لا يرضيه الا دخولكم الجنة ٠

وقوله تعالى : (فان تولوا فقل حسبي الله أي ان أعرض الكفار يا محمد عن دينك ودعوتك بعد هذه النعم التي منّ الله عليهم بها فقل حسبي الله ، أي كافي الله[٢] (لا اله الا هو عليه توكلت) أي اعتمدت واليه فوضت جميع أموري ٠ (وهو رب العرش العظيم) أي خص العرش لانه أعظم المخلوقات فيدخل فيه ما دونه وفي كتاب أبي داود عن أبي الدرداء قال : (من قال اذا أصبح واذا أمسى حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه صادقا كان بها أو كاذبا ٠

أقول انما ذكر المؤلف رحمه الله هذه الآيات الآنفة الذكر تيمناً[٣] وقد وقف ضد أوارده نفر من الناس واعترضوا عليه وهم من الملحدين في الدين فقال في الآية الاولى :

(حسبنا الله ونعم الوكيل) ٠

---

(١) وزبدة القول خلاصته ٠
(٢) أي يكفيني شرهم وحسدهم وعنادهم ٠
(٣) تبركا واقتداء ٠

وقال في الآية الثانية : (وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) ٠

وقال في الثالثة : (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ٠

وقال في الرابعة : (فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) ٠ وأعداء العارفين بالله وأولياء الرحمن كثيرون وهم موجودون في كل زمان ومكان يقول الله في حق هؤلاء المؤذين لأولياء الرحمن : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا)[١] ٠

ويقول الله تعالى في حق أوليائه وأنصار دينه (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) (٦٤)[٢] ٠

هؤلاء العارفون بالله لهم أعوان على الخير ولهم اخوان على السراء والضراء ولهم أضداد يقفون في طريق دعوتهم ويعادونهم ويتسلطون عليهم بالغيبة والشتائم ولا يبالون ٠ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال عن الله تبارك وتعالى (من آهان لي وليا[٣] فقد بارزني بالمحاربة) وما ترددت في شيء أنا فاعله ما ترددت في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت ، وأكره مساءته ،

---

(١) الآية ٥٨ ـ الاحزاب ٠

(٢) سورة يونس الآيتان ٦٣ ، ٦٤ ٠

(٣) بيان للاولياء فالولاية هي خليقة الايمان والتقوى ولا تكون التقوى الا بالعلم الصحيح فالولي هو العالم العامل ٠ وقد نقل عن الامام الشافعي رضي الله عنه ما معناه : اذا لم يكن العلماء هم الاولياء فلا تدري من هم ٠ ومن هنا نعلم ما عليه فساد زماننا بفساد جهلة أهله ٠

ولأبدله منه وما تقرب الي عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ، ولا تعبد لي بمثل ما افترضته عليه)[١] ٠

وفي رواية للبخاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته[٢] بالحرب ، وما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي من أداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب[٣] إلي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها وان سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه[٤] ٠

ثم قال رحمه الله بعد ذلك (ومـن يتق الله يجعـل له مخرجا[٥] ويرزقه من حيث لا يحتسب ومـن يتوكل عـلى الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا)[٦] ٠

ومعنى ذلك والله أعلم (ان من يتق الله يجعل له مخرجا من المضايق ويرزقه من جهة لا يتوهم ان يناله منها خير) ، (ومن يتوكل على الله فهو كافيه ان الله بالغ كل أمر يريده لا يفوته منه شيء أو جعل له قدرا معينا وحدا محدودا أو جعل له تقديرا لا يتعداه في مقداره ولا في زمانه) ٠

فكأن المؤلف رحمه الله لا يخشى العيلة والفقر ولا يخشى استبطاء الرزق وكأنه يائس مما في أيدي الناس وقرأنا في ترجمة حياته أنه

---

(١) رواه البخاري ٠

(٢) أعلمته وأنذرته ٠

(٣) كناية عن تمام قربه من ربه وعناية الرب به ٠

(٤) عاذبه واستعاذ لجأ اليه وهو عياذه أي ملجؤه و (أعاذ غيره به) وعوذه به بمعنى ولاعيذنه لاجيرنه واحميه من كل ما يخشى ويخاف ٠

(٥) الآيتان (٥) و (٦) من سورة الطلاق ٠

كان رضي الله عنه يعيش عيشة الزاهدين المتقللين من الدنيا الراضين بما حصل وما وجد كان له رضي الله عنه عشرة ابناء واربع بنات مات ولم يترك لهم شيئا فقال له أحد أخوتنا في الله الاولاد صغار كلهم تحت الغربال وقد عاشوا من بعده علماء مرشدين وقد أكثر الله من عدد ذريته حتى اليوم فالاشراف فخذ عبد الرحمن الشريف الجد الاعلى للعائلة في كل مكان والحمد لله لهم شأنهم وتقديرهم الله حسبهم وكما قال صلى الله عليه وسلم (من أراد أن يكون أغنى الناس فليتق الله) وعن جابر بن عبد الله أن هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الاشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفاقة[1] وقال : ان العدو أسر ابني وجزعت الأم ، فما تأمرني ؟ فقال عليه الصلاة والسلام (اتق الله واصبر وآمرك واياها ان تستكثرا من قول (لا حول ولا قوة الا بالله) ، فعاد الى بيته وقال لامرأته : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني واياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله . فقالت نعمَ ما أمرنا به فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى ابيه فنزلت الآية ، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الأغنام له لأن أموال العدو الحربي جائز اغتنامها ومعلوم أن أسلحة المؤمن متعددة فمن جملتها وهو أقواها الدعاء وهذا أيضا بالنسبة لما يحمله المؤمن من عقيدة وايمان . أما ضعفاء الايمان فلا يؤمنون بمثل هذا السلاح البتار يقول عليه الصلاة والسلام (اتقوا دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب) ويقول عليه الصلاة والسلام (اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كأنها الشرار)[2] وقال صلى الله عليه وسلم : (اتقوا دعوة المظلوم وان كانت من كافر فانها ليس دونها حجاب)[3] فسهام الدعاء لا تخطيء فاتقوها .

---

(١) الفاقة هي الحاجة والفقر وافتاق الرجل افتقر ولا يقال فاق الرجل .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك والضياء في المختارة عن ابن عمر .

(٣) رواه أحمد في مسنده ورواه ابو يعلى في مسنده والضياء في المختارة .

وورد أنه لما استاق ابن عوف غنم العدو فجاء عوف نفسه وسأل النبي صلى الله عليه وسلم وقال : (أيحل لي أن آكل مما أتى به ابني قال صلى الله عليه وسلم (نعم) ونزلت (ومن يتق الله) الآية[١] وروى الحسن عن عمران بن الحصين قال مؤونة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من انقطع الى الله كفاه الله كل رزقه[٢] ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها » وقال الزجاج في تفسيره : أي اذا اتقى وآثر الحلال والتصبر على أهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لايحتسب : وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب » (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي من فوض اليه أمره كفاه ما أهمه) وقيل : (أي من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل على الله فله ما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا وهذا لا يمنع ان المتوكل قد يصاب[٣] في الدنيا وقد يقتل أحب ما لديه (ان الله بالغ[٤] أمره) أي قاض أمره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه) الا أن من توكل عليه فيكفر عنه سيأته ويعظم له أجرا قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم « فنحن اذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه فنزلت (ان الله بالغ أمره فيكم وعليكم) .

---

(١) يعني اقرا الآية .

(٢) المؤنة بالهمز وعدمه ومانت القوم من باب قطع احتملت مؤونتهم ومن ترك الهمز قال بيتهم من باب قال رواه الطبراني عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٣) فقد يبتلي المؤمن الصادق بماله أو ولده أو جسمه ففي الحديث اذا أحب الله عبد ابتلاه وفي الحديث : (اذا أحب الله عبدا حماه الدنيا ، كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء) رواه الطبراني عن رافع بن خديج وابن حبان في المستدرك عن أبي قتادة .

(٤) قرأ العامة (أي عامة القراء) (بالغ منونا أمره) نصبا على المفعولية مرتفع ببالغ والمفعول محذوف والتقدير (بالغ أمره ما أراد) .

وقال الربيع بن خيثم : (ان الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ، ومن آمن به هداه ، ومن أقرضه جازاه ، ومن وثق به نجاه ومن دعاه أجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله (ومن يؤمن بالله يهد قلبه)[1] (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)[2] (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم)[3] (ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم)[4] (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان)[5] .

وتأييدا لما كان عليه شيخنا رحمه الله من مقاومة الملحدين وتعديهم على أهل طريقه وتحديهم له ولأتباعه قال :

نحن بالله عزنا[6] والحبيب[7] المقرّب
بهما[8] عز نصرنا لا بجاه ومنصب
كل من رام ذلنا من قريب وأجنبي
سيفنا فيه قولنا حسبنا الله والنبي

ليس في هذا القول شرك ولا اشراك عندما قال رحمه الله :

بهما عز نصرنا ، فانه يقصد من ذلك أن عزتنا بالله ورسوله بطاعتهما معا كما قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[9] (٨٠) وهذا ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول في خطبته يوم بيعته

---

(١) سورة التغابن آية (١١) .
(٢) سورة الطلاق آية (٣) .
(٣) سورة التغابن آية (١٧) .
(٤) آل عمران آية (١٠١) .
(٥) سورة البقرة آية (١٨٦) .
(٦) قوتنا أي لا حول ولا قوة لنا الا بالله أي لا تحول لنا عن المعصية ولا قوة لنا على الطاعة الا بالله .
(٧) هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الاهوال مقتحم
(٨) بهما أي بطاعتهما وحبنا لله ورسوله تنصر على عدونا ومخالف طريقنا .
(٩) الآية كاملة (من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) النساء آية (٨٠) .

في السقيفة (أطيعوني ما أطعت الله ورسولـه فيكـم فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم) فالجمع بين الله ورسوله في كلمة واحدة كالتثنية كقولهم من أطاع الله ورسوله فقد أطاعهما ومن أخلص لله ولرسوله فقد أخلص لهما وكقوله (بهما) ننتصر أي باتباعهما معـا ننتصر وهناك كلمة يستند اليها في مثل هذا الموضوع (من يطع الله ورسوله فقد اهتدى ومن يعصهما فقد غوى) ٠

اذاً فقوله رحمه الله :

نحـن بـــالله عزنـــا	والحبيـــب المقـــرب
بهمـــا عـــز نصرنـــا	لا بجـاه[1] ومنصـــب
كـل مـــن رام ذلنـــا	مـــن قريـب وأجنبـــي
سيفنـــا فيـــه قولنـــا	حسبنـــا الله والنبـــي

هو قول حق وصدق وتوحيد وايمان لا شرك فيه ولا اشراك كما تزعم الوهابية وأمثالها ٠ ومعنى ذلك والله أعلم ان المؤلف رحمه الله يقول ردا على الملاحدة المعترضين المظلمة قلوبهم (نحن أهل الطريق الخلوتية الرحمانية عزتنا وقوتنا بالله وحده وسعادتنا باطاعته واطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠ وبالله وحده وبرسوله عبده يكون نصرنا على الأعداء باذن الله نحن لا نعتمد على أحد سوى الله لا على جاهنا ولا على منزلتنا ولا على علو شأننا (إنما الله إله واحد لا شريك له في ملكه أبدا فكل من رام[2] أي طلب وابتغى إذلالنا سواء أكان قريبا أم بعيدا

(١) وقوله لا بجاه ومنصب ٠ يعني ان عزتنا وقوتنا واعتزازنا انما هي بالله وباتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الجاه القدر والمنزلة وفلان ذو جاه ذو قدر ومنزلة وجاه النبي صلى الله عليه وسلم قدره ومنزلته عند الله تعالى والمنصب بوزن المجلس معناه الاصل ومنه يقال : لفلان منصب وزان مسجد أي علو ورفعة وفلان له منصب صدق يراد به المنبت وزان المجلس وقيل ذات منصب وجمال ذات شان ورفعة وعلو ٠

(٢) أي طلب او قصد او فكر في اذلالنا وقهرنا تكتفي بغضب الله عليه وبغضب النبي صلى الله عليه وسلم وهذاه معنى قوله : كل من رام ذلنا الخ ومعنى رام الشيء طلبه وبابه قال والمرام هو المطلب ٠

نكتفي بالله وبانتقامه من كل متكبر جبار وببغض النبي صلى الله عليه وسلم له لقوله عليه الصلاة والسلام (حب آل محمد إيمان وبغضهم كفر) يقول الله سبحانه وتعالى : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى)[1] وقال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكرى للعالمين)[2] أي لا أطلب منكم يا رجال قريش أجرا من المال على تبليغ رسالة ربي) (في القربى) أي بسبب القربى[3] • وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال : هي قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني (هم آل محمد) وقال جماعة من المفسرين في تفسير هذه الآية (قل يا محمد لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا الا أن توادوا قرابتي وعن أبي العالية عن سعيد بن جبير الا المودة وجاء في التعبير في القربى قال هي قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر في تفسير الزمخشري في الكشاف عند هذه الآية أمرهم اليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ولا شك أن فاطمة وعليا والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب ان يكونوا هم الآل لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب فاطمة عليها السلام قال صلى الله عليه وسلم (فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها) وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب عليا والحسن والحسين واذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) آية (٦٣) النور ، ولقوله (قل ان

---

(١) سورة الشورى آية (٢٣) •

(٢) سورة الانعام آية (٩٠) والآية التي قبلها تدل على القدوة بالانبياء وآلهم (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الآية قل لا أسألكم عليه أجرا •

(٣) فكلمة (في هنا) سببية كما في قوله صلى الله عليه وسلم (دخلت امرأة النار في هرة) أي بسبب هرة لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تاكل من خشاش الارض لان الظرفية ابلغ وآكد •

كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ولقوله سبحانه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) • وقوله رحمه الله :

سيفنا[1] فيـه قولنـا   حسبنـا الله والنبـي

يقول أحد العارفين بالله :

وإنا عـلى المؤذي لنـا سم ساعـة
ومـن لـم يصدق فليجرب ويعتـد

يعني أن يؤذي أولياء الله وعباده الصالحين لا يعمر طويلا ، ويسلط عليه من لا يخاف الله ولا يرحمه ويقول رحمه الله : والذي لا يصدقنا فليجرب وليعتد على هؤلاء فسيرى ما يحل به والله تعالى يقول : (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا (٥٧) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) (٥٨)[2] • ثم تلا رحمه الله قوله تعالى : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون (١٨٠) وسلام على المرسلين (١٨١) والحمد لله رب العالمين) (١٨٢) من سورة الصافات •

قوله تعالى (سبحان ربك) نزّه سبحانه نفسه عما أضاف ونسب اليه المشركون •

(رب العزة) على البدل من (ربك) ويجوز النصب على المدح ، والرفع بمعنى هو رب العزة •

(عما يصفون) أي من الصاحبة والولد •

---

(١) وهذا في البلاغة من باب التشبيه البليغ وهو ما حذفت من اداة التشبيه ووجه الشبه حيث بالغ في سرعة استجابة الدعاء (حسبنا الله) حتى جعلها سيفا بتارا قاطعا لألسنة الجاحدين وذلك كقول البلغاء (الشافعي علم) بالغ في مدح الشافعي حتى جعله نفس العلم وهنا جعل المؤلف كلمة (حسبنا الله والنبي) نفس السيف القاطع لكل منكر جاحد وفيه استعارة تشبه الدعاء القاطع بالسيف •

(٢) الآيتان ٥٧ و ٥٨ من سورة الاحزاب •

(٣) الآيات الثلاث (١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ من سورة الصافات •

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى (سبحان الله) فقال « هو تنزيه الله عن كل سوء » .

سئل محمد بن سحنون عن معنى (ربّ العزة) لم جاز ذلك والعزة[1] من صفات الذات ولا يقال رب القدرة ونحوها من صفات ذاته عز وجل ؟ فقال : « العزة تكون صفة ذات وصفة فعل فصفة الذات نحو قوله : « فلله العزة جميعا » وصفة الفعل نحو قوله (رب العزة) والمعنى رب العزة التي يتعاز بها الخلق فيما بينهم فهي من خلق الله جل وعز وقد ورد في بعض التفاسير أن العزة ها هنا يراد بها الملائكة فكأنه سبحانه مخبرا عن ذاته أنه (رب الملائكة والناس أجمعين) وقال بعض علمائنا : « من حلف بعزة الله فان اراد عزته التي هي صفته فحنث[2] فعليه الكفارة .

وان اراد التي (أي العزة التي جعلها الله بين عباده فلا كفارة عليه .

وروي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول قبل أن يسلم (سبحان ربك رب العزة) الى آخر السورة ذكره الثعلبي وبالسند المتصل قال حدثنا هيثم عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته او حين ينتهي «سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) .

---

(١) وهي القوة والغلبة (عزه) في الخطأ و (عازه) أي غالبة و (عزه) غلبه وبابه رد ومنه قوله تعالى (وعزني في الخطاب) آية (٢٣) ص .

(٢) حنث : الحنث الاثم والذنب يعني الانسان في الاثم والذنب فعليه الكفارة وبلغ الغلام الحنث اي بلغ المعصية يعني وصل اليها بالسن وبلغ الطاعة بالبلوغ .

والحِنْثُ الحلف في اليمين وهو المراد هنا تقول (أحنثه) في يمينه فحنث وتقول منهما (حنث) بالكسر (حنثا) بكسر الحاء .

قال الماوردي : روى الشعبي قال : قال[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم « سبحان ربك رب العزة عما يصفون (١٨٠) وسلام على المرسلين (١٨١) والحمد لله رب العالمين »(١٨٢)[2] .

وقوله تعالى « وسلام على المرسلين » أي الذين بلغوا عن الله تعالى التوحيد والرسالة .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم (اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فاني أنا رسول من المرسلين . يوم الفزع الأكبر كما قال تعالى (لا يحزنهم الفزع الأكبر)[3]

وقيل (وسلام على المرسلين) أي أمن وأمان لهم من الله جل وعز (والحمد لله رب العالمين) أي على ارسال المرسلين مبشرين ومنذرين وقيل (والحمد لله رب العالمين) على جميع من أنعم الله به على الخلق أجمعين وقيل (نحمده على هلاك المشركين والدليل على ذلك قوله تعالى (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)[4] .

والكل مراد والحمد يعم ومعنى (يصفون) يكذبون والتقدير مما يصفون من الكذب .

تم شرح الدره

ويليه شرح تحفة الاخلاص

---

(١) ذكره الثعلبي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا .
(٢) سورة الصافات الآيتان (١٨١ ، ١٨٢) .
(٣) آية (١٠٣) الأنبياء .
(٤) آية (٤٥) الانعام .

بسم الله الرحمن الرحيم

« شرح تحفة الاخلاص »

يا رب صل على الموصوف بالكرم
محمد وعلى الآل أولى الهمم

هذا البيت يطلب فيه الجد رحمه الله من الله أن يصلي على حبيبه المصطفى المنعوت والموصوف بالجود والكرم . وأي كرم وأي سخاء وأي جود يتصف به هذا الرسول الكريم فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان أجود من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون في رمضان لأن شهر رمضان ظرف يتطلب العطف والمساواة وأما كرمه وسخاؤه في غير شهر رمضان فشيء لا يقف عند حد فكان ينفق إنفاق من لا يخشى الفاقة والفقر وما قال يوما لأحد طلب منه شيئا (لا) بل كان يقول لمن يسأله (نعم) سأله أعرابي وجذبه[1] أو جبذه من ثوبه قائلا يا محمد أعطني مما أعطاك الله قال صلى الله عليه وسلم : (إذهب الى ذلك الرجل التاجر وابتع منه على حسابي وأنا أقوم بوفاء دينه) وهناك حوادث تاريخية في كرمه وسخائه صلى الله عليه وسلم تبهر[2] العقول من أراد التوسع فليرجع الى كتب السيرة النبوية أو الى كتاب (محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل)[3]فانه سيجد فيها العجب العجاب .

وقوله رحمه الله : محمد وعلى الآل أولى الهمم قد يصدق الاول على كل تقي كما قال عليه الصلاة والسلام (آل محمد كل تقي) .

---

(١) جبذ الشيء مثل جذبه مقلوب منه وبابه ضرب .

(٢) بهر غلبه وبابه قطع (وبَهَره) بهرا من باب نفع غلبه وفضله ومنه قيل القمر الباهر لظهوره على جميع الكواكب .

(٣) لمحمد جاد المولى بك .

فقوله (يا رب صل)[١] دعاء وطلب منه رحمه الله أن يصلي على رسوله وعلى آله الكرام أولى[٢] الهمم إنما أفرد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عن السلام لجوازه استدلالا على ذلك بحديث كعب وغيره (كيف أصلي عليك يا رسول الله) لان السلام كان عنده معروفا على ان أفراد الصلاة والسلام لا يكره وكذا العكس لان تعليم التسليم تقدم قبل تعليم الصلاة فأفراد التسليم مرة في التشهد قبل الصلاة عليه اذأ يجوز أن تقول : (عليه الصلاة) (وعليه السلام) وهناك أقوال بعدم الجواز فلا يجوز أن نقول (عليه السلام)[٣] كما صرح بذلك الامام النووي وغيره بالكراهة واستدل بورود الامر بهما معا في الآية قال تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)[٤] .

من هو الموصوف بالكرم ؟ (هو محمد) يصح أن تقرأ محمد بالجر هكذا (محمد) نباء على أنها بدل من الموصوف ويصح قراءتها بالرفع على القطع مرادا منها المدح والثناء وتكون خبرا لمبتدأ محذوف ويصح قراءتها بالنصب منصوبة على المدح كأن تقول (محمداً) أعني أمدح محمدا أو أعني محمدا والاولى قراءتها بالجر والمراد من الآل ما يعم آل بيته وصحابته رضي الله عنهم ورضوا عنه .

تم القسم الثاني من شرح الأوراد

ويليه القسم الثالث

---

(١) قوله (يا رب صل) الخ لم يقل وسلم اكتفاء او ان المؤلف أراد الصلاة والسلام معا ولكن لضرورة الشعر .

(٢) أولى أصحاب الهمم العالية ومفردها ذو بمعنى صاحب .

(٣) وقد رأيت كثيرا من مؤلفي هذا الزمن يختصر ويقتصر ويقول (محمد عليه السلام) ابراهيم عليه السلام ومن مؤلفي هذا الزمان من يقول بدلا من (صلى الله عليه وسلم) (صلعم) وبدلا من رضي الله عنه عن أحد الصحابة والتابعين (رض) والترضي عن الصحابة والتابعين والعلماء العاملين كذلك فلو أتب بقلمه (صلى الله عليه وسلم) أو (رضي الله عنه) كأنه قالها لفظا (وانما الاعمال بالنيات) وما علم هؤلاء بان المصلي عليه باللفظ والكتابة في الاجر سواء .

(٤) سورة الاحزاب آية (٥٦) .

وأوله :

يا نفس كـم ذا التواني فيقي وانسجمي
واستيقظـي واتركـي العصيـان لا تسمـي

قال رحمه الله مبتدئا في توبيخ النفس وتقريعها ولومها :

يقول الله سبحانه وتعالى على لسان يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام (وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم)[1] .

وقال الامام الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة تاج الدين ابو العباس أحمد[2] بن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى في كتابه تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس قال رحمه الله (أيها العبد أطلب التوبة من الله في كل وقت فان الله تعالى قد ندبك ودعاك اليها فقال تعالى (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)[3] وقال تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)[4] وقال صلى الله عليه وسلم : (إني ليغان[5] عـلى قلبي وإني لأستغفر الله في اليـوم سبعين مرة)

فان أردت التوبة (أيها العبد) فينبغي لك ألا تخلو مـن التفكير طول عمرك فتفكر فيما صنعت في نهارك فان وجدت طاعة فاشكر الله عليها وان وجدت معصية (فوبخ نفسك على ذلك ، واستغفر الله وتب

(١) سورة يوسف آية (٥٣) .
(٢) وقد زرته عدة مرات والحمد لله في جبل المقطم قرب قرافة مصر المحروسة وزرت من حوله وهم ابن دقيق العيد والكمال بن الهمام وعبد الله بن أبي جمرة رضي الله عنهم أجمعين .
(٣) سورة النور آية (٣١) .
(٤) سورة البقرة آية (٢٢٢) .
(٥) الغين لغة في الغيم الواحدة غيمة وغينة وغينت السماء بالبناء للمفعول غطيت بالغين وفي الحديث (وانه ليغان على قلبي) كناية عن الاشتغال عن المراقبة بالمصالح الدنيوية فانها وان كانت مهمة فهي في مقابلة الامور الاخروية كاللهو عند اهل المراقبة .

اليه ، فانه لا مجلس مع الله أنفع لك من مجلس توبخ فيه نفسك ولا توبخها وأنت ضاحك فرح بل وبخها وأنت مجد صادق مظهر للعبوسه حزين القلب منكسر ذليل فان فعلت ذلك أبدلك الله بالحزن فرحا وبالذل عزا وبالظلمة نورا وبالحجاب كشفا)[١] .

واليك ما قاله الشيخ الامام العارف بالله تعالى زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي[٢] قدس الله روحه ونور ضريحه .

انظر الى ما قاله في كتابه (منهاج العابدين) في تقريع نفسه فصل : (وجملة الامر أنك اذا ابتدأت فبرأت قلبك عن الذنوب كلها بأن توطنه[٣] على أن لا تعود الى الذنب أبداً ألبتة الا ما كان منك في علم الله على وجه علم الله سبحانه وتعالى صدق عزمك من قلب نقي وترضى الخصوم بما أمكنك الى آن قال وتلوم نفسك العاصية على الذنوب وتوبخها وتقول (أما تستحيين يا نفس أما آن لك أن تتوبي ألك طاقة بعذاب الله سبحانه ، ألك حاجة بسخط الله سبحانه وتذكر من هذا كثيرا وتبكي خاشعا خاضعا ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم

(١) هذا ما قاله ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه في توبيخ النفس .

(٢) وطوس بلد من أعمال نيسابور على مرحلتين وهذا هو بلد الامام الغزالي ويطيب له بهذه المناسبة أن أبين ما يقال في كلمة الغزالي فبعض المؤلفين بل كثير من المنتسبين للعلم يقول الغزالي بتشديد الزاي نسبة الى الغزل الذي كان يغزله بنفسه ليأكل من كسب يمينه وبعضهم يقول (الغزالي) بلا تشديد الزاي وبالرجوع الى كتاب المصباح المنير تبين ما يأتي . قال في المصباح وغزالة قرية في قرى طوس واليها ينسب الامام الغزالي ابو حامد الغزالي أخبرني بذلك الشيخ مجد الدين محمد بن محمد بن محي الدين محمد بن ابي طاهر شروان شاه بن ابي الفاضل فخراور بن عبيد الله بن ست النساء بنت أبي حامد الغزالي ببغداد سنة عشر وسبعمائة وقال لي أخطأ الناس في تثقيل اسم جدنا وانما هو مخفف نسبة الى غزالة القرية المذكورة .

(٣) توطين النفس كالتمهيد وطن نفسه على الامر توطينا مهدها لفعله وذللها .

وتقول : (إلهي عبدك الأبق رجع الى بابك عبدك العاصي رجع الى الصلح معك عبدك المذنب أتاك معتذرا فاعف عني بجودك وتقبلني بفضلك وانظر الي برحمتك اللهم اغفرلي ما سلف من الذنوب . واعصمني فيما بقي من الأجل فان الخير كله بيدك وأنت رؤوف رحيم ثم تدعو دعاء الشدة والكرب . (يا مجلي عظائم الامور ، يا منتهى هم المهمومين يا من اذا اراد أمرا فانما يقول له كن فيكون أحاطت بنا ذنوبنا أنت المذخور لها[1] ، يا مذخورا لكل شدة كنت أدخرك لهذه الساعة فتب علي انك أنت التواب الرحيم) ثم أكثر من البكاء والتذلل والتضرع[2] قل في دعائك يا من لا يشغله شأن عن شأن ، ولا سمع عن سمع الى أن قال أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك برحمتك يا أرحم الراحمين انك على كل شيء قدير ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ثم تستغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات وترجع الى طاعة الله جل جلاله فتكون قد تبت توبة نصوحا وقد خرجت من الذنوب طاهرا كيوم ولدتك أمك وأحبك الله سبحانه ومنحك من الأجر والثواب وعليك من البركة والرحمة مالا يحيط به وصف الواصفين وحصل لك الأمن والخلاص ونجوت من غضبه وغصة المعاصي وبليتها في الدنيا والآخرة وكنت قطعت هذه العقبة باذن الله سبحانه وتعالى والله ولي الهداية بمنه وفضله .

وقال في كتاب تنوير القلوب صفحة ٤٧٠ .

(١) ذخرته ذخرا من باب نفع والاسم الذخر بالضم اذا أعددته لوقت الحاجة اليه واذّخرته على افتعلت مثله ومعنى ذلك أننا اذّخرناك لوقت الحاجة والشدة .

(٢) ضرع الرجل يضرع بالفتح فيهما (ضراعة) خضع وذل فعطف التضرع على التذليل عطف تفسير أو عطف مرادف كقمح وبر وأسد وغضنفر .

« فصل في النفس »

إعلم أن معرفة النفس فرض عين لكل فرد من أفراد الانسان لان معرفة الله متوقفة على معرفة النفس ولأن (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[١] ومعناه من عرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفناء عرف ربه بالعز والقدرة والبقاء ومفهومه من لم يعرف نفسه لا يعرف ربه ومعرفة الرب فرض عين لقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)[٢] وكل من يتوقف عليه فرض فهو فرض فمعرفة النفس فرض عين فمن جهل نفسه فهو أجهل بربه فلا بد من معرفة نفسه حتى يعرف ربه وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري في لطائف المنن :سمعت شيخنا ابا العباس المرسي يقول وفي هذا الحديث تأويلان أحدهما ــ أي من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف الله بعزه وقدرته وغناه فتكون معرفة النفس اولا ثم معرفة الله من بعد •

ثانيهما ــ أن من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على أنه عرف الله من قبل •

فالاول : حال السالكين[٣] والثاني حال المجذوبين • هذا ما قاله أبو العباس المرسي[٤] رضي الله عنه •

---

(١) هذا ليس بحديث وانما حكمة وفيه مقالان المقال الاول ان هـذا الحديث عـلى فرض انه حديث ليس بصحيح وقد سئل عنه الامام النووي رضي الله عنه في فتاويه انه ليس بثابت وقال الزركشي في الاحاديث المشتهرة وذكر ابن السمعاني أنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي وهو ابو زكريا الواعظ (المقال الثاني في معناه) قال النووي رحمه الله في فتاويه : معناه من عرف نفسه بالضعف والافتقار الى الله تعالى والعبودية له عرف ربه بالقوة والربوبية والكمال المطلق والصفات العلا •

(٢) سورة الذاريات آية (٥٦) •

(٣) أولئك العقلاء أهل الصحو والاجتهاد في السير في الطاعة الى غايتهم وهو الله تعالى (وان الى ربك المنتهى)•

(٤) قال الشعراني في طبقاته الكبرى كان ابو العباس من أكابر العارفين رضي الله عنهم أجمعين وكان يقال انه ورث علم شيخه الشاذلي وحده وهو أجل من أخذ الطريق عنه وكان رضي الله عنه يقول علوم هذه الطائفة علوم تحقيق وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق وكذلك شيخه ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لم يصنع شيئا وكان يقول كتبي أصحابي أما ابن عطاء الله فهو تلميذ ابو العباس المرسي

وقال ابو طالب المكي في كتابه قوت القلوب ، معناه اذا عرفت صفات نفسك في معاملة الخلق وانك تكره الاعتراض عليك في أفعالك ، وأن يعاب عليك ما تصنعه عرفت منها صفات خالقك وانه يكره[1] ذلك ولا شك ان كتاب قوت القلوب من كتب السادة الصوفية التي عني الامام الغزالي بمطالعتها وشغف بها ٠

ثم قال أبو طالب : فارض بقضائه وعامله[2] بما تحب أن تعامل به : هذه هذه ٠

تدبر أخي :

فمن تدبر حكمة الله تعالى في خلقه ، ونظر في عواقب المعاملة الربانية لاح له أن كل ما صنع الله تعالى حسن جميل ، وحري بالرضا والقبول ٠

يا ابن الروح : أمامك هذه الآيات لتكون لك ميزانا في هذا المقام قال تعالى : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعلمون)[3] ٠

الآية الثانية : (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) (١٢٣) ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك

---

(١) ولا ريب ان كرهه سبحانه وتعالى ذلك وضع للشيء موضعه ومحله فلا عيب فيما يصنعه تعالى فكل افعاله حسنة موصوفة بالحكمة (لا يسال عما يفعل وهم يسالون) ٠

(٢) قال شيخنا واستاذنا امام عصره العلامة الشيخ يوسف الدجوي وقد كان من جماعة كبار العلماء في مصر الازهر الشريف ٠

كن راضيا بالقضا واستجل حكمته ... والعبد يرضى بما يرضاه سيده
والدار دار ابتلاء لا صفاء لها ... أما الصفاء فدار الخلد موعده

وقال غيره :

اذا ما رأيت الله في الكل فاعلا ... رأيت جميع الكائنات ملاحا

في مصر ـ الازهر الشريف :

(٣) آية ٩٧ من سورة النحل ٠

آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦) وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (١٢٧)[١] •

وقال الشيخ عز الدين[٢] : قد ظهر لي من سر هذا الحديث ما يجب كشفه ، ويستحسن وصفه وهو ان الله سبحانه وتعالى وضع هذه الروح الروحانية في هذه الجثة الجثمانية (والروح منسوبة الى الاله لانه سبحانه خالقها ونافخها بواسطة الملك في البدن ولذا قال عنها لطيفة لاهوتية ، موضوعه في كثيفة غليظة مستوية فاللاهوتية نسبه للاهوت (أي ذات الاله) والناسوتية نسبه للناسوت اي البدن (وحدانية وربانية) ووجه الاستدلال بذلك من عشرة أوجه :

الوجه الاول : ان هذا الهيكل الانساني لما كان مفتقرا الى مدبر ومحرك وهذه الروح[٣] تدبره وتحركه علمنا ان العالم لا بد له من مدبر ومحرك (والمدبر والمحرك هو الله سبحانه وتعالى الموصوف بالربوبية •

(١) هذه الآيات كلها من سورة طه •

(٢) هو ابو محمد شيخ الاسلام سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد ابن مهذب السلمي ولد سنة سبع او ثمان وسبعين وخمسمائة ، تفقه على الفخر بن عساكر ، واخذ الاصول عن السيف الاموي ، وسمع الحديث من عمر بن طبرزد وغيره ، وبرع في الفقـه والاصول والتربية ، قال الذهبي في العبر : انتهت اليه معرفة المذهب مع الزهد والورع وبلغ رتبة الاجتهاد وقدم مصر فاقام بها اكثر من عشرين سنة ناشرا للعلم آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر لا يخاف في الحق لومة لائم يغلظ على الملوك فمن دونهم ، ولما دخل مصر بالغ الشيخ زكي الدين المنذري في الادب معه وامتنع عن الافتاء لاجله وقال : كنا نفتي قبل حضوره ، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه وألقى التفسير بمصر دروسا وألف كتبا منها : الفتاوى الموصلية ، مختصر النهاية ، شجرة المعارف والقواعد الصغرى والكبرى ، وبيان أحوال الناس يوم القيامة • وله كرامات كثيرة ولبس خرقـة التصوف •

(٣) يذكر ويؤنث هذا الروح وهذه الروح ومثله الطريق من الشهاب السهروردي ، وكان يحضر عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، ويسمع كلامه في الحقيقة ويعظمه وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي : قيل لي ما على وجه الارض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام وما على وجه الارض مجلس في الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكي الدين عبد العظيم ، وما على وجه الارض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك •

وقال ابن كثير في تاريخه : انتهت اليه رسالة المذهب وقصد بالفتوى من سائر الآفاق ، كان يفتي بما أدى اليه اجتهاده وقال تلميذه ابن دقيق العيد (وقد زرته في جبل المقطم قرب قرافة مر وهو بجوار الكمال ابن الهمام وعبد الله بن أبي جمرة وكلهم بجوار احمد بن عطاء الله السكندري زرتهم جميعا عدة مرات والحمد لله رب العالمين) •

الوجه الثاني : لما كان مدبر الهيكل (الجسم الانساني) واحدا وهو الروح علمنا ان مدبر هذا العالم واحد لا شريك له في تدبيره وتقديره ولا جائز أن يكون له شريك في ملكه قال الله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا[1] فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ومعنى ذلك ان الارض والسماء في صلاح مشاهد ، فلو كان فيهما آلهة الا الله لخربتا واختل نظامهما وزالتا وهلك من فيهما وما أحسن الموعظة في هذا الشعر المخمس :

تبصر حيث كان لـك التبصر — وفي ذات الالـــه دع التفكـر
وان ترد المهيمن حـين تذكر — تأمل في نبات الارض وانظر
الى آثـار مـا صنـع المليـك

فأنـوار المهيمـن لامعـــات — وأفكار الخلائـق حائـــرات
ولـكن الأدلـــة واضحـــات — أصول مــن لجين زهـــرات
يطير بهــا لـــه جرم سميــك

— أقول قال ابن دقيق العيد عنه (كان ابن عبد السلام احد سلاطين العلماء وحكى القاضي عز الدين الهكاري ان الشيخ عز الدين بن عبد السلام أفتى مرة بشيء ثم ظهر له أنـــه أخطأ فنادى في مصر والقاهرة على نفسه من أفتى له ابن عبد السلام بكذا فلا يعمل به فانه خطأ .

وقال القطب اليوني : كان ابن عبد السلام مع شدته وصلابته حسن المحاضرة يلقي محاضرة على الحضور بأحسن ما يقال ويسمع) وحسن المحاضرة والالقاء بالنوادر والاشعار ، وقال ابن كثير كان لطيفا ظريفا يستشهد بالاشعار ، ولما ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب ملك مصر واكثر من شراء الترك وعتقهم وتأميرهم ، قام الشيخ عز الدين القومة الكبرى في بيع اولئك الامراء وصرف ثمنهم في مصالح المسلمين وفي عهد ابن الملك الصالح ايوب - توران شاه - كان القتال والحرب بين الفرنجة والمسلمين وكان في عسكر المسلمين الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقويت الريـــح عـــلى المسلمين : فقال الشيخ عز الدين بأعلى صوته مشيرا بيده الى الريح عدة مرات فعادت الريح على مراكب الفرنجة فكسرتها ، وكان الفتح والنصر للمسلمين وغرق اكثر الفرنجة وصرخ صارخ من المسلمين قائلا الحمد لله الذي أرانا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم رجلا سخر له الريح وكانت وفاة الشيخ عز الدين رضي الله عنه في مصر عاشر جمادى الأولى سنة ستين وستمائة من الهجرة النبوية . ذلك القول الذي ذكره الشيخ جلال الدين السيوطي في كتابه المسمى (حل الرموز ومفاتيح الكنوز) والله أعلم .

(١) الآية (٢٢) الانبياء .

شموس في البريـــة مشرقات نجوم في الدياجـي لامعـــات
بطول الدهر دومـا سابحـات الى مـا لست أدري طائـرات
عـلى أغصانهــا ذهب سبيك
رياض مونقـــات منعشـــات وألــوان لعينـك مدهشـــات
وأزهـار تروقـك مبهجـــات عــلى قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس لـــه شريـــك

قال : (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا)[1] .

ومعنى ذلك القول الكريم والله أعلم (قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكا من خلقه العابدين معه غيره ليقربهم اليه زلفى لو كان الامر كما تقولون وأن معه آلهة تعبد ، لتقرب اليه وتشفع لديه ، لكان اولئك المعبودون يعبدون ويتقربون اليه ويبتغون اليه الوسيلة والقربة ، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه ولا حاجة لكم الى معبود يكون واسطة بينكم وبينه فانه لا يحب ذلك ولا يرضاه ، بل يكرهه ويأباه ، وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه ثم نزه نفسه الكريمة وقدسها فقال سبحانه (وتعالى عما يصفون) أي هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى (علوا كبيرا) أي تعاليا وارتفاعا وسموا كبيرا) .

وقال جل وعلا : (وما كان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)[2] .

وقال جل ذكره (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وتحريكها له علمنا انه مريد لما هو كائن في كونه (أي ملكه)كما جاء في

---

(١) الآية (٤٣) من الاسراء .
(٢) الآية (٩١) من سورة المؤمنون .

كتاب (حل الرموز ومفاتيح الكنوز للسيوطي) نعم لا يتحرك متحرك بخير او شر الا بتقديره وارادته وقضائه ·

الوجه الرابع : لما كان لا يتحرك في الجسد شيء الا بعلم الروح وشعورها لا يخفى على الروح من حركات الجسد وسكناته شيء علمنا انه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء كما قال تعالى : (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين)[1] ·

وقال جل ذكره (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين)[2] ·

قال مجاهد وقتادة : لا يعزب عنه لا يغيب عنه والذرة هي أصغر النمل او الهباء اي الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء فلا شك انه لا يتحرك ولا يسكن في العالم علويه وسفليه ، ولا في الارض ولا في السماء شيء الا بعلم الله تعالى صاحب الامر والنهي والتدبير والتصريف (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)[3] (يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور)[4] ·

الوجه الخامس : لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شيء أقرب الى الروح من شيء بل هو قريب الى كل شيء في الجسد علمنا انه أقرب

(١) الآية (٦١) من سورة يونس ·
(٢) الآية ٣ من سورة سبأ ·
(٣) الآية ١٠ الرعد ·
(٤) الآية ٤ التغابن ·

الى كل شيء ليس شيء أقرب اليه من شيء ولا شيء أبعد اليه من شيء (ولكن لا بمعنى قرب المسافة لانه سبحانه منزه عن ذلك ٠

الوجه السادس : لما كان الروح موجودا قبل[1] وجود الجسد ويكون[2] موجودا بعد عدم الجسد علمنا انه سبحانه وتعالى موجود قبل كون خلقه ويكون موجودا بعد فقد خلقه ما زال ولا يزال وتقدس عن الزوال ٠

« لامعة لاحقة »

قربه تعالى من خلقه بالعلم والمراقبة والاحاطة والتصرف والتدبير ونحو ذلك بما يليق نسبته الى الله تعالى مما هو من علامات القرب وقد قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه (هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير (٤) له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور (٥)[3] ٠

قال ابن كثير في تفسيره في قوله تعالى (وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير) أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم واين كنتم ، من بر أو بحر في ليل أو نهار ، في البيوت أو في القفار[4] الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم

---

(٢) جمهور العلماء على ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد وادعى ابن جرير الاجماع على ذلك ٠

(٢) الادلة على ذلك كثيرة ومنها وجود نعيم القبر وعذابه ٠

(٣) الآيتان من سورة الحديد ٠

(٤) جمع قفر وهو المكان الخالي البعيد عن الخضر كالصحراء كما قيل ٠

وقبر حرب بمكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر

وجاء في اللغة أيضا : القفر مفازة لا نبات فيه ولا ماء والجمع قفار يقال أرض قفر ومفازة قفر وارض قفرة ، والفيفاء الصحراء الملساء والجمع (الفيافي) ٠

ويعلم سركم ونجواكم وروى ابو نعيم[1] من حديث عبد الله بن علوية العامري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث من فعلهن فقد طعم[2] الايمان : ان عبد الله وحده ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام ، ولم يعط الهرمة[3] ولا الرذية[4] ولا الشريطة[5] اللئيمة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالهم ، وزكى نفسه) وقال رجل : يا رسول الله : ما تزكية المرء نفسه ؟ فقال يعلم ان الله معه حيث كان .

الوجه السابع : لما كان الروح في الجسد لا يعرف كيفية نسبه الى الكيف وهو هيئة قارة في الشيء لا يقتضي قسمة ولا نسبة لذاته واذا كان الامر كذلك علمنا أنه مقدس عن الكيفية .

الوجه الثامن : لما كان الروح في الجسد لا يعلم له أينيه[6] علمنا أنه منزه عن الكيفية والأينية فلا يوقف بأين ولا كيف بل الروح موجودة في كل الجسد ما خلا منها شيء من الجسد .

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي[7] وما أوتيتم من العلم الا قليلا) . والمراد من الروح هنا القرآن : أي يسألك يا محمد

---

(١) في الحلية .

(٢) اي ذاق طعم الايمان طعم بالكسر (طعما) بضم الطاء اذا أكل او ذاق فهو طاعم قال تعالى « فاذا طعمتم فانتشروا اي اذا أكلتم فانقلبوا » وقال تعالى « ومن لم يطعمه فانه مني (أي ومن لم يذقه) .

(٣) التي يبس لحمها بالكبر حتى صارت عجفاء هزيلة وهرم من باب تعب كبر وضعف وشيوخ هرمى مثل زمن وزمنى .

(٤) الرذية رذي رذاوة ضعف وأثقله المرض ويقال هي ناقة رذية ورذيت الناقة او الشاة حسرها الشعر حتى لا تستطيع براحها .

(٥) الشريطة : وشرط المعزى رذالها وأردؤها والشريطة هي المشقوقة الاذن من الابل والشاة أثر في حلقها أثر يسير كشرط المحاجم من غير انهار دم ولا افراء او داج ، وكان يفعل ذلك في الجاهلية يقطعون يسيرا من حلقها ويجعلونه زكاة لها .

(٦) نسبة الى الاين وهو حالة تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان .

(٧) آية (٨٥) الاسراء .

مشركو العرب عن كيفية اتيانك بهذا القرآن وتطلق الروح على كل ما يوحى به الله سبحانه وتعالى الى أنبيائه وبعض المفسرين يحمل هذه الآية على روح الجسد (لأنها من شأن ربي وحده ولا يعلم كنهها[1] وحقيقتها الا الله سبحانه وتعالى ·

قال الامام اللقاني في الجوهرة :

ولا تخض في الروح اذ ما وردا — نص من الشارع لكن وجدا
لمالك هي صورة كالجسد — فحسبك النص بهذا السند

وكذلك الحق سبحانه وتعالى موجود[2] في كل مكان ما خلا منه مكان وتنزه عن المكان والزمان ·

الوجه التاسع : لما كان الروح في الجسد لا يدرك بالبصر ولا يمثل بالصور علمنا انه سبحانه وتعالى لا تدركه الابصار ولا يمثل بالصور[3] ·

نعم لا يمثل بالصور والآثار ، ولا يشبه بالشموس والأقمار (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[4] ·

وقال الامام اللقاني ايضا :

ومنه أن ينظر بالأبصار — لكن بلا كيف ولا انحصار

---

(١) اي حقيقتها فعطف الحقيقة عليها عطف مرادف او تفسير ·
(٢) ارجع الى قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) ·
(٣) في معنى حديث (خلق الله آدم على صورته) أخرجه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال الامام الغزالي رضي الله عنه : الصور اسم مشترك يطلق على ترتيب الاشكال ووضع بعضها في بعض واختلاف تراكيبها وهي الصورة المحسوسة ، وقد يطلق على ترتيب المعاني التي ليست محسوسة ·
(٤) الآية (١١) من سورة الشورى ·

الوجه العاشر : لما كان الروح لا يحس ولا يمس علمنا أنه منزه عن الحس والجسم واللمس والمس فهذا معنى قوله في القول المأثور (من عرف نفسه فقد عرف ربه) فهـذه هي الأوجـه العشرة التي يستدل بها على وجود الله ووحدانيته وذكرتها لك وجها وجها لتكون على بصيرة من أمر دينك ٠

ولهذا الحديث تفسير آخر وهو أنك تعرف أن صفات نفسك عـلى الضد من صفات ربك فمن عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء ، ومن عرف نفسه بالجفاء والخطأ عرف ربه بالعطاء والوفاء ، ومن عرف نفسه كما هي عرف به كما هو ٠

واعلم أنه لا سبيل لك الى معرفة إياك كما إياك (يعني أنت لا تعرف نفسك كما هي) فكيف لك سبيل الى معرفة إياه كما إياه فكأنه في قوله (من عرف نفسه عرف ربه) علق المعرفة على مستحيل أو علق المستحيل على مستحيل فكأنه سأل سائل وقال (أريد أن أعرف الله) فرد عليه بقوله (من عرف نفسه عرف ربه) أي فمن عرف نفسه التي بين جنبيه أولا عرف ربه وهذا أمر مستحيل) ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام (تعلـم ما في نفسي ولا أعلـم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب)[1] ٠

وقد سبق عيسى بمثل هذا القول سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حيث قال : (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام (٣٥) ، رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم) (٣٦)[2]٠

---

(١) الآية (١١٦) من سورة المائدة ٠

(٢) الآيتان ٣٥ ، ٤٦ من سورة ابراهيم ٠

والمراد من قول عيسى ولا أعلم ما في نفسك في ذلك نكتة بلاغية وهي المشاكلة يعرفها من مارس علم البلاغة ودرسه[1] . فمستحيل يا أخي أن تعرف نفسك وكيفيتها وكميتها فانك اذا كنت لا تقدر أن تصف نفسك التي بين جنبيك وليس في طوقك[2] ذلك ولا تستطيع أن تصفها بكيفية ولا أينية ، ولا شبحية ولا هيكلية ، ولا هي بمرئية ، فكيف يليق بعبوديتك أن تصف الربوبية بكيف أو أين وهو سبحانه مقدس ومنزه عن الكيف والأين وفي ذلك يقول أحد الأولياء العارفين بالله : وهو الامام الغزالي رضي الله عنه .

قل لـمـن يفهـم عنـي ما أقـول ... قصّر القول فـذا شرح يطـول
ثَمّ[3] سرٌ غامض مـن دونـه ... ضربت والله أعنـاق الفحـول
أنـت لا تعـرف إيـاك ولا ... تدر من أنت ولا كيف الوصـول
لا ولا تـدري صفـات ركبـت ... فيك حارت في خفاياها العقـول
أين منـك الروح في جوهرهـا ... هل تراهـا فترى كيـف تجول
هـذه الأنفاس هـل تحصرهـا ... لا ولا تدري متى منك ؟؟ تزول
أين منـك العقـل والفهـم اذا ... غلب النوم فقـل لي يا جهـول
أنـت أكـل الخبـز لا تعرفـه ... كيف يجري منك أم كيف تبـول
فـاذا كانـت طوايـاك التـي ... بين جنبيك ترى فيهـا ضلـول
كيف تدري مَن على العرش استوى ... لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكي أم تـرى كيف يـرى ... فلعمـري ليس ذا الا فضـول
فهو لا كيفٌ[4] ولا أيـنٌ لـه ... وهو في كـل النواحـي لا يـزول
جل ذاتـاً وصفـات وسَمـا ... وتعـالى قـدره عمـا أقـول

(۱) لان نسبة النفس الى الله مستحيلة اذ انها من خواص الاجسام .

(۲) طوقك : طاقتك ووسعك .

(۳) بفتح الثاء بمعنى هناك وهو البعيد بمنزلة هنا للتقريب .

(٤) روى ابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبد القادر الاعلى عن داود عن عكرمة قال : سأل أهل الكتاب رسول الله عن الروح وفي قول سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانزل الله (ويسألونك عن الروح ـ الآية وقد مر بنا ذلك : فقالوا تزعم انا لم نؤت من العلم الا قليلا ، وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) الاية (٢٦٩) البقرة قال فنزلت (ولو انما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم) آية (٢٦) لقمان .

وقال القونوى في شرح التعرف وذكر بعضهم في هذا الحديث أنه من باب التعلق بما لا يكون وذلك أن معرفة النفس قد سد الشارع بابها لقوله جل وعلا (قل الروح من أمر ربي) فنبه بذلك على أن الانسان اذا عجز عن ادراك نفسه التي هي من جملة المخلوقات ، وهي أقرب الاشياء اليه ، فهو عن معرفة خالقه أعجز ، بل هو عاجز عن ادراك حقيقة قوله وحواسه كسمعه وبصره وشمه وكلامه وغير[١] ذلك فان للناس (العلماء) في كل منها أقوال ومذاهب لا يحصل الناظر منها على طائل كاختلافهم في أن الابصار بالانطباع إذاً فكيف يكون الحال في معرفة الكبير المتعال فتحصل مما سقناه في معنى هذا الاثر[٢] أقوال[٣] قال الامام الحسين في كتابه (ان من عرف نفسه فقد عرف الله تعالى فقد روى أنه ما أنزل الله من كتاب الا وفيه اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك وهذا معنى قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)[٤] .

وفي هذا المعنى يقول العلماء العاملون العارفون بالله ان معرفة الله تعالى ليست تثبت الا ان تعرف النفس لانك اذا عرفتها على الحقيقة فقد عرفت العالم (والعالم بفتح اللام معناه علامة على وجود الله) أقول اذا عرفت العالم عرفت انه محدث وانه لا بد له من محدث بكسر الدال لا يشبه المحدث بفتح الدال بوجه من الوجوه وذلك هو غاية

---

(١) ورحم الله من قال :

لا شيء في هذه الدنيا تحيط به ... الا احاطة منقوص بمنقوص

(٢) هو القول المأثور المنقول عن يحيى بن معاذ رضي الله عنه من كلامه (من عرف نفسه عرف ربه) .

(٣) منها قول الامام حسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهاني المتوفي في رأس المائة الخامسة في كتابه (تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين) .

(٤) الآية (٥٣) من سورة فصلت .

معرفة الله تعالى قالوا وعلى هذا دل معنى قول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : (ان العقل لاقامة رسم العبودية لا لادراك الربوبية ثم أنشأ يقول :

كيفية النفس ليس المرء يعرفها ... هو الذي أنشأ الأشياء مبتدئا
فكيف كيفية الجبار في القدم ... فكيف يدركه متحدث النسم

وقال أيضا :

العجز عن درك الادراك ادراك ... والبحث عن سر ذات السر اشراك
وفي سرائر همات الورى همم ... عن ذا الذي عجزت جن وأملاك
يهدي اليه الذي منه اليه هدى ... مستدركا وولي الله مدراك

وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه (العجز عن الادراك ادراك والبحث عن ذات الله اشراك) وقال أيضا رضي الله عنه (يا من غاية معرفته القصور عن معرفته وقال الله تعالى (نسوا الله فأنساهم أنفسهم)[1] تنبيها على أنهم لو عرفوا أنفسهم لعرفوا الله ، فلما جهلوه دل جهلهم إياه على جهلهم إياه .

أيها الاخوة في الله قبل أن نعمد الى شرح تحفة الاخلاص التي هي تعبير عما ذكر بينت لكم النفس وما لابسها وقد تجلى لكم في تلك الاقوال التي سبقت أن أمر الروح عظيم (ويعبر عنها أحيانا بالنفس) وشأنها جسيم وكريم وفضلها عميم والحقيقة ان الانسانية في علو رتبتها ومنزلتها[2] وأوج كمالها حيث تكون الروح طيبة آثار طهرها

---

(١) الآية (١٩) عن سورة الحشر ونصها هكذا (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم اولئك هم الفاسقون) .

(٢) أي علو كما لها وهي من اضافة الصفة للموصوف في كمالها العالي .

وصلاحها ونبلها على الاجسام بادية ولقد صدق ابو الفتح البستي في قوله ناصحا :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس[1] لا بالجسم إنسان

ولا ريب ان من استكمل فضائل نفسه فقد خشي ربه وكان كامل الصفات ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : (اني لأعرفكم بالله وأخشاكم منه) فالخوف يا أخي من الله على قدر معرفة بطشه وسلطانه وهيمنته • فمن عرف نفسه كان صالح الاعمال عظيم الاخلاق شريف الخصال ، وبذلك يكون مؤمنا حقا والمؤمن حقا علوي بذاته وصفاته ، قال تعالى : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين[2] وتكون أقواله علوية • قال تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)[3] • وكتابه كذلك علوي ، اذ لا يكون فيه الا ما هو علوي من قول او فعل او خلق قال جل وعلا (كلا ان كتاب الابرار لفي عليين)[4] والابرار هم المؤمنون حقا ، الصادقون في ايمانهم ويقينهم •

فيا ايها المؤمن العلوي ، يا ذا النفس النورانية يا متدبرا بعناية وحكمة قوله تعالى (ونفس وما سواها(٧) فألهمها فجورها وتقواها(٨) قد أفلح من زكاها (٩) وقد خاب من دساها (١٠)[5] أي أخفاها بالمعاصي او أخفى الشرك فيها ولطخها بالذنوب والآثام ، احفظ نفسك من

---

(١) وفي مكان آخر فأنت بالروح •
(٢) آية (١٣٩) آل عمران •
(٣) الآية (١٠) من سورة فاطر •
(٤) الآية (١٨) من سورة المطففين •
(٥) الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ من سورة الشمس •

السقوط الى الدركات السفلى بالمعاصي ، واحرص على الدرجات العلا بالطاعات ولا تجعل نفسك ظلمانية[1] بالاعراض عن الله تعالى واعلم أن الروح محل العلم والموجودات ثلاثة اقسام :

القسم الاول : موجود لا يجوز ان لا يعلم ، وهو الله تعالى ·

القسم الثاني : وموجود لا يجوز ان يعلم وهو الجماد ·

القسم الثالث : وموجود يجوز ان يعلم وان لا يعلم وهو أنت آيها الانسان ·

فان صرت تعلم شيئا فقد تخلقت بأخلاق الله تعالى وان صرت لا تعلم شيئا فقد صرت تشبه الجماد فامتيازك عنه انما يحصل بسبب اتصال الروح بالبدن ، وانت بعد ذلك حين تستغل قوة وعيك وادراكك في الترقي في مدارج العلوم ، التي تزيد اتصالك بالحي القيوم تسمو وتمتاز ، وتذوق حلاوة الرضوان مما يعجز عن وصفه الانسان ذو البيان · يا أخي بالعلم الذي يصلك بالبارىء العليم الحليم ، ويقربك من جنان النعيم ، ويكسبك رحمته وفيض تفضله وإحسانه ، وذلك هو العلم الذي يجعلك عالما به سبحانه وتعالى فقد روى ابو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

العلم ثلاثة : أي أصله من ثلاثة أمور ، وما سوى ذلك فهو فضل ـ أي زيادة في الفضيلة :

أ ـ آية محكمة[2] أي من كتاب الله ·

ب ـ أو سنة قائمة أي عن النبي صلى الله عليه وسلم ·

---

(١) نسبة الى الظلام المعبر عنه بالعمى والضلال ·

(٢) غير منسوخة ·

جـ ـ أو فريضة عادلة ، والفريضة العادلة هي كل ما يجب العمل به ، مما ثبت بالاجماع والقياس وانك تكون عاطر الذكرى ، تابه الذكرى :

أخو العلم حي خالد بعد موته
وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
يظن من الاحياء وهو عديم

وأن العلماء العاملين بما عملوا هم خواصه تعالى ومن يتصفون بهذه الصفات الآتية :

القانتون الذاكرون لربهم — الناطقون بأصدق الأقوال
التاركون هوى النفوس الى منى — شغلوا بها عن سائر الاشغال
عملوا بما علموا وجادوا بالذي — وجدوا وما بخلوا بفضل نوال
بوجوههم أثر السجود لربهم — وبها أشعة نوره المتلالي
تاهوا على كل الملوك وانهم — لهمو الملوك بعزة الاعمال
تبعوا الرسول محمدا علم الهدى — صلى عليه مبلغ الآمال

وقال في (تنوير القلوب) :

فعلى العاقل ان يشمر عن ساعد الجد في طلب المعرفة ، ولا يتوانى في ذلك لئلا يدركه الموت وهو مصاب بعمى الجهل فلا يكون له بعد ذلك سبيل الى البصيرة قال تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا)[1] .

---

(١) آية (٧٢) من سورة الاسراء .

ثم اعلم ان النفس لطيفة ربانية وهي الروح قبل تعلقها بالاجساد بألفي عام فكانت حينئذ في جوار الحق وقربه فتستفيض من حضرته بلا واسطة فلما امرها الحق ان تتعلق بالاجساد عرفت الغير فحجبت عن حضرة الحق بسبب بعدها عن جنابه الاقدس سبحانه وتعالى فلذلك احتاجت الى مذكر قال تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)(١) ٠ فهي قبل تعلقها بالجسد تسمى روحا وبعد تعلقها به تسمى نفسا فالاختلاف بينهما بالاعتبار(٢) ٠

فالروح او النفس جوهر مشرق على البدن فان أشرق على ظاهر البدن وباطنه حصلت اليقظة ، وان أشرق على باطن البدن دون ظاهره حصل النوم ، وان انقطع اشراقه بالكلية حصل الموت ٠ واصل كل معصية وغفلة وشهوة وشرك الرضا عن النفس(٣) ألا ترى أن فرعون لما رضي عن نفسه كل الرضا أفرط في الطغيان حتى بلغ به أنه قال « أنا ربكم الاعلى » ٠

واصل كل طاعة ويقظة وعفة وهمة ومشاهدة عدم الرضا عنها فحينئذ لا شيء أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ولم يتخذ الله تعالى وليا الا من اتصف بمعرفة نفسه ٠

مراتب النفس عند السادة الصوفية

للنفس سبع مراتب :

الاولى : (النفس الامارة) ٠

سميت بذلك لانها تميل الى الطبيعة البدنية ، وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب الى الجهة السفلية فهي مأوى الشرور

---

(١) الآية (٥٥) من سورة الذاريات ٠

(٢) ومعنى ذلك ان النفس قبل تعلقها بالجسد تسمى روحا وبعد تعلقها به تسمى نفسا فلكل واحد منهما اعتبار ٠

(٣) يعني الرضا عن تصرفاتها ٠

والمفاسد ومنبع الاخلاق الذميمة لانها مبدأ الكبر والحرص والشهوة والحسد والغضب والشح[1] والبخل والحقد ·

الثانية : (النفس اللوامة)[2] ·

وهي التي تنورت بنور القلب فتطيع القوة العاقلة[3] تارة وتعصي أخرى ثم تندم وتلوم صاحبها وهي منبع الندامـة لانها مبـدأ الهوى والعثرة والحرص ·

الثالثة : (النفس المطمئنة) :

وهي التي تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفتها الذميمة ، واطمأنت الى الكمالات ومقامها مبدأ الكمال متى وضع السالك[4] قدمه فيه عد من أهل الطريق لانتقاله من التلوين الى التمكين ، وصاحبها سكران هبت عليه نسمات الوصال ، يخاطب الناس وهو عنهم في بعد من شدة تعلقه بالحق سبحانه وتعالى ·

الرابعة : (النفس الملهمة) :

وهي التي ألهمها الله الحلم والتواضع والقناعة والسخاوة فلذا كانت منبع الصبر والتحمل والشكر ·

الخامسة : (النفس الراضية) :

وهي التي رضيت عن الله تعالى كما قال الله تعالى (ورضوا عنه) وشأنها التسليم والتلذذ بالحيرة كما قيل[5] :

---

(١) الشح هو البخل مع حرص على الدنيا وقد شححت بالكسر تشح ·

(٢) وهي التي تلوم صاحبها كثيرا وتقرعه وتؤنبه وتوبخه وهي صيغة مبالغة · واللوم هو العذل تقول لامه على كذا من باب قال لومة ايضا فهو ملوم ولومه ايضا مشدد للمبالغة ·

(٣) احدى القوى المشتركة التي جمعت في بيت من الشعر :

امنع شريكك عـن خيالك واصرف　　　عن وهمه واحفظ لذلك واعقـلا

وهي المانعة ، المشتركة ، الخيال ، المتصرفة ، الواهمة ، الحافظة ، العاقلة ·

(٤) السالك او المريد ، او الطالب او التلميذ كله بمعنى واحد ·

(٥) القائل هو سلطان العاشقين شيخنا عمر بن الفارض رضي الله عنه ·

زدني بفرط الحب فيك تحيرا
وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

واذا سألتك أن أراك حقيقة
فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

السادسة : (النفس المرضية) :

وهي التي رضي الله تعالى عنها ويظهر فيها أثر رضاه تعالى وهو الكرامة والاخلاص والذكر وفي هذه المرتبة يضع السالك القدم الاولى[1] في معرفة الله تعالى حق معرفته وفيها يظهر تجلي الافعال وقد جمع الله بين الراضية والمرضية والمطمئنة في آية واحدة قال تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة (٢٧) ارجعي الى ربك راضية مرضية (٢٨) فادخلي في عبادي (٢٩) وادخلي جنتي (٣٠)[2] .

السابعة : (النفس الكاملة) :

وهي التي صارت الكمالات لها طبعا وسجية لها ومع ذلك تترقى في الكمالات ، وتؤمر بالرجوع الى العباد لارشادهم وتكميلهم ومقامها مقام تجليات الاسماء والصفات وحالها البقاء بالله تسير بالله الى الله وترجع من الله الى الله ليس لها مأوى سواه ، علومها مستفادة من الله كما قيل :

وبعد الفنا في الله كن كيفما تشا
فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

واعلم أيها السالك أنه قد جرت عادة الله تعالى أن الترقي من مقام آخر لا يكون ولا يتحقق الا على يد المسلك الذي يعرف كيف يعالج السالك[3] العارف بمقامات الطريق وأحواله .

---

(١) القدم تذكر وتؤنث والشائع تأنيثها .
(٢) الآيات (٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) من سورة الفجر .
(٣) المسلك على وزن الملك بكسر اللام هو الشيخ العارف بالله تعالى .

واعلم أيها المريد أن تزكية النفس وتهذيبها وتطهيرها من الرعونات لا تتيسر بطريق العقل كما زعمت الفلاسفة والبراهمة وغيرهم من الجهلة وكما حكمت المعتزلة العقل في فعل الصلاح والاصلح ٠

ومن يقل فعل الصلاح وجبا   على الاله قد أساء الادبا

فالفلاسفة والبراهمة والبوذيون وغيرهم[1] شرعوا في تزكية نفوسهم بالرياضات رجما بالغيب على العمى من غير دليل ولا برهان فوقفوا في الآفاق والشبهات ، والضلالات ٠

فمعالجة النفس يا أخي وتزكية النفوس كمعالجة الأبدان فكما لا يجوز للمريض استعمال الأدوية والعقاقير[2] الا بمعرفة ونظر طبيب حاذق[3] ذي تجربة في المعالجة ماهر في الطب وأساليبه كذلك تزكية النفس لا تتيسر الا بنظر رسول أو ولي أو عارف بالله مرشد ذي توجيه صحيح ، وهذا رد صريح على أدعياء العلم وجهلة اليوم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تعلموا أولاد السفلة العلم)[4] واني أقول ليتهم تعلموا العلم فلو تعلموه لردهم يوما ما الى صوابهم ٠ ان هؤلاء دائما يقولون للناس الصوفية جاءت من البوذيين في الهند (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا)[5] واعلم أيها الطالب لدين الله ٠ ان للنفس سبعة حجب وموانع منها سبعة حجب سماوية ومنها سبعة أرضية ٠ فكلما أخفي العبد نفسه في أرض

---

(١) هذه المعرفة كلها في الهند ولهؤلاء معبودات كثيرة منهم من يعبد البقر ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد الفرج أعاذنا الله من شر معتقداتهم وثبتنا على الحق ٠

(٢) هي أصول الادوية واحدها عقار بوزن عطار ٠

(٣) حذق الرجل القرآن والعمل اذا مهر به وبابه ضرب وفلان في صنعته حاذق باذق وهو اتباع ٠

(٤) حديث جاء في كتاب جامع بيان العلم وفضله فليرجع اليه من شاء ٠

(٥) الآية (٥) من سورة الكهف ٠

الخمول ولم يستكبر على خلق الله ولم يتعاظم عليهم سما قلبه وعلا سماء فاذا نسي الانسان نفسه ودفنها تحت الثرى وصل بالقلب الى العرش يعني اذا خالف نفسه وعصى هواه ٠

« وسبيل المريد » للوصول الى كبح[1] جماح[2] النفس وموتها انما يكون بتقديم مجاهدتها ومخالفتها والخروج عنها لانها أعظم حجاب بين العبد وربه وأنواع المجاهدة كثيرة ، وكل مريد يليق به نوع منها لا يليق بغيره على قدر قوة المريد وضبطه ، ومعرفة ما هو الاشق نظرا الى حاله ، والى زمان مجاهدته وغير ذلك مثال ذلك :

ان المجاهدة بالصوم والصلاة أشق على الكبار والعظماء من المجاهدة بالصدقة والعتق ، وفي حق الفقير والحريص بالعكس ، والمجاهدة بترك المجادلة والمنازعة والمخاصمة واظهار الترفع على الغير والفضل ، وترك التنافس في المجالس وطلب التصدر والترفع أشق على بعض أهل الحلم الذين اكتفوا بحب المظهر اكتفاء به عن المخبر وباللباس والهندام عن لباس التقوى والله تعالى يقول (ولباس التقوى ذلك خير)[3] أقول ما ذكر أشق عليهم من المجاهدة بالصوم والصلاة والمجاهدة بالصوم في الشتاء ، وفي قيام الليل بالعكس اذاً فتعيين أنواع المجاهدة لأنواع المريدين مفوض الى رأي الشيخ الذي يرشدهم ويسلكهم ويربيهم لا الى اختيارهم لان ذلك خطر عظيم ، وخطب جسيم وهو أصل المجاهدة وملاكها فطم النفس ومنعها عن المألوفات والشهوات كما قيل :

والنفس راغبة اذا رغبتها ... واذا ترد الى قليل تقنع

---

(١) كبح الدابة جذبها اليه باللجام لكي تقف ولا تجري وبابه قطع ٠

(٢) جمح الفرس اعتز فارسه وغلبه وبابه خضع اذا معنى كبح جماح النفس كناية عن منعها من الخروج عن آدابالشريعة ٠

(٣) الآية (٢٦) من سورة الاعراف وأصل الآية هكذا (يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون) ٠

وكما قيل :

وخالـف النفس والشيطـان واعصهمـا
وان همـا محَّضـاك النصـح فاتهـم[1]

وكذلك حملها على خلاف هواها في عموم الاوقات . قـال بعض العارفين بالله : (ما أخذنا التصوف من القيل والقال ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات ، وامتثال الاوامر واجتناب المنهيات ، وقال البعض الآخر (من دخل في طريقنا فليخالف نفسه وليحتمل أذى الناس) وقدوتنا في ذلك رسول الهداية سيدنا محمد صلى الله عليـه وسلم . وقالسيدنا ابراهيم بن أدهم : لا ينال الرجل درجة الصالحـين حتى يجوز عقبات آهمها (يغلق باب الامل[2] ويفتح باب الاستعداد للموت كما قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه واللفظ عام يتنـاول العمـوم (اذا اصبحت فلا تنتظر المساء واذا أمسيت فلا تنتظر الصباح) .

واعلم يا أخي أن النفس مجبولة عـلى سوء الادب والعبد مأمـور بملازمة الأدب مع الله ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع شيخه لانه هو الموصل اليهما والى حبهما . فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة ، والعبد يردها بجهده عنسوء المطالبة ، فمن أطلق عنانها فهو السبب الاكبر في فسادها وجنوحها[3] عن الحق ، فهي العدو الملازم للانسان لقوله عليه الصلاة والسلام (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)[4] . فاستعن بالله على نفسك وتضرع اليه ان يعينك عليها .

---

(١) وقال جدنا صاحب تحفة الاخلاص التي نحن بصدد شرحها .
وخالف النفس والزم باب رأفتـه　　عما يسديك ما ترجو من النعم
(٢) يعني لا يكن أملك طويلا في الحياة .
(٣) اي ميلها عنه .
(٤) هذا الحديث رواه البيهقي .

وورد ان أبا يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه قال : (رأيت رب العزة في منامي فقلت يا رب كيف الطريق اليك ؟ قال : خل نفسك وتعال ٠

ورحم الله الامام الغزالي[1] كان دائما يقرع نفسه ويوبخها وقد اعطى درسا نافعا للمريدين في ذلك فها أنذا أريد أن آتيك بكلمات طيبة في توبيخ النفس ومعاتبتها قال رحمه الله بعد كلام طويل في النفس :

وسبيلك (أي طريقك) في توبيخ النفس ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها فتقول لها ما يلي :

يا نفس ما أعظم جهلك تدعين العلم والحكمة والفطنة والذكاء وانت أشد الناس غباوة وحمقا ٠

أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احداهما عما قريب ٠ فما بالك تفرحين وتضحكين وفي أعراض الناس وعيوب غيرك تشتغلين أتشتغلين بالهوى والمنى وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم فأراك ترين الموت بعيدا والله يراه قريبا ٠

أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب ٠ فكم من مؤمل أملا لا يبلغه ، وجامع مالا لا يُنْفِقُه ٠

---

(١) احب ان أعود الى بيان نسبة الامام الغزالي لان الكثير من الناس حتى مسن اهل العلم الظاهري يخطئون فيقولون الامام الغزالي بتشديد الزاي نسبة الى غزل الصوف وهذا خطأ ارتكبه الناس والنص هكذا : وغزالة قرية من قرى طوس واليها ينسب الامام ابو حامد الغزالي أخبرني بذلك الشيخ مجد الدين محمد بن محمد بن محيي الدين ابن ابي طاهر شروان شاه ابن ابي الفضائل فخر الدين بن عبيد الله ابن ست النساء بنت ابي حامد الغزالي ببغداد لستة عشر وستمائة وقال لي بهذا اللفظ أخطأ الناس في تثقيل اسم ابو محفوظ نسبة الى غزالة ، القرية المذكورة أ هـ مصباح ٠

أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ولا مواعدة ، وأنه لا يأتي في شيء دون شيء ، ولا في شتاء دون صيف ، ولا نهار دون ليل ، ولا في المشيب دون الشباب ، بل كل نفس من الأنفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجأة فان لم يكن الموت فجأة ، فيكون المرض فجأة ثم يُفضي الى الموت . إذاً فما بالك لا تستعدين للموت مع أنه أقرب اليك من كل قريب أما تتدبرين قوله تعالى (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم)[1] .

قل لها : ويحك[2] يا نفس اذا كانت جراءتك على الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما أعظم كفرك ، وان كانت مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك . أفتظنين أنك تطيقين عذابه هيهات هيهات[3] جربي نفسك فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك ضعفك وعدم استطاعتك ام تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك ، فمالك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك ؟ فلم تجتهدين في دفع عذرك وقضاء شهواتك ، وتنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل ، أفتحسبين ان الله كريم في الآخرة دون الدنيا ، وقد عرفت أن سنة الله لا تبديل لها وان رب الآخرة هو رب الدنيا ؟ ؟

ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودواعيك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك ، وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك

---

(١) الآية الاولى والثانية من سورة الانبياء .

(٢) ويح بتنوين الآخر كلمة رحمة وويل كلمة عذاب وقيل هما بمعنى واحد تقول : ويح لزيد وويل لزيد فترفعهما على الابتداء ولك ان تنصبهما بفعل مقدر مضمر تقديره ألزم الله تعالى ويحا وويلا ونحو ذلك وكذا ويحك وويلك وويح زيد وويل زيد منصوب بفعل مضمر وكأنه يقول مخاطبا نفسه رحمة بها وشفقة عليها .

(٣) بمعنى بعد .

(وما من دابة في الارض الا على الله رزقها)[1] وقال في أمر الآخرة (وأن ليس للانسان الا ما سعى)[2] الى آخر ما ذكره الامام الغزالي في توبيخ النفس ٠

قال سيدنا العارف بالله :

يا نفس كم ذا التواني[3] فيقي[4] وانسجمي[5]
واستيقظي واتركي العصيان لا تسمي

نعود الى شرح بيت التحفة نفسه فنقول :

الشيخ يخاطب نفسه مقرعا موبخا قائلا الى متى هذا الضعف والقصور والانحطاط تيقظي من سباتك العميق الى متى أنت متمادية في سيرك وغفلتك فابكي واسكبي الدمع على قصورك ٠ واستيقظي من نومك واتركي المعاصي ولا تترفعي على أحد من خلق الله ٠

قال رحمه الله :

كأنك تبتغي[6] الخلد[7] ولست تري[8]
كسرى[9] وأضرابه[10] في حيّز[11] العدم

---

(١) الآية (٦) من سورة هود ٠

(٢) الآية (٣٩) من سورة النجم ٠

(٣) الوني الضعف والفتور والكلال والاعياء يقال : بفتح النون وني في الامر يني بالكسر وني دنيا اي ضعف فهو وان وتواني في حاجته أو طاعته قصر فيها ٠

(٤) يقال أفاق من مرضه وسكره ٠

(٥) سجم الدمع سال وبابه دخل وسجاما ايضا بالكسر وانسجم وسجمت العين دمعها وعين سجوم ٠

(٦) تبتغي تطلبين وهذه الكلمة او انها جاءت على لغة من يحذف النون في الافعال الخمسة دون مسوغ لقول الشاعر :

أبيت أسري وتبيتي تدلكي   شعرك بالعنبر والمسك الذكي

من الافعال الخمسة (تبتغين) ولكن ضرورة الشعر ادت الى حذف النون ٠

(٧) الخلد هو الخلود والبقاء او دوام البقاء وبابه دخل وأخلده الله وخلده الله واصل ٠

(٨) تري (ترين) كما في تبتغي ٠

(٩) كسرى هو ملك الفرس ٠

(١٠) واضرابه : أمثاله ٠

(١١) تحيز فلان اليهم اي انضم اليهم والمراد بالحيز (في حيز العدم) اي أصبح في عداد العدم أي في عداد الزائلين ٠

يقول الشيخ رحمه الله : كأنك أيتها النفس المتمادية المقصرة تريدين البقاء والخلود في هذه الحياة الفانية الفاتنة الزائلة ؟ وكأن هذا شبيه بالاستفهام منه ·

أليس لك عينان تبصران وأذنان تسمعان أين ذهب كسرى وملكه · كما قال ابن الوردي :

أين عاد أين شداد ومن ... ملك الارض وولى وعزل
أين أرباب الحجا أهل النهى ... أين أهل العلم والقوم الاول
أين من سادوا وشادوا وبنوا ... هلك الكل فلم تُغْنِ القلل[1]
سيقيد الله كلا منهم ... وسيجزي فاعلا ما قد فعل

يعني أن الانسان مهما كان عظيما ومهما كان كبيرا لا بد وان يزول ·

ثم قال :

الى متى أنت في اللذات غارقة
والنذر[2] للموت وافت[3] لا كما ترم[4]

يعني الى متى يا نفس أنت غارقة في لذاتك وشهواتك والحال أن نذر الموت قد بدت علائمها عليك ·

هذا الاستفهام انكاري بمعنى النفي أي لا تغرقي في لذاتك وشهواتك فنذر الموت قد ظهر اكثرها واولها الشيب ·

---

(١) القصور الشاهقة لم تنفعهم ·
(٢) النذر جمع نذير والنذير هو المنذر المخبر بما سيقع والانذار هو الابلاغ ولا يكون الا في التخويف ·
(٣) معنى وافت تمت وقربت ·
(٤) ترمي فعلها ترومين وتطلبين وجاء الفعل على هذه الصورة لضرورة الشعر ·

قال الامام البوصيري رحمه الله :

انی اتهمت نصیح الشیب في عـــذل
والشيب أبعد في نصح عن التهم

ثم قال :

تنبهي قبل أن يدنو الحمام فلم
يبق سواه فلاشى الذنب بالندم

يقول رحمه الله : تنبهي يا نفس قبل ان يقترب داعي الموت فلا يبقى غيره فما عليك الا ان ترجعي الى الله بعد هذا العمر وتستقبلي هذه الذنوب بالندم فشرط التوبة الاقلاع عن الذنب والندم على ما فرط منه ٠

فالشيخ يقول :

تنبهي قبل أن يدنو[1] الحمام[2] فلم
يبق سواه فلاشى[3] الذنب بالندم

قال الفقيه ابو الليث السمرقندي رحمه الله حدثنا الفقيه ابو جعفر الحديث[4] قال عبد الله بن عبيد بن عمير قال قال آدم صلوات الله وسلامه عليه : يا رب انك سلطت علي ابليس ولا استطيع ان امتنع منه الا بك : قال لا يولد لك ولد الا وكلت عليه من يحفظه من مكر ابليس عليه اللعنة ومن قرناء السوء قال يا رب زدني : قال الحسنة بعشر أمثالها وأزيدها والسيئة بواحدة وأمحوها : قال يا رب زدني : قال

---

(١) تظهر الفتحة على الواو في غير هذا المقام ٠
(٢) الحمام بكسر الحاء وفتح الميم وتخفيفها هو الموت وقيل هو قدر الموت بفتح الدال ٠
(٣) لاشى الذنب : أي تداركي التوبة قبل الفوت أي قبل فوات الاوان بالتندم والتأوه ٠
(٤) يعني اقرأ الحديث ٠

يا آدم : التوبة مقبولة ما دامت الروح في الجسد • قال يا رب زدني قال : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم •

وأنبأنا الخليل بن أحمد أنبأنا ابن معاذ أنبأنا الحسين المروزي وحدثنا عبد الله بن سفيان قال كتب محمد بن عبد الرحمن السلمى الي قال حدثنا أبي قال جلست الى نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال رجل منهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من تاب قبل موته بنصف يوم تاب الله عليه قال قلت أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال نعم : فقال رجل آخر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه وقال آخر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تاب قبل الغرغرة[1] تاب الله عليه) •

قال أحد الحكماء العارفين علامة العارف بالله ستة أشياء اذا ذكر الله افتخر واذا ذكر نفسه احتقر ، واذا نظر في آيات الله اعتبر واذا هم بمعصية او شهوة انزجر ، واذا ذكر عفو الله استبشر ، واذا ذكر ذنوبه استغفر ومما يجب علينا اعتقاده ان الله يعفو تفضلا منه عن كبائر السيئات بسبب التوبة عنها ويغفر الصغائر باجتناب الكبائر •

قال الامام اللقاني رحمه الله :

ومن يمت ولم يتب من ذنبه
فأمره مفوض لربه

---

(١) والغرغرة هي الصوت لان الميت أثناء سكرات الموت يغرغر اي يكون لغرغرته صوت نسأله سبحانه وتعالى أن يهون علينا وعلى أحبتنا سكرات الموت •

وقال أيضا :

وباجتنـــاب للكبائـر تغفـــر
صغائر وجا الوضـــو يكفـــر

قال تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما)[1] ومما يجب اعتقاده علينا : ان من مات ولم يتب من الكبائر غير الكفر فهو تحت مشيئة الله عز وجل ان شاء عاقبه بعدله وان شاء غفر له بفضله ٠

قال صاحب الجوهرة :

فان يثبنـــا فبمحض الفضــــل
وان يعـــذب فبمحض العــــدل

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا[2] عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار)[3] الآية (٢) ٠

يعني وأنتم أيها المؤمنون توبوا الى الله توبة بالغة في النصح رجاء ان يمحو ربكم عنكم أعمالكم السيئة ويدخلكم جنات وحدائق وبساتين تجري وتنساب من تحتها الانهار يوم القيامة ٠

وقال ابن عباس عن الآية السابقة والتوبة النصوح : هي الندم بالقلب والاستغفار باللسان ، والاضمار الا يعود للذنب أبدا ، وعن

---

(١) الآية (٣١) من سورة النساء ٠

(٢) نصوحا اي توبة بالغة في النصح والنصوح صفة التائب لانه هو الذي ينصح نفسه ولكن وصفت به التوبة على الاسناد المجازي للمبالغة ٠

(٣) الآية (٨) التحريم ٠

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المستغفر باللسان (فقط) المصر على الذنوب كالمستهزيء بربه وورد عن السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها أنها كانت تقول ان استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير يعني ان الانسان اذا استغفر بلسانه ونيته ان يعود الى الذنب فانهـا توبـة الكذابين وهذا لا يكون توبة وانما التوبة ان يستغفر بلسانه وينوي ألا يعود الى الذنب فاذا فعل ذلك غفر الله له ذنبه وان كان عظيما لان الله تبارك وتعالى ذو[١] التجاوز[٢] رحيم بعباده ٠

ثم قال رحمه الله :

وكوني عن كل ما سوفت[٢] معرضـــة
واستغفـــري الله ان الله ذو كـــــرم

يا نفس تيقظي لا تسوفي في الاعمال الصالحـة والتزود منهـا ٠ قال الامام النووي رضي الله عنه وارضاه في كتاب الاذكار روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : (من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له) وفي رواية لمسلم (ينزل الله سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الاول فيقول[٤]:

(١) بمعنى صاحب ٠

(٢) التجاوز : العفو والمغفرة ٠

(٣) التسويف : الامهال والتأخر كان يقول المرء سوف استغفر ربي سوف افعل كذا وكذا لان سوف للزمن البعيد وسأعمل للزمن القريب ٠

وقيل سوف كلمة وعد ومنه سوفت به تسويفا اذا مطله بوعد الوفا وأصله ان يقول له مرة بعد أخرى سوف أفعل ٠

(٤) المراد من النزول القرب والتجلي والقرب قرب معنوي لاحسي لانه من لوازم الاجسام وهذا مستحيل على الله ٠

أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه ؟ من ذا الذي يستغفرني عفأغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر) وفي رواية اذا مضى شطر[١] الليل او ثلثاه ، وروينا في سنن أبي داود والترمذي عن عمر وابن عبسة[٢] رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن)[٣] وورد (ان من لازم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا) ويقول الله تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة (يعني الكبائر) او ظلموا[٤] أنفسهم (يعني دون الكبائر) او ظلموا أنفسهم[٥] ذكروا الله (يعني خافوا الله عند المعصية) فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون)[٦] يعني ان من صفات المؤمنين ايضا أنهم اذا فعلوا أمرا منكرا او ظلموا أنفسهم باتيانهم اي ذنب كأن تذكروا الله فاستغفروه ولم يثبتوا على ما فعلوه وهم عالمون به . وروى سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(اني لاستغفر[٧] الله وأتوب اليه في اليوم مائة مرة . فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر ويتوب[٨] وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فالذي لم يظهر حاله انه غفر له أم لا ؟ كيف لا يتوب الى الله كل وقت حتى

---

(١) شطر الليل نصفه .

(٢) رابع اربعة في الاسلام وضريحه معروف يزار في مدينة حمص وقد زرته والحمد لله عدة مرات .

(٣) قال الترمذي حديث حسن صحيح .

(٤) يقال أو هنا بمعنى الواو ومعناه والذين اذا فعلوا فاحشة وظلموا أنفسهم ذكروا الله يعني خافوا الله عند المعصية .

(٥) اي لم يثبتوا على معصيتهم وهم يعلمون أنها معصية .

(٦) الآية (١٣٥) من آل عمران وهم يعلمون انها .

(٧) يعني طلب من الله غفر ذنوبهم لان السين والتاء للطلب فكأنه يطلب من الله غفر ذنوبه .

(٨) التوبة هي الرجوع الى الله تعالى .

يأتيه اليقين[١] (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)[٢] وكيف لا يجعل لسانه أبدا مشغولا بالاستغفار هذا ما قصده الشيخ رحمه الله من قوله في البيت الأنف الذكر :

واستغفـري الله ان الله ذو كـــرم

وروى زيد بن وهب عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله خبرنا ما كان في صحف موسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان فيها ست كلمات عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحـك ، وعجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يعمل السيآت ، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يغضب[٣] وفي خبر آخر كيف يحزن وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبت لمن أيقن بالجنة وهو لا يعمل الحسنات لا اله الا الله محمد رسول الله فيتبغي للمريد التائب ان يجعل أجله بين عينيه لكي يثبت عـلى التوبة ويتفكر فيما مضى من ذنوبه ويكثر من الاستغفار ويشكر الله تعالى على ذلك وعلى ما رزقه من التوبة ووفقه لذلك .

ثم قال رحمه الله تعالى :

ولا تعودي فان عدت فوا أسفـــا

قاز المطيـع وقلبي بالبعـاد رمـى

يعني ولا تعودي أيتها النفس الى الذنوب الماضية في الايام الخالية ولا تصري[٤] على المعاصي فمثل هذا يتبعه الأسى والأسف فالشيخ يبين

---

(١) يعني الموت .

(٢) الآية (٩٩) الحجر .

(٣) أي كيف يتعجب ومنه قوله تعالى (فاذا فرغت فانصب) . فالذي يؤمن بقضاء الله وقدره لا يغضب

(٤) أي ولا تثبتي أي تدومي عليها .

للملأ أن العود الى الذنوب السابقة هو أعظم الذنوب وكان يقول يا أخوتي ويا أسفي[1] ثم قال رحمه الله : فاز المطيع وقلبي بالبعاد رمى[2]

يعني في غفلتي تلك سبقني المطيع الى طاعة ربه وبقي قلبي بعيدا عن تحصيل الطاعة نعم فاز المطيع لربه ونجا من أهوال يوم القيامة . فالشيخ يحذر من معاودة الذنوب والآثام ويحث على الفوز والجد والاجتهاد .

ثم قال رحمه الله :

يا نفس قد طالما أوسقت من سفن
صنيع شر فلا يحصي لذي قلم

يعود ويقول مقرعا وموبخا نفسه بنفسه :

يا نفس كثيرا ما عملت من صنائع الشر حتى لو جسمت تلك الأعمال لملأت السفن الكبيرة العاتية ولا يمكن لكاتب بالقلم ان يحصي أعمالك السيئة الشريرة ففي هذا البيت تحذير وانذار وتهديد ووعيد وطالما[3] أوسقت[4] وملأت سفن البحار بذنوبك وآثامك التي جمعتها مع الايام والليالي .

ثم قال رحمه الله :

هل تبتغي بصنيع السوء مكرمة
ماذا والا ترومي[5] زلة القدم

---

(١) يصح يا اسفا ويا أسفي بفتح الفاء وكسرها كما هو ثابت لغة .
(٢) يعني والحال ان قلبي رمي بالبعاد .
(٣) طالما يعني كثيرا ما .
(٤) يعني الوسق بفتح الواو وسكون السين مصدر (وسق) الشي اي جمعه وحمله وبابه وعد ومنه قوله تعالى (والليل وما وسق) فاذا جلل الليل الجبال والاشجار والبحار والارض فاجتمعت له فقد وسقها .
(٥) فيه ما من ان حذف النون من الفعل كان لضرورة أو هي لغة في حذف النون لغير ناصب ولا جازم ومنه قول الشاعر :

ابيت أسري وتبيتي تدلكي — شعرك بالعنبر والمسك الذكي

يقول رحمه الله : يا نفس وقد جرد من النفس شخصا يخاطبه ويحاوره فيقول : مستفهما هل تطلبين بضعفك وعملك السوء مكرمة ونعمة وسعادة واذا قلت لا أطلب من وراء صنيع السوء حياة رخاء وهناء اذاً فأعمالك تدل على أنك انما تطلبين العمل الذي تزل فيه الأقدام! ولذلك قال رحمه الله :

هل تبتغي بصنيع السوء مكرمة[1]
ماذا والا ترومي زلة القدم

اللهم ثبت أقدامنا على الصراط يوم تزل الاقدام ·

قال رحمه الله :

جسمي ملكتيه حتى صار منهمكا[2]
في الموبقات[3] وفي نوع من اللؤم

يا نفس لقد سيطرت بنفوذك على جسمي فامتلأ بالشهوات والملذات حتى صار جادا لاجا في المهالك فارتدعي يا نفس وانزجري ولا تتمادي في غيك وضلالك ·

ثم قال رحمه الله :

نوحي فقد فاتك الخير الكثير وقد
فاز المجدون بالطاعات في القسم

الشيخ رحمه الله لا يأمر بالنياحة ولا يرغب فيها لانه يعلم بان النبي صلى الله عليه وسلم حذر ونفر من النياحة من اعمال الجاهلية كلها ·

---

(١) المكرمة واحدة المكارم والمكرم أيضا بضم الراء المكرمة عند الكسائي وعند الفراء هو جمع مكرمة والتكرم تكلف الكرم ولذلك قيل :

تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى — أخا كرم الا بان يتكرما

(٢) انهمك الرجل في الامر اي جد ولج ·

(٣) وبق يبق بالكسر وبوقا هلك وأوبقه ·

يقول الله سبحانه وتعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين)[١] ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة من الكفر بالله : شق الجيب والنياحة والطعن في النسب)[٢] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : (اربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر في الأحساب ، والطعن في الانساب والاستسقاء في النجوم ، والنياحة وقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال[٣] من قطران ودرع من جرب)[٤] .

فالنوح والتناوح التقابل وفيه سميت النوائح لتقابلهن وليس المراد من النياحة حقيقة معناها وانما يقصد الشيخ من ذلك التأثر من اطلاق الشيء وارادة لازمة اذ يلزم من النياحة التأثر والأسى والأسف :

يعني أيتها النفس تأسفي وتأثري على ما فاتك من التقصير في العمل الصالح حتى سبقك الناجون والمجتهدون بنصيب وافر من الاجر والثواب لتمسكهم بطاعة ربهم :

ثم قال رحمه الله :

ضيعت أوقاتك في اللهو واشتهرت
أفعالك السوء في الأقطار[٥] كالعلم[٦]

يعني لقد ضيعت أيتها النفس أوقاتك الغالية الثمينة في اللهو واللعب والتمسك بزينة الحياة الدنيا : حتى استهترت وظهرت أفعالك

---

(١) الآية (١٤) النساء .
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد .
(٣) السربال القميص وسربله فتسربل اي ألبسه السربال .
(٤) رواه مسلم .
(٥) القطر بضم القاف الجانب والبلد والناحية والجمع أقطار مثل قفل وأقفال .
(٦) العلم بفتحتين (العلامة) وهو ايضا الجبل وعلم الثوب والراية .

القبيحة السيئة في جميع نواحي الدنيا كأنها علم ظاهرة وراية واضحة أو كأنها جبل في رأسه نار ٠

ثم قال رحمه الله :

ماذا تقولي اذا وافى[1] المعاد[2] وقد
صار السؤال وما تبدي من الكلم[3]

يعني ماذا تقولين[4] اذا فجأك الموت وأنت على هذا القصور والتقصير وماذا تقولين اذا جاء يوم الحساب وأنت مفلسة من العمل الذي يقربك الى الله زلفى وبماذا تجيبين اذا وجه اليك السؤال بعد الموت في تلك الحفرة الضيقة وما هو الجواب الذي معك حتى تردي فارجعي يا نفس ٠

ثم قال رحمه الله :

واضيعتي من عتاب[5] الله واخجلي
وأوقفتي عند ذلك المشهد العمم

يقول رضي الله عنه :

كيف بك يا نفس وكيف حالك اذا جاء المعاد وجاء الحساب انه يستغيث قائلا سأكون فاقدا للصواب يوم يعاتبني الله على أعمالي ويستغيث قائلا واخجلي ما اعظم خجلي يومئذ وما أشد وقفتي بين

---

(١) وافى وفى الشيء بنفسه يفي اذا تم فهو واف ووافيته موافاة أتيته ووافى فلان أتى ٠
(٢) المعاد هو يوم الموت أو يوم القيامة وعلى كل فيوم المعاد او الميعاد هو وقت الحساب ٠
(٣) الكلم هو الكلام وقال علماء العربية هو ما زاد عن كلمتين فأكثر ولم يفد مثل (أن قام زيد) فهذا ليس بكلام والكلمة هي لغة المجاز وجمعها كلم بفتح الكاف وكسر اللام أي شيء عندك من الكلام يا نفس واطلاق الكلمة على الجمل المفيدة مجاز ٠
(٤) تقولي أصله تقولين ولكن جيء به محذوف النون كما ذكرت لك آنفا اما لضرورة الشعر او على لغة ٠
(٥) العتاب ٠

يدي الله في ذلك المشهد[1] العام الذي يراه كل أحد وماذا تفعلين في ذلك المحضر المخجل .

ثم قال رحمه الله :

ماذا اقــول وما قدمــت مـــن عمـــل
سوى اقترافي[2] عظيم الذنب واللمم[3]

يعني ماذا أقول يوم المعاد ويوم الجزاء والحال انني لم أقدم أمامي عملا صالحا نافعا مفيدا فما قدمت أمامي غير اكتسابي لعظائم الذنوب وصغائرها وليس لي هنالك سوى عفو الله ومغفرته .

ثم قال رضي الله عنه :

واخيبتي[4] أن أرى يوم القيامــة مــن
يعطى السرور[5] ودمعي غارق بدمــي

يقول رحمه الله فما أسوأ خيبتي وما أعظمها وما أشرها عندما أرى وأشاهد يوم القيامة من يأخذ كتابه بيمينه فينقلب الى أهله مسرورا ويا كرباه وشدتاه عندما أرى دمعي غارقا بدمي لا أميز بين الدمع والدم انه لموقف خيبة وخذلان وحسرة وندامة حيث لا ينفع الندم .

ثم قال رحمه الله :

جاوزت يا نفس للخمسين لــم تفـــق
هـــذا لعمري تنقيص بكـــل فـــم

---

(١) المشهد المحضر وزنا ومعنى .

(٢) قرفت الشيء قرفا من باب ضرب قشرته وقارفته مقارفة وقرافا من باب قاتل واقتراف الذنب فعله وقرف ايضا بالكسر اكتسب .

(٣) اللمم صغائر الذنوب وقيل مقاربة الذنوب .

(٤) الخيبة الخذلان والفشل .

(٥) هذه جملة حالية يعني حال كون غيري يعطى كتابه بيمينه ومعنى غارقا بدمي .

يا أيتها النفس لقد بلغت من العمر خمسين عاما والحال أنك لم تتيقظي ولم تتنبهي مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين) فان الانسان كلما تقدمت به السن وجب عليه التزود من الأعمال الصالحة ويقول صلى الله عليه وسلم : (اذا بلغ الرجل من العمر اربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار) فارجعي الى الله ولا تقاعسي ولا تتكاسلي لان بقاءك على هذه الحالة تنقيص واضاعة للوقت على كل لسان ٠

ثم قال رحمه الله :

يا نفس لا تبتغي اللذات وارتدعي
وارضي بما قدر الرحمن واستقم

يا نفس لا تطلبي اللذات والشهوات الدنيوية الفانية فان ما عند الله خير وأبقى : ارجعي الى الله راضية مرضية راضية بقضاء الله وقدره واستقيمي فيما أنت فيه من عمل صالح يقول عليه الصلاة والسلام (اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ٠ وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب) رواه ابن عدي في الكامل ورواه الترمذي وغيره ٠

قال الامام القشيري في رسالته : الراضي بالله هو الذي لا يعترض على تقديره وقال صاحب الرسالة القشيرية سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول : (ليس الرضا ألا تحس بالبلاء انما الرضا الا تعترض على الحكم والقضاء ٠ وقال المشايخ من السادة الصوفية : الرضا باب الله الاعظم يعنون أي يقصدون أن من أكرم بالرضا فقد فاز بالترحيب الاوفى وأكرم بالتقرب الاعلى وقال عبد الواحد ابن زيد الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ٠

واعلم يا أخي أن العبد لا يكاد يرضى عن الحق سبحانه الا بعد ان يرضى عنه الحق سبحانه لان الله عز وجل قال : (رضي الله عنهم ورضوا عنه)[1] قال رضي الله عنه في الرسالة سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول قال تلميذ لأستاذه هل يعرف العبد ان الله تعالى راض عنه؟ فقال الاستاذ لا : كيف يعلم ذلك ورضاه غيب فقال التلميذ : الولي يعلم ذلك فقال كيف ؟ قال التلميذ : اذا وجدت قلبي راضيا عن الله علمت انه راض عني فقال الاستاذ أحسنت يا بني وقيل قال موسى عليه السلام : الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت به عني قال يا موسى : انك لا تطيق ذلك فخر موسى عليه السلام ساجدا متضرعا فأوحى الله تعالى اليه يا ابن عمران ان رضاي في رضاك بقضائي .

وقوله رحمه الله :

وارضي بما قدر الرحمن واستقم

يقول سبحانه وتعالى : (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك)[2] .

فالله تعالى يقول لرسوله عليه الصلاة والسلام : (فاستقم يا محمد كما أمرتك ومن تاب معك ولا تتجاوزوا حدود ما أوحيناه اليكم فهو سبحانه بصير بما تعملون ويقول عليه الصلاة والسلام (شيبتي هود وأخواتها)[3] وفي رواية أخرى (شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت)[4] وفي رواية (شيبتني هود وأخواتها الواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت) رواه البيهقي في الدلائل عن ابي سعيد رضي الله عنه .

---

(١) الآية (٨) من سورة البينة .
(٢) الآية (١١٢) من سورة هود .
(٣) رواه الطبراني عن عقبة بن عامر .
(٤) رواه الترمذي والحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول (شيبتني هود وأخواتها) لما فيها من الآيات الزاجرة كقوله تعالى لنبيه (فاستقم كما أمرت) فان الامر بالاستقامة ليس من الامور السهلة التي تنال بالكلام والقيل والقال فقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم معناها ووقف على مغزاها وبدأ في التفكير في فحواها فكان كلما تذكر أمر ربه بكى وخشع وخضع وأما أخوات (هود) في السور التي ذكرناها في الأحاديث آنفا[1] لانها كلها فيها بيان هول المحشر في القيامة .

قال الامام اللقاني في الجوهرة :

واليوم الاخر ثـم هـول الموقـف
حـق فخفف يـا رحيـم واسعـف

وفي الحديث (من أراد ان يذكر أهوال القيامة فليقرأ السور الثلاث التكوير والانفطار والانشقاق) وعن أبي عمرو ، وقيل ابي عمرة سفيان بن عبد الله[2] رضي الله عنه قال : « قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحـدا غيرك ، قال : قـل آمنت بالله ثـم استقم »[3] .

أي استقم كما أمرت ونهيت والاستقامة هي ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات وقال تعالى مادحا ارباب الاستقامة (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) وفي التفسير أنهـم اذا بشروا بالجنة قالوا ما يأكلون وما حالهم بعدنا فقال لهم « نحن أولياؤكم في

---

(١) قريبا .
(٢) أسلم مع وفد الطائف واستعمله عمر على صدقات الطائف ومروياته خمسة احاديث .
(٣) رواه مسلم .

الحياة الدنيا وفي الآخرة » الآية [1] أي نتولى أمرهم بعدكم فتقر بذلك أعينهم والغاية من الحديث السابق الثبات على الايمان والاستقامة على الشريعة رزقنا الله وإياكم وإخوتنا في الله الثبات على الحق إنه سميع مجيب (ان في ذلك لذكرى لمن كان لــه قلب أو ألقــى السمع وهــو شهيد)[2] ·

يا قلب أنصف[3] وساعدني فلست أرى
فيــك النهوض فبــادر وارعــو ولــم

عاد رحمه الله الى محاورة القلب فانه موضع نظر الرب فأراد ان يخاطبه لانه هو الذي يعي ويحفظ ويرضى ويغضب ويفرح ويتكدر · فقال له صاحبه[4] وهو يحاوره :

يا قلب أعدل وساعدني على عمل الخير لاني لا أرى فيك نهوضا ولا همة ولا استعدادا فبادر الى عمل الخيرات وانزجر عــن المعاصي والسيآت ولا تحقد على أحد واذكر ربك دائما ولا تنس ذكره :

وساعــة الذكر فاعلــم ثروة وغنــــى
وساعة اللهــو إفلاســـ وفـــاقـــات

قال تعالى (فانهــا لا تعمى الابصار ولــكن تعمى القلوب التي في الصدور)[5] فالآية السابقة (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب

(١) الآية (٣١) من سورة فصلت ·
(٢) الآية (٣٧) من سورة ق ·
(٣) أنصف أي اعدل يقال أنصفه من نفسه والنصف هو منه ·
(٤) أي صاحب القلب ·
(٥) قال العارف بالله الدسوقي :

قـد كان في القلب أهواء مفرقـة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائـي
تركت للناس دنياهـم ودينهـم ... شغلا بحبك يا دينـي ودنيائـي

يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار الآية يعني أفلم يسيروا في الارض ليروا مصارع الهالكين الغابرين قبلهم ؟ رجاء ان تكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فان العيون لا تعمى فقد يكون فاقد البصر على أرقى ما يكون من التبصر والاحساس ولكن تعمى القلوب المجاورة للصدور ٠

ثم قال رحمه الله :

وقم على ساق[1] جد في محبة من
لولاه ما أنزل التنزيل[2] بالحكم

ثم شرع المؤلف رحمه الله في حث مريديه والناس أجمعين على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسطة عقد النبيين والمرسلين فقال وقم أيها الطالب مجدا مجتهدا في محبة هذا الرسول العظيم الذي لولاه ما رأينا كتابا ولا سنة ولا تشريعا ولولاه ما رأينا تلك الحكم الغالية في هذا التنزيل قال تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[3] وقد ورد ان ذات النبي صلى الله عليه وسلم كانت نورا حتى إنه لا يظهر له ظل في الشمس وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت بينما أخيط ثوبا في السحر فوقعت الابرة مني وانطفأ المصباح اذ دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتقطت الابرة من نور وجهه فقلت يارسول الله ما أبهى وجهك وما أشد نور طلعتك فقال يا عائشة : (الويل كل الويل لمن لم يرني يوم القيامة فقلت ومن ذا

---

(١) كناية عن القوة والاستعداد في محبته صلى الله عليه وسلم (ساق جد) كلمة بلاغية عمل للمجتهد ساقا يقف عليه بهمة عالية ٠

(٢) التنزيل هو القرآن الكريم لانه أنزل من عند الله بواسطة سفير الانبياء والمرسلين سيدنا جبريل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ٠ والجد بكسر الجيم الاجتهاد في الامر تقول منه جد ويجد بكسر الجيم وضمها ٠

(٣) الآية (٤٢) من حم السجدة فصلت ٠

الذي لا يراك يوم القيامة فقال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وقال صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين)[1] والله تعالى يقول : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)[2] .

يعني ان كنتم أيها الناس تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله لاني رسوله وقد أوحى الي ما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم وقد تكلمت على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثمرتها عند شرح الدرة عند ذكر هذه الآية وذكرت ما فيه المزيد .

ثم قال رحمه الله :

كلا ولا سطع[3] الايجاد[4] من أحد
كلا ولا أرسلت رسل الى أمم

يقول رحمه الله لولاه ما أنزل التنزيل بالحكم :

أي لولا سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ما سطع وما ظهر أي موجود على وجه البسيطة ولولا محمد عليه الصلاة والسلام ما ارسل الله الرسل الى الأمم الماضية لانه كان من حكمة الله العليم الحكيم أن يكون محمد رسول الله خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(١) رواه احمد في مسنده متفق عليه والنسائي وابن ماجه عن انس رضي الله عنه .

(٢) الآية (٣١) من سورة آل عمران .

(٣) سطع بمعنى ظهر ووجد .

(٤) عبر عن الوجود بالايجاد .

ثم قال رحمه الله :

قالوا(١) تمدح(٢) فمدحي في جلالتـه(٣)
عين القصور(٤) بخير العرب والعجـم

معنى ذلك والله أعلم : ان اخوته في الله أو قال له الناس اثن على الله وامتدحه • قال ماذا أقول والرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه (أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصي ثناء عليـك) أنا لا أستطيع أن أعطي رسول الله عليه الصلاة والسلام حقه في المديح والثناء فكيف بامتداحي لله سبحانه وتعالى فقصوري في ثنائي على الله هو عين قصوري ومدحي وثنائي على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فمهما حاولت الثناء على الله ورسوله فلن أصل اليه فهو سبحانه كما أثنى على نفسه لا نحصي ثناء عليه وجزى الله عنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما هو أهله ثم قال :

ماذا امتداحي بمن لولاه مـا خلقـت
عوالم(٥) بل ولا قور(٦) مـع الأكـم(٧)

يقول ويكرر قوله مستفهما متعجبا ماذا امتداحي كيف لا أمدح رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي لولاه ما خلق الله إنسا ولا جنا ولا خلق

---

(١) قالوا أي قال لي الاخوة في الله أو قال لي الناس •

(٢) المدح الثناء الحسن وبابه قطع وامتدحه مثل مدحه وتمدح الرجل تكلف ان يمدح •

(٣) جلالته عائدة على الله وحده •

(٤) قصر على وزن جهر عن الشيء عجز عنه ولم يبلغه والتقصير في الامر التواني به •

(٥) العالم بفتح اللام الخلق والجمع عوالم بكسر اللام والعالمون بفتح اللام أصناف الخلق وقيـل العالم بفتح اللام مختص بالعقلاء •

(٦) القور بضم القاف الدار وغيرها فهي قوراء والبيت أقوار • يعني لولا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما وجد شيء من العوالم والمخلوقات •

(٧) الاكمة هي ذات الحجارة السود وقيل تل وقيل شرفة كالرابية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد والجمع أكم وأكمات مثل قصبة وقصب وقصبات وجمع الاكم اكام مثل جبل وجبال وجمع الآكام أكم كما هنا مثل كتاب وكتب •

شيئا من العوالم سواء أكانوا عقلاء أم غيرهم بل ولا خلق شيئا من هذه الكائنات الحية .

ثم قال :

ولا سمـــاء ولا أرض ولا ملـــــك
ولا رسول وكـان الكـل في عـــدم

هذا البيت معطوف[1] على ما قبله وهو البيت :

وقم عـلى ساق جـد في محبـة مـــن
لولاه مـا أنزل التنزيـــل بالحكـــم

يعني لولا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما أنزل علينا القرآن بهذه الحكم الغالية ولولا محمد ما كان هناك دنيا ولا سماء ولا أرض ولا ملك (يعني ملائكة) ولكان العالم كله في جهالة جهلاء يتخبط خبط عشواء[2] بلا رسول ولا بشير ولا نذير ومن أجل هذا المعنى فلا بأس بايراد حديث جابر المشهور ، فعن جابر بن[3] عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول شيء خلقه الله تعالى فقال : هو نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شر وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثنى عشر ألف سنة ثم جعله اربعة اقسام فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم ، وأقام القسم الرابع مقام الحب اثنى عشر الف سنة ثم جعله اربعة أقسام فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف

---

(١) العطف بالواو دائما يكون على الاول بخلاف العطف بالفاء فهو للتعقيب والعطف بثم للترتيب .

(٢) والعشواء الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها كل شيء وركب فلان العشواء اذا خبط أمره على غير بصيرة وفلان خابط خبط عشواء .

(٣) من كتاب الاسرار الربانية على الصلوات الدرديرية للشيخ أحمد الصاوي صفحة (٢٣) .

اثنى عشر ألف سنة ثم جعله اربعة اجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء ، وخلق القمر والكواكب من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنى عشر ألف سنة ، ثم جعله اربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والحكم من جزء والعلم من جزء ، والعصمة والتوفيق من جزء ، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثنى عشر ألف سنة . ثم نظر اليه فترشح النور عرقا فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفا واربعة آلاف قطرة ، فخلق الله تعالى من كل قطرة روح نبي او رسول ، ثم تنفست أرواح الأنبياء ، فخلق الله من أنفاسهم نور أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين الى يوم القيامة فالعرش والكرسي من نوري ، والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نوري ، وملائكة السموات السبع من نوري ، والجنة وما فيها من النعيم من نوري وأرواح الأنبياء والرسل من نوري ، والشهداء والسعداء والصالحون من نتائج نوري ، ثم خلق الله اثنى عشر حجابا فأقام النور وهو الجزء الرابـــع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية ، وهي حجاب الكرامة والسعادة والرؤية والرحمة والرأفة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة ، فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الارض فكان يضيء بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم ، ثم خلق الله آدم من الارض وركب فيه النور في جبينه ، ثـــم انتقل منه الى شيث ولده ، وكان ينتقل من طاهر الى طيب الى ان وصل الى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه الى وجه أمي آمنة ثم أخرجني الى الدنيـــا فجعلني سيد المرسلين وخاتـــم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر أ هـ)[1] .

(١) ذكره شيخنا الشيخ سليمان الجمل في أول شرحه على الشمائل المحمدية عن سعد الدين التفتازاني في شرح بردة المديح عند قوله :

وكل آي أتى الرســل الكرام بهـــا فانما اتصلت مـــن نوره بهـــم

ثم قال رحمه الله :

من الجمال الالهي كان مظهره

ومنه بدر الوجود المطلق الفخم[١]

هذا البيت يؤيد الحديث السابق ويعضده[٢] فيقول لقد كان مظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أي مظهر جماله ونوره مقتبسا من نور الله عز وجل كما مر معنا في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ومن نور الله ظهر بدر[٣] هذا الوجود المعمور بالكائنات الحية وغير الحية فعبر عن هذا النور بالبدر والبدر هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه ناحية او نكتة بلاغية ولا مانع من هذه المبالغة في المدح لا سيما اذا تجاوزت التأليه كما ألهت النصارى نبيهم عيسى عليه السلام أي فالمادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤلهه كما قال البوصيري رضي الله عنه :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم

واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ومن هذا الجمال الالهي ظهر بدر الوجود العظيم الشأن ·

ثم قال رحمه الله :

فالعرش والفرش والأفلاك أجمعها

من نور طلعته هلت بذي العظم

يعني أن العرش والفرش والنجوم بأجمعها قد ظهرت من نور طلعة هذا الرسول الكريم صاحب القدر والشأن الرفيع ·

---

(١) الفخم وفخم فخامة ضخم وعظم قدره فهو فخم ·

(٢) أي يقويه يثبته ويعينه ·

(٣) بالغ في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعله نفس البدر وهذه نكتة بلاغية كما في قول ارباب البلاغة الشافعي علم وفيه وجهان جعل موطأه وجعل اشتقاق وهذا هو التشبيه البليغ فقد جعل الشافعي نفس العلم كما جعل النبي صلى الله عليه وسلم نفس البدر ·

نعود الى ذكر البيت :

فالعرش[1] والفرش والأفـلاك[2] أجمعها
من نور طلعته هلت[3] بذي[4] العظـم

فجميع مواد العالم والافلاك العلوية والسفلية ظهرت مـن أجـل صاحب الشأن الرفيع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتقرأ بذي ولذي أو أن جميع العوالم نادت باسم هذا الرسول العظيم .

ثم قال رحمه الله :

والأنبيا[5] وجميـع الرسل قاطبـة[6]
كل لديـه مـع الامـلاك[7] كالخـدم

يعني أن الانبياء والمرسلين جميعا لا يتقدم واحد منهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان الخادم لا يتقدم ولا يتجاوز مقام سيده

---

(١) العرش هو السرير وعرش البيت سقفه والعرش شبه بيت من جريد يجعل فوق الشمام والجمع عروش مثل فلس وفلوس والعريش مثله وجمعه عرش بضمتين مثل بريد وبرد وعلى الثاني تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يقطع التلبية اذا رأى عروش مكة والشمام على وزن غراب نبت يسدبه خصاص البيوت الواحدة ثمامة وبها سمي الرجل .

(٢) الافلاك مفرده فلك والفلك جمعه افلاك مثل سبب واسباب والفلك هو التل المستدير من الرمل حوله فضائل ومن البحر موجه المستدير المضطرب وفلك الفضاء يدور فيه النجم او الكواكب جمع أفلاك .

(٣) هلت بمعنى ظهرت أهل المولود اهلالا خرج صارخا واهل المحرم رفع صوته واهل الهلال بالبناء للفاعل والمفعول بمعنى ظهر .

(٤) بذى أي صاحب .

(٥) النبي انسان حر ذكر اوحى اليه بشرع يعمل ولم يؤمر بتبليغه والنبي لغة المتبيء والمنبا بمعنى المخبر والرسول لغة المبعوث من مكان لآخر وشرعا أوحي اليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه وأسقط الهمزة من الانبياء لئلا ينكسر البيت او لضرورة الشعر .

(٦) قاطبة : يقال جاء الناس قاطبة أي جميعا .

(٧) الاملاك جمع ملك بفتح اللام كفلك وأفلاك والملائكة هي أجسام نورانية لطيفة تتشكل باشكال مختلفة كما كان يأتي جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحيه الكلبي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وكذلك كل من في السموات والارض من الانس والجن والملائكة لا يستوون في المنزلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل في الجوهرة :

وأفضل الخلق على الاطلاق
نبينا فمل عن الشقاق

وكما قال شوقي رحمه الله :

وقيل كل نبي عند رتبته
ويا محمد هذا العرش فاستلم

ثم قال :

والكتب أضحت بهذا الشأن ناطقة
فدع مقالة[1] غمر[2] ظالم أثم

يقول ان الكتب السماوية بشرت برسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم (أنا بشرى عيسى ودعوة ابراهيم) وذلك في قوله تعالى في القرآن الكريم على لسان عيسى صلى الله عليه وسلم (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) وقوله تعالى على لسان ابراهيم عليه الصلاة والسلام (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)[3] .

يعني أن ابراهيم واسماعيل قالا وهما يبنيان البيت ربنا وأرسل في تلك الأمة من ذريتنا رسولا منهم يقرأ عليهم ما تنزله من وحيك

(١) مقاله مصدر لقال ومنه قيلا وقال وقالون وقالة وقول ومنه قوله تعالى (ذلك عيسى بن مريم قال أي قول الحق الذي فيه يمترون .

(٢) غمر بضم الغين واسكان الميم يقال رجل غمر لم يجرب الامور ويقال غمر وغمارة بالفتح واصله الصبي الذي لا عقل له .

(٣) الآية (١٢٩) البقرة .

ويعلمهم احكام دينك وما تكمل به نفوسهم من المعارف إنك أنت القوي الحكيم الذي يضع الامور في نصابها وقال تعالى على لسان عيسى عليه السلام (واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)[1] .

نعم الكتب السماوية بشرت بهذا الشأن ونطقت به قال تعالى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا) (٤٦)[2] .

وتوضيحا لمغزى البيت :

والكتب أضحت بهـذا الشأن ناطقـــة
فدع مقالـــة غمر ظالـــم أثـــم

يعني لا تلتفت الى ما قيل على لسان أحد المفسرين بأن جبريل أفضل من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما أشار الى ذلك الامام الزمخشري في سورة التكوير عند قوله تعالى (إنه لقول رسول كريم (١٩) ذي قوة عند ذي العرش مكين) آية ٢٠ .

فسيدنا الجد رحمه الله :

فدع مقالـة غمر ظالـم أثـــم

بفتح الغين من لا عقل له أو غمر بضم الغين يعني دعك من قول الرجل الذي لم يجرب الأمور بانه رحمه الله لا يقصد من ذلك الزمخشري

---

(١) الآية (٦) من سورة الصف .

(٢) الآيتان (٤٥ ، ٤٦) من الاحزاب .

ولا غيره وانما يعني ما يقول ويقصد كل قائل يقول بافضلية جبريل على نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ·

ثم قال رحمه الله :

فهو السفير[1] لنـــا في دفـــع نازلـــة[2]
وهو العياذ[3] لنا في كـل مزدحـــم[4]

يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى بين الله وبين عباده · قال سيدي عبد السلام بن بشيش او مشيش في صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا شيء الا وهو به منوط[5] (أي إلا وهو مناط به) أي ولا موجود الا وهو مستمد من وجوده صلى الله عليه وسلم لانه أصل الأشياء ·

(اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل[6] الموسوط) هذا علة لقولـه (ولا شيء الا وهو به منوط) وذلك لانه الواسطة العظمى في وجود المخلوقات ·

---

(١) قيل للوكيل ونحوه سفير والجمع سفراء وشريف وشرفاء كانه مأخوذ من قولهم سفرت الشيء سفرا من باب ضرب اذا كشفته وأوضحته لانه يوضح ما ينوب فيه ، وسفرت المرأة سفورا أي كشفت وجهها فهي سافر بغير هاء والسفير الرسول والسفير المصلح بين قومين وسفير (في القانون الدولي) مبعوث يمثل الدولة لدى رئيس الدولة المبعوث اليها لانه موضع ثقة رئيسه ·

(٢) النازلة : هي المصيبة الشديدة تنزل بالناس والعياذ بالله تعالى ·

(٣) استعذت بالله وعذت به معاذا او عياذا اعتصمت وتعوذت به وعوذت الصغير بالله وباسم الفاعل سمي ومنه معوذين عفراء بنت معوذا والمعوذان ·

(٤) المزدحم المعترك والشدة والضيق ومنه ازدحموا ·

(٥) معلق ناطه نوطا من باب قال علقه واسم موضع التعليق مناط بفتح الميم والافصح فيها ان يقال فهو به مناط لان معنى كلمة (المنوط) المصاب بالنوطة ويقال هو نوط بالقوم · دخيل فيهم او دعي ·

(٦) ليس المراد من قوله (قيل) صيغة التمريض او التضعيف والتقليل من قيمة الخبر بل المراد النسبة اي كما قال العارفون قولا قويا يعتمد عليه ومنه قول بعضهم :

وأنت بـاب الله أي امرىء   أتاه مـــن غـيرك لا يدخـــل
فرج بالذهاب الذي اشتكـــى   وان توقفت فمن أســـال

أو المراد بلفظ قيل المصدر أي كقول ومصادر القول كثيرة ·

أو أنه صلى الله عليه وسلم هو الموضح والمبين لنا أحكام الشريعة كما قال تعـالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)[1] انه صلى الله عليه وسلم يوضح ما ينوب فيه أو أنه صلى الله عليه وسلم مرسل من قبل الله لاصلاح أو ليصلح ما فسد من عقائد الناس .

أو أنه الوسيلة العظمى بجاهه ومقامـه عند الله في دفـع النوازل والشدائد عن الأمة المحمدية قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)[2] .

يعني ما كان الله ليعذبهم عذاب افناء واستئصال والحال أنك يا محمد موجود فيهم لانه لم تجربه سنة الله وما كان الله معذبهم وفيهم مؤمنون صادقون يستغفرون الله ويدعونه ويسألونه .

أو وهو المعتصم والملاذ والمعاذ والملجأ لنا في كل ضيق وكرب وشدة .

ثم قال رحمه الله :

وهو الغياث[3] الذي تهدى[4] نوائله[5]

للقاصدين كذلـك البـاب للحكـم

يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هـو مغيثنا وناصرنا اذا استغثنا به واستنصرناه أي طلبنا الغوث والنصر لانه الوسيلة العظمى عند الله والفاعل في الحقيقة هو الله لا غير وهو صلى الله عليه وسلم الذي تعطى عطاياه وامداداته للطالبين والمحبين والمريدين له كما قال تعالى

---

(١) الآية (٤٤) من سورة النحل .

(٢) الآية (٣٣) من سورة الانفال .

(٣) يقال أجاب الله دعاءه وغواثه وغواثه بالضم والفتح والاسم الغياث واغاثة اغاثة اذا أعانه ونصره فهو مغيث اغاثهم الله برحمته كشف شدتهم .

(٤) تهدي تعطي .

(٥) نوائله عطاياه والنوائل جمع نائلة ونال من باب قال والاسم النوال .

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (٣١) قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) (٣٢)[١] وهذه أمور ترجع الى الله الحكم العدل الذي ليس لنا إله سواه هذا اذا قرأنا الحكم[٢] بفتح الحاء والكاف او للحكم بكسر الحاء فتح الكاف جمع حكمة وهي العلم النافع قال تعالى (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب)[٣] ٠

يعني أنه سبحانه وتعالى يهب الحكمة لمن يشاء ومن يعطى الحكمة فقد وهب خيرا كبيرا عظيما وما يتعظ ويعي هذا الا أصحاب العقول الكاملة ٠

ثم قال :

فامدح[٤] كما[٥] شئت فهو الفذ[٦] مرتبة
وليس فوقـــه الا الله فافتقـــــم[٧]

هذا البيت كضارع[٨] البيت الذي ذكره المحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الامام البوصيري في باب مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الأيتان (٣١ ، ٣٢) من سورة آل عمران ٠

(٢) والحكم بفتح الحاء والكاف هو الحاكم العادل الذي يضع الامور في نصابها وأما الحكم بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة والحكمة هي العلم النافع او هي التي تمنع صاحبها من اخلاق الاراذل ٠

(٣) الآية (٢٦٩) من سورة البقرة ٠

(٤) فامدح : المدح هو الاطراء والثناء على من كان متصفا بالصفات الحميدة او صدر عنه فعل محمود ٠

(٥) كما ما هنا مصدرية اي كمدح ما شئت او ما بمعنى كيف ٠

(٦) الفذ : المفرد الذي لا يباري او الواحد وجمعه فذوذ ٠

(٧) اي فافهم وحركت الميم بالكسر ضرورة الشعر فهـــم الشيء بالكسر فهما وفهامة اي علمه وفهمـــه فهما احسن تصوره وتفاهم فهم شيئا فشيئا اي لا يعلو ولا يفوق مقام رسول الله الا (الله) ٠

(٨)

دع ما ادعتـــه النصارى في نبيهـــــم
واحكم بما شئت مدحا فيــه واحتكـــم

وانسب الى ذاتــه ما شئت مــن شــرف
وانسب الى قدره ما شئت مــن عظـــم

فان فضـــل رسول الله ليس لـــــــه
حد فيعرب عـــن ناطـق بفـــــم

الى أن قال رضي الله عنه :

وكيف يدرك في الدنيـــا حقيقتـــــه
قوم نيـــام تسلوا عنــه بالحلـــــم

وقال البوصيري رضي الله عنه في البردة نفسها :

فاق النبيـــين في خلـــق وفي خلـــق
ولـــم يدانوه في علـــم ولا كـــــرم

عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا أي ذا فحش في أقواله ولا في أفعاله وهو ما يخرج عن مقدرته حتى يستقبح ويستهين شرعا او طبعا واستعماله في القول اكثر من الفعل والصيغة ومنه السب واللعن (ولا متفحشا) أي ولا متخلقا بالفحش فنفت عائشة عـن رسول الله صلى الله عليـه وسلم الغريزي والمكتسب (ولا صخابا) الصخب[1] بالصاد المهملـة الصياح ويقـال بالسين والاول أشهر والمراد بالمبالغة هنا أصل الفعل على حد ما قيل في آية وما ربك بظلام للعبيد بقرينة ان المقام للمدح ولا يكفي نفي

(١) صخب من باب تعب ورجل صخب وصاخب وصخاب وصخبان اي كثير اللغط والجلبة والمرأة صخبى قبالها وابدال الصاد سينا لغة والاولى اشهر .

المبالغة فقط فان الاصل الفعل منفي من أساسه (في الاسواق) ليس بقيد بل المعنى أنه لا يصخب أي لا يصيح في الاسواق التي هي محل الخصومات والمنازعات الدنيوية فيكون عدم صخبه في غير الاسواق من باب أولى وأحرى لانه ليس ممن ينافس ولا يعبأ[١] بالدنيا وجمع حطامها حتى يخاصم عليها ويرفع صوته لأجلها وقالت هند (لا تغضبه الدنيا وما كان لها ، وهذا لا ينافي جهره بالحق في أي مكان وزمان وجهره بالقراءة حال الصلاة ولا ينافي مبالغته في رفع الصوت حال الخطبة (ولا يجزى) بفتح الياء من الجزء أي لا يكافيء ولا يجازى (بالسيئة السيئة)[٢] واطلاق السيئة على الثانية للمشاكلة كقوله تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب)[٣] لا يجازي السيئة بالسيئة (ولكن يعفو) بباطنه (ويصفح) يعرض بظاهره امتثالا للأمر بذلك في غير[٤] ما آية (ولم يترك جزاء المعتدي عجزا او مع بقاء الغضب وحسبك عفوه وصفحه عن أعدائه الذين حاربوه وبالغوا في ايذائه حتى شجوا[٥] وجنته[٦] وكسروا رباعيته[٧] فقال له أصحابه لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي أو اهد قومي فانهم لا يعلمون وما من حلم قط الا وقد عرف له زلة وهفوة تخدش في كمال حلمه الا المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيده شدة الايذاء له والجهل عليه الا عفوا وصفحا لا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما ٠

---

(١) أي لا يهتم ٠

(٢) الباء بمعنى بدل أي ولا يجزي السيئة بدل السيئة كما في قوله تعالى (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) أي بدل الآخرة ٠

(٣) قالها سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم الآية (١١٧) من المائدة ٠

(٤) هنا (ما) زائدة بين المضاف والمضاف اليه وما بعد اذا زائدة كما هي القاعدة مثل :

اذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

(٥) شجه يشجه بضم الشين وكسرها شجا ورجل أشج بين الشجة اذا كان في جبينه أثر الشجة ٠

(٦) الوجنة بتسكين الجيم ما ارتفع من الخدين يقال امرأة وجناء أي عظيمة الوجنتين ٠

(٧) والرباعية بوزن الثمانية السن التى تبين الثنية والناب والجمع رباعيات ٠

وروى ابو داود أن أعرابيا جذبه[١] بردائه حتى أثر في رقبته الشريفة لخشونته وهو يقول احملني على بعيري هذين أي حملها لي طعاما فانك لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا[٢] واستغفر الله ثلاث مرات لا احملك حتى تقيدني[٣] من جذبتك فقال والله لا أقيدكها ثم دعا رجلا فقال له احمل له على بعيريه بفدية على بعير تمرا وعلى الآخر شعيرا وروى البخاري أنه لما جذبه تلك الجذبة الشديدة التفت اليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء ولله در القائل :

عاشر النـــاس بأخـلاق الرضـــا
تملـــك الأحرار مــن غـير ثمـــن
لا تقـــل في الحلـــم ذل فلقـــد
ســاد أهــل الحلـم في كــل زمـــن
إن للصبـــر عليـــه مسلكـــــا
ليس يرقى فيـــه الا مـــن ومـــن

ثم قال رحمه الله :

يا قلب فاجنح[٥] له كي تهتدي[٦] وتفز[٧]
يا صب[٨] أخلص ولذ[٩] بالمصطفى وهم[١٠]

---

(١) يقال جذبه وجبذه والجذب المد ٠
(٢) يجب الفصل هنا بالواو من ص ١٣٦ ـ ١٤٠ ٠
(٣) قاده يقيده القود بفتحتين القصاص وأقاد القاتل بالقتل قتله به واستقاد الحاكم سأله أن يقيد القاتل بالقتيل والمراد من ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم طلب من الذي جذبه ان يسمح له ٠
(٤) أ هـ من شرح الشمائل المحمدية لمحمد بن قاسم جسوس ٠
(٥) اي فمل الى طريقة المصطفى صلى الله عليه وسلم جنح مال وبابه خضع ودخل ٠
(٦) هذا فعل مضارع منقوص تظهر الفتحة على يائه لوقوعه بعد كي ولكن للشعر ضرورة ٠
(٧) اي وتفوز منصوب الاخر لانه معطوف على تهتدي وانما لم تظهر الواولضرورة الشعر ٠
(٨) الصب مأخوذ من الصبابة وهي الشوق للحبيب يا صب أخلص : أيها المشتاق أخلص ليله ٠
(٩) لذ لاذبه لجأ اليه وعاذبه وبابه قال (دليا ذا) أيضا بالكسر ٠
(١٠) وهم محرك الآخر بالكسر للضرورة هام به خرج على وجهه لا تدري اين يتوجه وهو هائم والهيام بالكسر الابل العطاش الواحد هيمان والابل الهيم العطاش ٠

يا قلب كن مائلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ياصاحب القلب المخلص سر على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسك بشريعة هذا النبي الكريم ليهديك الله وتفوز دنيا وآخرى يا صب أيها المشتاق الى رسولك أخلص في المحبة لله ولرسوله والتجيء الى الله ورسوله وتمسك بحب المصطفى وكن دائما في هيام واشتياق له : قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسولـه فقد فاز فوزا عظيما)[١] (٧١) ·

ثم قال رحمه الله :

واخلـــع عذارك وافـن في محبتـــــه
وارسل دموعـك ممـا فات في القـــدم

شرع رحمه الله في بيا حقيقـة المحبة في الله · كمـا قال سادتنـا الصوفية :

وبعد الفنـا في الله كـن كيفما تشـا
فعلمـك لا جهـــل وفعلــــك لا وزر

نعود الى البيت :

واخلع[٢] عذارك وافـن[٣] في محبتـــه
وارسل[٤] دموعك مما فات في القـــدم

(١) الآيتان ٧٠ ، ٧١ من سورة الاحزاب ·
(٢) واخلع عذارك عذار الرجل بكسر العين وفتح الذال شعره الثابت في موضع العذار ويقال للمنهمك في الغي والضلال خلع عذاره ·
(٣) الفناء في الله هو الاستغراق في محبة الله حتى ينسى نفسه ويذكر كما قيل :
وجودي أن أغيب عـن الوجود بما يبدو علي مـن الشهود
(٤) الهمزة فيها همزة قطع لكن التسهيل فيها للضرورة ·

أشار الشيخ رحمه الله بالفناء الى سقوط الاوصاف المذمومة وأشاروا بالبقاء الى قيام الاوصاف المحمودة واذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين النوعين فمن المعلوم أنه اذا لم يكن أحد النوعين كان النوع الآخر لا محالة فمن فني عن أوصافه المذمومة وتركها ونسيها ظهرت عليه الصفات المحمودة ، ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة ومن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال انه فني عن شهواته فاذا فني عن شهواته بقي بنيته واخلاصه في عبوديته ، ومن زهد في دنياه بقلبه يقال فني عن رغبته فاذا فني عن رغبته فيها بصدق انابته ومن عالج اخلاقه وسلوكه فنفى عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر والرياء وامثال هذه من رعونات[١] النفس يقال فني عن سوء الخلق ، فاذا فني عن سوء الخلق ، بقي بالفتوة[٢] والصدق ، ومن شاهد جيان القدرة في تصاريف الاحكام ، يقال فني عن حسبان الحدثان[٣] من الخلق فاذا فني عن توهم الآثار من الاغيار بقي بصفات الحق ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار ، لاغيا ، ولا أثرا ، ولا رسما ولا طللا[٤] يقال انه فني عن الخلق وبقي بالحق ، اذا فغيناء العبد عن افعاله الذميمة وأحواله الخسيسة بعدم هذه الأفعال ، وفناؤه عن نفسه ، وعن الخلق بزوال احساسه[٥] بنفسه .

معنى قول الشيخ رحمه الله :

واخلع عذارك وافن في محبته

وارسل دموعك مما فات في القدم

---

(١) الرعونة بضم الراء والعين الحمق والاسترخاء ورجل (أرعن) وامرأة (رعناء) بينا الرعونة والارعن والاعوج في منطقه .

(٢) الفتوة القوة والشجاعة والصبر .

(٣) الحدثان بفتح الحاء والدال الليل والنهار .

(٤) وجدثان الدهر نوائبه وحوادثه .

(٥) الطلل : الطلل بفتح الطاء واللام ما شخص أظهر والجمع اطلال .

(٦) يعني أنه أصبح لا نحس الا بالله كما قيل :

فقوم تاه في ارض بقفر　　وقوم تاه في ميدان حبه

فافنوا ثم أفنوا ثم أفنوا　　وأبقوا بالبقا من قرب ربه

يعني الى متى أيها المريد لربك الطالب لرضاء ربك هذا التواني[١] والتمادي[٢] ؟ الى متى هذا الغرور[٣] والاغترار ؟ الى متى أنت باق في غيك وضلالك فاترك الغي والضلال جانبا واترك كل صفة ، مذمومة وتخلق بالاخلاق والصفات المرضية ، وتمسك بربك وافن نفسك في محبته وطاعته وابك على خطيئتك فقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام (اللهم ارزقني عينين هطالتين)[٤] وقد ورد في حديث : (سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله ان من جملة السبعة (ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) رواه البخاري ومسلم من حديث طويل .

وورد في الاثر (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله وفي رواية وعين غضت عن محارم الله فالمراد من ارسال الدموع لالزامها وهو البكاء[٥] فليبك كل مؤمن على ما فاته من الطاعة وعلى ما اقترفه من الموبقات وفي الحديث (ما من نفس تموت الا وتندم فان كانت مؤمنة بكت على التفريط وعدم الاستزادة من الخير وان كانت غير ذلك ندمت على عدم العمل واللجوء الى ضياع الاوقات والكسل او كما قال صلى الله عليه وسلم وورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسنداه او نحو ذلك الا وكل به ملكان يلهزانه : هكذا كنت)[٦] .

---

(١) التواني التأخر والتساهل والتواني والتمادي التسويف .

(٢) وهما بمعنى واحد .

(٣) الغرور اغتر الرجل واغتر بالشيء خدع به وأما الغرور بضم الغين ما اغتر به من متاع الدنيا وفي الحديث (الاغرار في الصلاة) بكسر الغين . وهو ألا يتم ركوعها وسجودها والغر بكسر الغين اي جاهل بالامور أي غافل عنها وما غرك بفلان والاغترار بآخر ان تطن به الا من فلم اتحفظ وبان لي غير ذلك .

(٤) هطل : سال والهطل تتابع المطر والدمع وسيلانه .

(٥) بكى يبكي بالكسر وبكاء وهو يمد ويقصر فالبكاء بالمد الصوت وبالقصر الدموع وخروجها .

(٦) رواه الترمذي وابن ماجه عن ابي موسى رضي الله عنه .

ثم قال رحمه الله :

وخالف النفس والزم باب رأفتـــه[1]

عساه يسديك[2] ما ترجو مـن النعـم

خالف نفسك أيها المريد ولمخالفة النفس فوائد سنذكرها فيما يأتي ان شاء الله تعالى وقد تكلمت عن النفس في المقدمة ما فيه المزيد والكفاية .

كأنه يقول خالف نفسك وأقبل على ربك والزم باب رحمته لعله يعطيك ما ترجوه من النعم والعطايا واما مخالفة النفس :

فالشيخ يرى هنا ان في مخالفة النفس عن هواها وما تهوى فيه الخير الكثير العميم ولكن الامام البوصيري رحمه الله قال :

وخالف النفس والشيطان واعصهمـا

وان هما محضـاك النصـح فاتهـم

فلعل جدنا رحمه الله قصد من ذلك الاكتفاء باحد طرفي الاضلال (وهما النفس والشيطان) ولكنه اكتفى بذكر احدهما لعلم المريد بنزعات[3] الشيطان ومكايده .

قال الامام القشيري في رسالته في باب مخالفة النفس قال الله تعالى (وأما من خاف مقام ربـه ونهى النفس عـن الهوى فان الجنـة هي المأوى[4] وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) الرأفة شدة الرحمة ورؤف به بالضم رأفة وترأف به عامله بالرأفة وتراءفوا وتراحموا .

(٢) يسديك يعطيك . أسدى الثوب بلا سداة وأسدى اليه معروفا أعطى وأولى .

(٣) نزع يقال نزع الشيطان بينهم افسد وأغرى وبابه قطع .

(٤) الآية (٤٠) من النازعات .

(أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الامل ، فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، واما طول الامل فينسى الآخرة) واعلم ان مخالفة النفس رأس العبادة وقد سئل المشايخ عن الاسلام فقالوا ذبح النفس بسيوف المخالفة ، واعلم ان نجمت[1] طوارق نفسه اقلب[2] شوارق أنسه ، وقال ذو النون المصري رضي الله عنه مفتاح العبادة الفكرة ، وعلامة الاصابة[3] مخالفة النفس والهوى ، ومخالفتهما ترك شهواتهما ، وقال ابن عطاء الله : (النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بملازمة الادب ، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة ، والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة ، فمن أطلق عنانها[4] فهو شريكها معها في فسادها وقال شيخ الطائفتين[5] الامام الجنيد رضي الله عنه يقول : (النفس الامارة بالسوء هي الداعية الى المهالك المعينة للاعداء المتبعة للهوى المتهمة بأصناف الاسواء) وقال ابو جعفر : (من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولـم يخالفها في جميـع الاحوال ولـم يجردها الى مكروهها في سائر أيامه ، كان مغرورا ، ومن نظر اليها باستحسان[6] شيء منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل ان يرضى عن نفسه ؟ والكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل يقول (وما أبرىء نفسي ان النفس لامارة[7] بالسوء) قال الامـام الجنيد رضي الله عنه نمت ذات ليلة فلم أطق النوم ولا الفراش ففتحت الباب وخرجت فاذا برجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما

(١) أي ظهرت .
(٢) أفلت غابت واختفت .
(٣) الصواب .
(٤) فمن اطلق لها الحبل على الغارب دون مسها بالسوء وزجرها فقد هلك .
(٥) الشريعة والحقيقة .
(٦) بأن رأى كل ما يصدر عنها حسنا .
(٧) الآية (٥٣) من سورة يوسف .

أحس بي رفع رأسه وقال يا أبا القاسم الي الساعة فقلت من غير موعد؟ فقال بلى وقد سألت محرك القلوب ان يحرك الي قلبك فقلت قد فعل ، فما حاجتك ؟ فقلت متى يصير داء النفس دواءها ؟ قلت اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها فأقبل الرجل على نفسه وقال : اسمعي أيتها النفس قد أجبت بهذا الجواب سبع مرات فأبيت الا أن تسمعي من الجنيد وقد سمعت وانصرف عني ولم أعرفه ولم أقف عليه بعد .

ثم قال رحمه الله :

وقل بذلك[1] يـا خير الخلائـق يـا
مـن خصه الله بالتعطيف[2] والكـرم

توسل الى الله برسوله عليه الصلاة والسلام وأنت خاضع متواضع بنفس ذليلة منكسرة الى الله تعالى لما في الحديث القدسي[3] (أنا مـع المنكسرة قلوبهم من أجلي) .

وقال العارف بالله ابو البركات سيدي أحمد الدردير رضي الله عنه :

وقـل بـذل رب لا تقطعنـي
عنـك بقاطـع ولا تحرمنـي
من سرك الأبهـى المزيـل للعمـى
واختـم بخير يا رحيـم الرحمـا

---

(١) بذلك أي قل بذلك وأنت ذو نفس منكسرة ذليلة .

(٢) عطف عطفا وعطوفا مال وانحنى وتعطف عليه وصله وبره وتعطف عليه أشفق عليه .

(٣) الفرق بين الحديث القدسي والقرآن والحديث النبوي أن القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ والمعنى للتعبد بتلاوته واعجاز الخلق عن الاتيان بمثل أقصر سورة منه . والحديث القدسي انزل عليه بغير واسطة الملك غالبا بل بالهام او منام اما باللفظ والمعنى واما بالمعنى فقط ويعبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاظ من عنده وينسبه اليه تعالى لا للتعبد بتلاوته ولا للاعجاز وأما الحديث النبوي أوحى اليه معناه فقط ويعبر عنه بالفاظ من عنده ولا ينسبه اليه تعالى واشرف الكل القرآن ثم القدسي ثم النبوي .

فشيخنا رحمه الله يقول لمريديه وطالبيه مجردا منهم شخصا يقول له ويحاوره : قل حالة كونك متذللا الى الله متوسلا برسوله ومصطفاه قائلا : يا خير الخلائق يا من خصك بالرحمة والعطف والكرم انظر الي نظرة يستنير بها لبي ويستضيء بها قلبي فأنت أنت باب الله ومن غير هذا الباب لا نصل الى الله تعطف يا رسول نحن من آرحامك صلنا ببرك أشفق علينا .

قال سيدنا المحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم المتفاني في حبه المرحوم الشيخ يوسف النبهاني في حبه في كتاب شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق صلى الله عليـه وسلم في الصفحة الرابعـة والخمسين (التنبيه الرابع) .

اعلم أن جميع المسلمين ما زالوا يعتقدون اعتقادا جازما فيه صلى الله عليه وسلم الموافق للواقع انه سيد عبيد الله على الاطلاق (كما ذكرت لك ايها المريد آنفا) ، وأقرب الوسائل اليه تعالى مدة حياته وبعـد مماته ، في مدة البرزخ ويوم القيامة ، الذي تظهر فيه سيادته صلى الله عليه وسلم على النبيين والخلق أجمعين حتى تكون صاحب الشفاعة العظمى والمنزلة الزلفى وحامل لواء الحمد تحته آدم فمن دونه ، وكل الانبياء يقر له بهذه السيادة حين يمنحها الله تعالى في ذلك اليوم عـلى الاولين والآخرين والخلق أجمعين وقد جاء ذلـك صريحا في حديـث البخاري ومسلم وهو قوله صلى الله عليه وسلم (أنا سيد الناس يوم القيامة) الى آخر حديث الشفاعة المذكور به التجاء الناس لسادات الانبياء واذا راجعت هذا الباب في كتاب شواهد الحق بالاستغاثة بسيد الخلق خرجت بنتيجة يقصدها ويقويها الايمان بالله والثقة بـه وعرفت آن التوسل به صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبغيره من الانبياء والاولياء مقبول عند الله ومحبوب ومطلوب ومرغوب فيه الى آخر ما قاله في الصفحة

السادسة والخمسين وهذه كلمته الاخيرة بنصها (وها نحن أولاء نرى بلاد مصر والشام واكثر البلاد الاسلامية قد انصرفت قلوب كثير من أهلها عن الاشتغال بالعلوم الدينية ، وأقبلوا على الاشتغال باللغات الافرنجية والعلوم الدنيوية وكثير ممن اشتغل بالعلوم الدينية منهم صاروا يدعون الاجتهاد المطلق بسبب مطالعتهم كتب ابن تيمية وجماعته كابن حزم وابن عبد الهادي وابن الجوزي وابن كثير وغيرهم وكتب حسين صديق خان البهربالي (الهندي) وأمثاله لجهلهم وقلة دينهم وعقلهم ، ولما سرى فيهم من سم البدعة بسبب ما يسمونه من بهارج الوهابية ، ومن أعجبه شأنهم ، من شذاذ المذاهب فضل بذلك كثير من الطلبة الاغمار[1] والاوغاد[2] وخالفوا طريق السداد ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

ثم قال الامام البوصيري في التوسل برسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

ان لم يكن في معادي آخذا بيدي
فضلا والا فقل يا زلة القدم
حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه
او يرجع الجار منه غير محترم
ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه
وجدته لخلاصي خير ملتزم

---

(١) الغمر بوزن الجمر الكثيرة وقد غمره الماء أي أعلاه وبابه نصر والغمرة بوزن الجمرة الشدة والجمع غمر على وزن عمر وكتوبه ونوب (وغمر) بسكون الميم وضمها أي لم يجرب الامور وبابه ظرف والانثى (غمرة) بوزغمرة وغمر غمارة بالفتح وأصله الصبي الذي لا عقل له .

(٢) الاوغاد جمع وغد والوغد الدنيء من الرجال والجمع أوغاد وهو الذي يخدم بطعام بطنه وقيل هو الخفيف العقل والضعيف وهو المناسب هنا .

وقال البوصيري رحمه الله في المناجاة وعرض الحاجات :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي
اذا الكريم تحلى باسم منتقم

فان من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

وقال العارف بالله سيدنا عبد الرحمن الشريف رحمه الله :

عجت[1] الحمى[2] أحتمي من سوء معصية
جنتها[3] نفسي جوف الأليل[4] الدهم[5]

يقول رحمه الله :

ملت وأتيت حماكم واحتميت بكم من المعاصي السيئة فهي من اضافة الصفة للموصوف تلكم المعاصي التي ارتكبتها نفسي في الليالي الخالية في الليالي السود • وهذا تواضع منه رضي الله عنه •

وهذا القول ينطبق عليه قول الامام البوصيري رضي الله عنه :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

(١) عاج بالمكان أقام به وبابه قال عجبت بمعنى ملت وأتيت ومنه المعاج المكان الذي يعاج اليه ويقام به وعاج على المكان عطف عليه •

(٢) الحمى هو المكان الذي يقرب منه ولا يجترأ عليه ومنه قول الشاعر :

ونرعى حمى الاقوام غير محرم ... علينا ولا يرعى حمانا الذي نحمي

وحماه بمعنى نصره •

(٣) جنى الثمرة من باب رمى واجتناها بمعنى التقطها والجني بفتح الجيم والنون ما يجتنى من الشجر •

(٤) الأليل مفرده ليل وهو جمع قلة •

(٥) الدهم جمع أدهم أسود والأليل الدهم هي الليالي السود •

ثم قال أستاذنا الشريف رحمه الله :

ويالها مـــن ذنوب سودت صحفـــي
وأوردتني[2] حياض[3] الفوت والنقم[4]

معنى هذا البيت :

فيارب أستغيث بك وأستجير من ذنوب سودت صحفي عند الكرام الكاتبين قال تعـالى : (كلا بل تكذبـون بالديـن (٩) وان عليكـم لحافظين (١٠) كراما كاتبين (١١) يعلمون ما تفعلون (١٢)[5] . وقال تعالى (اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (١٨)[6] .

ومعنى الآيات السابقة من سورة الانفطار .

حقا أيها المنكرون ليوم المعاد ، ليوم البعث انه موكل بكم ملائكة يحفظونكم ، وهم كرام كاتبون ، يعلمون ما تفعلون في فراغكم وشغلكم لملازمتهم لكم .

---

(١) يا وأيا من حروف النداء ينادي به القريب والبعيد يقول أيا محمد أقبل وأي مثال كي حرف ينادي به القريب دون البعيد تقول أي زيد اقبل وأي أيضا كلمة تفسيرية تقول أي كذا بمعنى يريد كذا كما فيقوله تعالى (وناديناه أي يا ابراهيم) كما أن اي بكسر الهمزة حرف تقدم القسم ومعناها بلى : أي وربي أي والله (ويا هنا في البيت الاستغاثة لها بفتح لام المستغاث به الداخلة على محذوف تقديره يا رب من يغفر لي هذه الذنوب التي سودت صحفي او يا قوم وهكذا .

(٢) أوردتني بمعنى أوصلتني ورد يرد بالكسر ورودا وأورده غيره هذه الذنوب أوصلتني .

(٣) حياض الفوت أراد بذلك أماكن الضعف وفوات ابواب البر والخير كمـــا ان الحيوان يرد الحياض ليشرب منها فيمنع .

(٤) جمع نقمة وهي البلايا والرزايا عافانا الله منها .

(٥) الآيات من سورة الانفطار .

(٦) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة ق .

وقوله تعالى في تفسير الآيتين الآنف ذكرهما من سورة (ق) ·

المتلقيان : الملكان الحفيظان (عن اليمين وعن الشمال قعيد كجليس ومجالس ويطلق القعيد على الواحد والمتعدد لانه على وزن فعيل وما كان على وزنه فهو للواحد والمتعدد وللذكر والانثى كقولهم رجل جريح وامرأة جريح وكذلك فعول كقولهم رجل صبور وامرأة صبور والقيد الحاضر على كتفي الانسان وقد اكتفينا بتفسير الالفاظ عن المعاني لانها واضحة المعنى ·

وتكملة البيت هـذه الذنوب التي أوصلتني الى مواطن الهلكـة والانتقام الدنيوي والأخروي ·

ثم قال رحمه الله في تحفته :

إن لـم تكن لي فمن للعبـد[1] ينقــذه

مــن حر نار تذيب الجســم بالضرم[2]

فالمعنى يحمل على وجهين :

الاول : ان لم تكن لي يا رب منقذا وناصرا ومؤيدا فمن هو الذي ينقذني من حر نار جهنم ·

الثاني : نبقى على التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم ونقول ان لم تكن لي يا رسول الله شافعا ومسعفا في ذلك الموقف الرهيب الفظيع فمن يشفع لي ومن ذا الذي ينقذني من حر نار جهنم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها

---

(١) العبد في اصطلاحهم هو عبد لله وخاضع ومتذلل اليه والعبد في اللغة ضد الحر وجمعـــه عبيد وأعبد تقول عبد بين العبودة والعبودية ·

(٢) الضرام والضرم اشتعال النار في الحلفاء ونحوها وهو ايضا دقاق الحطب الذي يسرع اشتعال النار وأضرمتها اضراما وضرم الرجل ضرما فهي من باب تعب ·

وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد)[1] (٣٠) يعني يوم تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم زمانا بعيدا التجأ فيه[2] وتتباعد عنه والله يخوفكم نفسه فانه يجب أن يخشى بأسه وسطوته وعذابه ولو كان رؤوفا بعباده فان من الرأفة أن يعاقبهم على المعصية تطهيرا لكم من دنسها) •

ومجمل معنى البيت : على الوجهين السابقين : ان لم تكن يا رب منقذا لي من حر نار جهنم فليس لي أحد سواك ؟ وعلى الوجه الثاني ان لم تكن لي يا رسول الله شافعا ومشفعا فمن ذا الذي يكون لي شافعا عند الله ؟ من ذا الذي ينقذني من حر اشتعال النار متى أضرمت حتى تذوب الاجسام من شدة حره وأل في الجسم للجنس الصادق بالواحد والمتعدد أي أنها متى أضرمت اذابت اجسام الكافريـن والمشركـين والمنافقين والعصاة من المؤمنين •

ثم قال رحمه الله وأرضاه :

ضيعت أيامي في التسويف[3] فانصرمت[4]
منـى المحاسن حتـى صرت في هـــرم[5]

ومعنى ذلك :

ان المؤلف رحمه الله يقول ضيعت أيام العمر بالمطل والوعود الخلابة الكاذبة أو ضيعت أيام الشباب في اللهو واللعب ولم أتنبه لما يأتي علي في الحياة من كبر السن والهرم الذي فيه التقاعس عن العمل •

---

(١) الآية (٣٠) من سورة آل عمران •

(٢) أي تتباعد عنه •

(٣) سوف كلمة وعد ومنه سوفت به تسويفا اذا مطلته بوعد الوفاء واصله ان يقول له مرة بعد أخرى سوف أفعل ولا يفصل بينها وبين الفعل لانها بمنزلة السين في سيفعل كما في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام لاولاده (سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم) يوسف (٩٨) والتسويف المطل •

(٤) صرم الشيء قطعه وصرم الرجل قطع كلامه والانصرام الانقطاع •

(٥) هرم الهرم بفتح الهاء والراء كبر السن •

فأيام الصبا والشباب هي أيام العمل وأيام الهرم لا قوة فيها على الطاعة الا بتوفيق من الله وفضل .

وقال أحد الادباء نادبا ايام الشباب :

عريت من الشباب وكنت غصنا
كما يعرى من الورق القضيب
ألا ليت الشباب يعود يوما
فأخبره بما فعل المشيب

ويقول عليه الصلاة والسلام[1] : (اغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك[2] ، وفراغك قبل شغلك[3] ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك [4] .

يبين صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ان الانسان ينبغي له أي يستحسن ان يغتنم حياته ولا يضيع عمره فيما لا يغني لانه في حال حياته يقدر على العمل فاذا مات انقطع عمله الا من ثلاث (صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، وكيف يضيع الانسان العمر فيما لا يغني ولا يفيد ، وكل نفس من الانفاس جوهرة نفيسة لا تعادلها قيمة ولا ثمن اذ يمكن صاحبها ان يشتري بها كنزا من كنوز الجنة التي لا يتناهى نعيمها أبد الآباد فاضاعة تلك الانفاس واشتراء صاحبها ما يكون سببا لهلاكه باتباع هواه غاية الخسران

---

(١) الرجل يعظه والخطاب عام لمن يتأتى منه العلم .

(٢) السقام المرض عافانا الله منه وكذا السقم بضم السين وفتحها مثل الحزن والحزن وقد سقم من باب طرب فهو (سقيم) .

(٣) شغل بسكون الغين وضمها (وشغل) بفتح الشين وسكون الغين وبفتحتين (شغل) أربع لغات والجمع (أشغال) ولا تقل اشغله عني لانها لغة رديئة بل قل شغله عني .

(٤) رواه الحاكم في مستدركه والبيهقي في شعب الايمان وغيرهما .

ونهاية الخذلان بكسر الخاء فان من اتبع هواه يفعل ما يضره ويهلكه حالا ومآلا وهو لا يشعر ولا يدري ·

وليس لي عمــل أرجو بــه منحا[1]

سوى محبتكـم ممزوجة[2] بدمــي

يقول رحمه الله يا سيدي يا رسول الله أو يا آل بيت رسول الله أو يا سادتي والاولى أن يراد من هذا البيت ما أريد من البيت (٣٧) السابق:

ان لــم تكن فمن للعبــد ينقـــذه

من حر نار تذيب الجسم في الضرم

يعني يكون الخطاب موجها لله ولرسوله (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[3] فكأنه قال ليس لي عمل نافع أتقرب به الى الله زلفى وقد مضت أيامي وانقطعت أيام شبابي وجاء وقت الهرم والشيخوخة سوى رصيد كبير وهو محبة الله ورسوله آمل به من الله عطاء كبيرا لان هذه المحبة خالصة لله تعالى قد امتزجت بدمي ولحمي وقال سيدنا العــارف بالله نفسه في النصائح الرحمانية (يا ابن الروح والفؤاد بلغت الرشاد ·

ثم قال : المحبــة عروس مهرهــا الارواح والنفوس اذا لزمتها يا محروس انقادت لك القلوب وطأطأت لك الرؤوس) ويقول عليه الصلاة والسلام (المرء يحشر مع من أحب) أو يحشر المرء مع من أحب) وفي رواية (من أحب قوما حشر معهم) وفي رواية (حشره الله في زمرتهم)

---

(١) المنح جمع منحة وهي العطايا الربانية أو العطايا مطلقا والمنح العطاء وبابه قطع وضرب والاسم المنحة ومنحه منحا من بابي نفع وضرب أعطيته والاسم المنحية ·

(٢) مزج بمعنى خلط مزج الشراب ونحوه مزجا خلطه بغيره ومازجه خالطه وتمازج الشراب والماء اختلطا ويقال تمازج الزوجان اتفقا ومن النوع الاول وهو الاختلاط (كان مزاجها كافورا) الآية (٥) مــن سورة الانس ·

(٣) الآية (٨٠) من سورة النساء ·

فان أحب الصالحين حشر معهم وان أحب الطالحين والضالين والمنافقين حشر معهم ٠ اللهم انا نسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يقربنا الى حبك اللهم اجعل حبك أحب الينا من أنفسنا وأهلينا ومن الماء البارد)[١] اللهم ارزقنا محبة حبيبك ومحبتك وأنت خير الرازقين واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) وهذا اقتباس من قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)[٢] ٠

ثم قال رحمه الله صراحة متوسلا برسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا سيدي[٣] يا رسول الله خذ بيدي
يا ملجئي[٤] واحبني[٥] من فيضك[٦] العمم[٧]

شروع من الشيخ بالتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا سيدي ومولاي يا رسول الله خذ بيدي يعني أنت وسيلتي الى الله تعالى وأملي أن يوفقني الله في كل عمل خيري شرعت فيه واجعل يدي مبسوطة الى عمل البر والخير يا سيدي ويا حصني ويا معصمي أعطني من فضلك وكرمك الواسع أنظر الي بنظرة تكون سببا في رضاء الله وسببا في السعادة الابدية نعم ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من

---

(١) هذا دعاء سيدنا داود عليه السلام ٠
(٢) الآية (٦٩) من سورة النساء ٠
(٣) لقد ورد في حديث الشفاعة (أنا سيد الناس يوم القيامة) (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) ٠
(٤) لجأ الى الحصن وغيره مهموز من بابي نفع وتعب والتجأ اليه اعتصم به ٠
(٥) حباه يحبوه أعطاه ومنحه وحبوت الرجل حباء بالمد والكسر أعطيته الشيء يعني عوض والاسم منه الحبوة بالضم ٠
(٦) فيض : الفيض هو العطاء الالهي فالاصل فياض وعاب جواد وفاض الخير واستفاض شاع ٠
(٧) العمم الكثير البالغ في الكثير يعني العميم وعم الشيء يعم بالضمة عماما شمل ٠

نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر)[1] ٠

وورد أن سعد بن معاذ قدم الى المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا بيننا فقال : قوموا لسيدكم فقمنا اليه وقبلنا يده فلم ينكر علينا) وفي حديث الى أسامة بن شريح عن أبي داود بسند قوي قال : (فقمنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبلنا يده) وقال سيدنا الشيخ يوسف النبهاني رضي الله عنه في كتابه سعادة الدارين الصفحة العاشرة (المسألة الثانية في زيادة لفظ سيدنا في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم) ما نصه :

(قال في القول البديع[2] ذكر المجد اللغوي ما حاصله : ان كثيرا من الناس يقولون اللهم صل على سيدنا محمد وان في ذلك بحثا اما في الصلاة فالظاهر أنه لا يقال اتباعا للفظ المأثور ووقوفا عند الخبر الصحيح وأما في غير الصلاة فقد أنكر صلى الله عليه وسلم على من خاطبه بذلك كما في الحديث المشهور وانكاره صلى الله عليه وسلم يحتمل[3] ان يكون تواضعا منه صلى الله عليه وسلم او كراهية منه ان يحمد ويمدح مشافهة او لغير ذلك والا فقد صح قوله صلى الله عليه وسلم (أنا سيد[4] ولد آدم وقوله للحسن ان ابني هذا سيد وقوله لسعد قوموا الى سيدكم) وورد قول سهل بن حنيف للنبي صلى الله عليه وسلم يا سيدي في حديث عند النسائي في عمل اليوم والليلة ، وقول ابن مسعود : اللهم صل على سيد المرسلين ، وفي كل هذا دلالة واضحة وبراهين لائحة على جواز ذلك ٠

---

(١) رواه احمد في مسنده والترمذي وابن ماجه عن ابي سعيد ٠

(٢) لمؤلفه ٠٠٠ الحافظ السخاوي ٠

(٣) الدليل اذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال ٠

(٤) الحديث المار بنا ذكره ٠

والمانع يحتاج الى اقامة دليل سوى ما تقدم لانه لا ينهض دليلا مع حكاية الاحتمالات المتقدمة ٠

وقد قال الاسنوى رحمه الله (شارح كتاب الاسنوي في علم الاصول) في المهمات في خفطى قديما ان الشيخ عز الدين بن عبد السلام (سلطان العلماء) بناه أعني الاتيان بسيدنا قبل محمد في التشهد على أن الأفضل هل هو سلوك الادب أو امتثال الامر ، معنى الاول مستحب دون الثاني لقوله صلى الله عليه وسلم : قولوا اللهم صل على محمد ٠ ثم قال الحافظ السخاوي (في القول البديع) :

وقول المصلين : اللهم صل على سيدنا محمد فيه الاتيان بما أمرنا به وزيادة الاخبار بالواقع الذي هو أدب فهو أفضل من تركه فيما يظهر من الحديث السابق يعني ما ورد عن ابن مسعود مرفوعا[١] وموقوفا[٢] وهو أصح أحسنوا الصلاة على نبيكم أ هـ ٠

واتفق الامامان الشمس الرملي والشهاب ابن حجر على استحباب زيادة السيادة في الصلاة على النبي صلوات الله وسلامه عليه في التشهد وغيره ٠

وقال الشيخ محمد الفاسي[٣] في شرح دلائل الخيرات الصحيح جواز الاتيان بلفظ السيد والمولى ونحوهما مما يقتضي التشريف والتوقير والتعظيم في الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وايثار ذلك على تركه ويقال في الصلاة وغيرها الا حيث تعبد بلفظ ما روى فيقتصر على ما يعتد به أو في الرواية فيؤتى بها على وجهها ٠

---

(١) الى النبي صلى الله عليه وسلم ٠

(٢) الموقوف على الصحابي يحتج به ٠

(٣) وهو حجة في مذهب الامام الشافعي ٠

البرزني ولا خلاف ان كل ما يقتضي التشريف والتوقير والتعظيم في حقه عليه الصلاة والسلام أنه يقال بألفاظ مختلفة حتى بلغها ابن العربي مائة فأكثر ٠

وقال صاحب مفتاح الفلاح : واياك أن تترك لفظ السيادة ففيه سر يظهر لمن لازم هذه العبارة أو العبادة أ هـ ٠

وسئل السيوطي عن حديث (لا تسيدوني[1]) ٠ وفي رواية (لا تسودوني[2]) في الصلاة فأجاب بانه لم يرد ذلك وانما قال وانما لم يتلفظ صلى الله عليه وسلم بلفظ السيادة حين تعليمهم كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لكراهية الفخر ولهذا قال : (أنا سيد ولد[3] آدم ولا فخر) ٠

وأما نحن فيجب علينا تعظيمه وتوقيره ، ولهذا نهانا الله تعالى أن نناديه صلى الله عليه وسلم باسمه فقال : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا)[4] ٠

قال الشيخ الحطاب الذي يظهر لي وأفعله في الصلاة وغيرهما الاتيان بلفظ السيد قال والذي جرى عليه عمل الأمة زيادة السيادة في غير الوارد وتركها فيما ورد اتباعا للفظه وفرارا من الزيادة فيه لكونه خرج مخرج التعليم ووقوفا عندما حد لهم وكذا قال سيدي أحمد زروق ثم قال الحطاب وعلى هذا درج صاحب دلائل الخيرات رضي الله تعالى عنه

---

(١) اي لا تدعوني بالسيادة ٠

(٢) من سوده اذا جعله سيد قومه ٠

(٣) يطلق الولد على المفرد والمثنى والجمع اولاد آدم وفي الصحيح (في زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم (أنا سيد الناس يوم القيامة) ٠

(٤) الآية (٦٣) من سورة النور ٠

فانه أثبت اللفظ الوارد لكن هذا يجب الوضع في الخط أما من حيث الاداء فالاولى الا نقرى عنهـا في الوارد وغيره أ ه ملخصا مـن كنوز الاسرار للهاروشي وكتاب الرماح لعمر القوتي ٠

قال صاحب كنوز الاسرار بعد ذكره ما تقدم عن الحطاب وسئل شيخنا العباسي حفظه الله تعالى عن زيادة السيادة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : فقال السيادة عبادة قال قلت وهو بين لان المصلي انما يقصد بصلاته تعظيمه صلى الله عليه وسلم فلا معنى حينئذ لترك التسييد اذ هو عين التعظيم أ ه) ٠

قال ابن حجر[1] في زيادة سيدنا قبل محمد خلاف فأما في الصلاة فقال المجد اللغوي الظاهر أنه لا يقال اقتصارا على الوارد ٠ وقضية الادب والامتثال لما جاء أبو بكر يؤم الناس فتأخر أمره أن يثبت مكانه فلم يمتثل ، ثم سأله بعد الفراغ عن ذلك فأبدى له أنه انما فعله تأدبا لقوله ما كان ينبغي لابن أبي قحافـة أن يتقدم بـين يدي رسول الله فأمره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وهذا فيه دليل أي دليل على أن سلوك الادب أولى من امتثال الامر الذي علم عدم الجزم بقضيته ٠

ثم قال الشيخ يوسف النبهاني رأيت عن ابن تيمية أنه أفتى بترك السيادة وأطال فيه وان بعض الشافعية والحنفية ردوا عليه وأطالوا في التشنيع عليه وهو حقيق[2] ، وعن المحقق الجلال المحلى أنه قال : الادب مع من ذكره صلى الله عليه وسلم مطلوب شرعا بذكر السيد ففي حديث الصحيحين قوموا الى سيدكم أي سعد بن معاذ وسيادته بالعلم والدين ٠

---

(١) في الدر المنضود ٠

(٢) أي جدير ومستحق ولهم الحق ان يردوا عليه قوله ٠

وقول المصلي : اللهم صل على سيدنا محمد فيه الاتيان بما أمرنا وزيادة الاخبار بالواقع الذي هو أدب فهو أفضل من تركه فيما يظهر من الحديث السابق أ هـ كلام ابن حجر قلت ومما يستدل به لذلك ما حكاه في آخر الكتاب المذكور في معرض تحريم ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه وكنيته[1] ٠

عن قتادة رضي الله عنه أنه قال : أمر الله تعالى أن يهاب نبيه وان يبجل ويعظم ويسود الحق ان تسييده حسن في كل حال صلى الله عليه وعلى الصحب والآل أ هـ ما جاء في كتاب سعادة الدارين لسيدنا النبهاني من ص ١٠ ـ ص ١٢ ٠

إننا يا إخوتنا في الله لا نستغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة في الحياة وبعد الموت في المحشر والمنشر في الشدة والرخاء ٠ ان جماعة من الناس اليوم ممن يدعون الاجتهاد والعمل بالشريعة ينكرون حديث الشفاعة فاليكم ما جاء في شفاعته صلى الله عليه وسلم للمذنبين يوم الفزع الاكبر يوم القيامة ويـوم الحسرة والندامة ٠

جاء في كتاب الشفاء للقاضي عياض رحمه الله الجزء الاول : في الصفحة الثامنة عشرة والاربعمائة الفصل العاشر في : تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال تعالى : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)[2] عـن آدم[3] بـن علـي قـال : سمعـت ابـن عمر يقـول[4] : (إن

---

(١) اي يكره أن يقال يا محمد يا ابا القاسم ٠ والكنية هي ما صدرت بأب أو أم أو ابن أو بنت الخ ٠ كما جاء في اللغة العربية عند ذكر الاعلام ٠

(٢) الآية (٧٩) من سورة الاسراء ٠

(٣) آدم بن على العجلي روي عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ٠

(٤) رواه البخاري موقوفا على ابن عمر ومثله لا مجال للراي فيه له حكم المرفوع واحتمال انه سمعه من أهل الكتاب بعيد لا يعول عليه وكونه سمعه من صحابي آخر لا يضر لان مرسل الصحابي مقبول ! وهذا مما قاله أهل الاصول وقبله الائمة في مصطلح الحديث وفيه بحث الخ ٠٠

الناس يصيرون يوم القيامة جثى[1] كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا . يا فلان اشفع لنا ... حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم . فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » فقال : « هي الشفاعة » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما وذكر حديث الشفاعة قال : «فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده » .

ومن شاء المزيد فليرجع الى زاد المسلم والى كتب الاحاديث الصحيحة الخالية عن الغرض والمرض عافانا الله واياكم من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا .

ويطيب لي أن أذكر لكم هذا الحديث في الشفاعة من كتاب الشفاء نفسه ومن الصفحة (٤٢١) .

عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : (قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال : شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا ، يصدق لسانُه قلبُه)[2] .

وهنا نعود الى لفظ (سيدي رسول الله) .

---

(١) بضم الجيم مقصور منون وجوز كسر الجيم ايضا ج جثوة (أي جمع جثوة) مثلث الاول واصله الكوم المجتمع من تراب وتخوق فاستعير منه يجتمعوا جماعات .

(٢) رواه البيهقي وكذا في نسخه ابي عبد الله الحاكم وصححه ومعنى مخلصا يعني انه لا يكتفي التلفظ بالشهادتين فقط دون مساعدة القلب له فيشترط في قبول الشهادتين من العبد ان يقولهما خالصا مخلصا من قلبه يريد بهما وجه الله والدار الآخرة .

قال الامام البوصيري[٢] :

يا خير من يمم العافون ساحتـــه
سحيا وفوق متون الأينق الرســم

ان آت ذنبا فمـا عهـدي بمنتقض
مـن النبي ولا حبلي بمنصــرم

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمــه
أو يرجع الجار منه غير محتــرم

ومنذ ألزمت أفكاري مدائحـــه
وجدتـه لخلاصي خير ملتـــزم

يا أكرم الخلق مالي مـن ألوذ بـه
سواك عنـد حلول الحادث العمم

فان من جودك الدنيـا وضرتهـــا
ومن علومك علم اللوح والقلــم

يا رب واجعل رجائي غـير منعكس
لديك واجعـل حسابي غـير منخرم

سيدي يا رسول الله :

إليـك وإلا لا تشد الركائـــب وعنـــك وإلا فالمحدث كـاذب
وحبك يا خير النبيين مذهبـــي وللناس فيمـا يعشقون مذاهـب

سيدي رسول الله : لقد تعددت محامدك ، وكثرت سجاياك وتناهت فيك آيات الكمال والجلال . فأنت معجزة الانسان للبشر ، وانت آية السماء في الارض وأنت سفينة الدنيا الى الآخرة ، فأنى للبيان أن

---

(١) زرته في الاسكندرية مرات والحمد لله وعليه سمات الجلال والهيبة .
(٢) أي عند نزول الحادثات الرهيبة العامة .

يحيط بوصفك ؟ وأنى للخطباء والشعراء أن يأتوا على إطرائك ومدحك ؟ معانيك يا رسول الله أكبر من ان يتناولها الكلام ، ونعتك أوسع من أن يصفه البيان ، ونموتك وصفاتك أجل من أن يتكلم فيها الفصحاء والبلغاء ·

سيدي رسول الله : ان الواقف أمام سيرتك العطرة كالواقف أمام روضة فيحاء ، أو حديقة غناء ، يقلب الطرف فيها من جميل الى أجمل، ويجيل الفكر فيها من بديع الى أبدع حتى أذهل لبه ابداعها فلا يدري أي أزهارها يقتطف ، ولا أي ورودها يجتني اللهم ان خير أوصافك هو عجزنا عن الاتيان على جميع أوصافك ، وخير مدائحنا ما قاله مولاك في مدحك « وانك لعلى خلق عظيم » فأنت سر من أسرار الله تعالى ، أودع فيك أسرار كونه ، وبعثك رسولا الى خلقه ، وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) ·

سيدي رسول الله :

لقد كان من فضل الله عليك أن أكرمك في كل طور من أطوار حياتك المادية والروحية ، وفي كل طور من أطوار حياتك الأزلية والأبدية ·

ففي الطور الاول عندما تكشف ستار القدرة عن عالم الذر ، جمع الله لك أرواح الانبياء والمرسلين وأخذ عليهم جميعا العهد الوثيق ، وكان معهم من الشاهدين ولقد سجل لك هذا الفخر الخالد القرآن الكريم ، « واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم(١)

---

(١) أأقررتم أي أوافقتم ·

وأخذتم على ذلكم إصري[١] ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين »[٢] .

ثم بدأ الوجود من أجلك ، وتطورت الدنيا الى عهدك وبعث الله بين يديك الأنبياء والمرسلين ليصلحوا الحياة من فسادها وأوضارها[٣] ، ويطهروا الارض من أرجاسها[٤] ، ويهذبوا الانسانية من وحشيتها ، وليسموا بالعقل البشري الى درجة الكمال المنشود : (رسلا مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما)[٥] .

وعلى حين فترة من الرسل تغير وجه الحياة ، وتبدلت نظم الكون ، وانعكست أوضاع الطبقة الانسانية ، وفي العالم الارضى أن له سببا الى السماء ، فنفرق الانسان في بحر من المادية المظلمة ، وتخلق بأخلاق الحيوانات الجامحة[٦] ولم يكن للمثل الاعلى وجود في ذهنه ولا للغرض النبيل أثر في سعيه ، بل لم يكن للأسرة نظام ، ولا للقبيلة قانون ، ولا للأمة دستور تسير عليه ، ولا للعقيدة شريعة تستنير بها ، انما الطغيان العاسف[٧] يتحكم في الفرد ، ويسيطر على الجماعة وكان العالم يومئذ في قلق شامل ، واضطراب شديد فكان يتخبط في ضلالة عمياء ، وفي جهالة جهلاء حتى أكل القوي الضعيف ، وقهر الغني الفقير ، واندلعت

---

(١) اصري الاصر والأصر بالكسر والفتح العهد والذنب والثقل وهي هنا بمعنى العهد .

(٢) الآية (٨١) من سورة آل عمران .

(٣) وضر بكسر الضاد وضرا فهو وضر مثل وسخ وسخا فهو وسخ وزنا ومعنى .

(٤) الرجس بكسر الراء النجس وجمعه أرجاس او القذر .

(٥) الآية (١٦٥) من سورة النساء .

(٦) جمح الفرس اعتز فارسه وغلبه فهو فرس جموح والمراد ان العالم كان مستهلا يركب راسه متنصبا على بعضه .

(٧) العاسف الآخذ على غير الطريق وبابه ضرب والعسوف الظلوم والطغيان مرادان هنا

نيران الفتنة بين القبائل والأمم ، حتى رويت الارض بالدماء واستغاثت الارض بالسماء وبالجملة فان العالم اذ ذاك كان كالسفينة فقدت ربانها[1] في بحر لجي يتلاطم بالأمواج يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ·

فما أحوج السفينة الى ربانها ، وما أحوج الناس في الليل البهيم والظلام الدامس الى شمس ضاحية[2] تسطع في جنباته الحالكة[3] فتفيض عليه النور والدفء وتبعث فيه النشاط والحركة ، وتبعث فيه النظام والوئام[4] وترشده الى الطريق الأقوم والصراط المستقيم ·

وأي شمس ضاحية بعد رسول الله الامام ، وأي بدر أسطع من نور خير الأنام ؟ ولأمر ما شاءت العناية الالهية ان تنهض بالانسان من وهدته[5] وتقيله من عثرته ، وتخلصه من براثن الشيطان والاستعمار[6] فاصطفت له المختار صلى الله عليه وسلم هاديا ، وبعثت له الأمين مرشدا وداعيا ، فكان رحمة للعالمين ورسولا الى الناس أجمعين (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون)[7] وقال[8] وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ، فبشرت قبل مولده البشائر ، وأيدت صدقه المعجزات والبراهين والدلائل ، فجمع العرب من شتات ، وأيقظ العالم من سباته[9] وطهر الأرض من الأصنام

---

(١) قائدها ·

(٢) مشرقة مضيئة صحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعد الضحى وهي عين تشرق الشمس مقصورة تذكر وتؤنث ·

(٣) المظلمة الحادة ·

(٤) المواءمة الموافقة تقول : واءمه مواءمة وئاما وفي المثل لولا الوئام لهلك الأنام ·

(٥) الوهدة كالوردة المكان المطمئن والجمع (وهد) كوعد والاولى من سكرته وغفلته ·

(٦) المستعمر هو الذي يحكم الآخرين قسرا وعنوة بغير حق وعطفه على الشيطان عطف تفسير كقولك بر وقمح ·

(٧) الآية (٢٨) من سورة سبأ ·

(٨)السبات هو النوم العميق او الغفلة ·

(٩)الآية ١٠٧ الانبياء ·

والأضغان والأحقاد ، ونظف القلوب من الأحقاد ، وجعل الدين صلة ورحما بين أهله ولحمة هي أقوى من[1] لحمة النسب ، فأصبح التنافس في الخير ، والتعاون على البر ، والتفاضل بالتقوى[2] ولا عجب في ذلك ، فقد جمع الرسول بينهم بالمؤاخاة وعدل بين حقوقهم بالمساواة وربط بين نفوسهم بالتواد والتحابب[3] ، حتى أصبح أعداء الامس أحباء اليوم والمنقسمون على أنفسهم بالامس يدا واحدة على جميع من سواهم كما قال صلى الله عليه وسلم : (يد الله مع الجماعة) وفي رواية (يد الله على الجماعة) ٠

سيدي رسول الله :

لقد ألفت باخلاقك العرب ، وطهرت بسيفك اليهود في خيبر وبني النضر وفي كل مكان ، فتحت بجيشك الدنيا ، ونظمت بدينك الناس ، ولم يكن وراءك جيش يؤيدك ، ولا سلطان يساعدك ، ولا أسطول يشجعك ، ولا قوة تحميك ولا صاروخ ولا مدفع ولا أقمار صناعية ولا سفن فضائية ولا دبابات ولا مصفحات لا شيء يحميك من كل هؤلاء الأعداء ٠٠ الا عين المولى الحميد وذو العرش المجيد الفعال لما يريد ، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ٠

مع هذا كله فما كنت تتقاعس ولا تتراجع عن الجهاد في كل جبهة وفي كل مكان تعد للحرب عدتها ما استطعت من قوة ومن رباط الخيل ترهب به عدو الله وعدوك وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠

---

(١) اللحمة بضم اللام القرابة مأخوذ من لاحم الشيء بالشيء الصقه ٠

(٢) عكس هذه الايام لا وزن للعلم والقيم الاخلاقية وانما المعيار الشخصي لارباب رؤوس الاموال والفسوق والعصيان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ٠

(٣) تفاعل مع الجانبين اي يود الناس بعضهم بعضا ويحبون بعضهم بعضا عكس هذا الزمن العصيب أعاننا الله على اجتياز أيامه بالسلامة والعافية ٠

ثم قال رحمه الله :

ومـــن عوائـــد آبائي[1] بآلـــك لا

تحرمني عند احتياجي انت معتصمي

بدأ رحمه الله يقول متوسلا بالرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يا سيدي يا رسول الله من عادات آبائي الكرام وانت يا رسول الله اولى بنا من غيرك قال صلى الله عليه وسلم : (أنا اولى بالمؤمنين من انفسهم) وقد ثبت من طرق عديده وصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين قد أخذ كل واحد منهم بيد حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه[2] ، وأجلس حسنا وحسينا كل واحد على فخذه ثم لف عليهم كساء ثم تلا هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[3] هذه الآية مرتبطة بما قبلها وهي قوله تعالى : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا (٣٢) وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . يعني ومن يواظب منكن على الطاعة والعبادة لله ورسوله وتعمل عملا صالحا نمنحها اجرها مرتين ، وقد هيأنا لها رزقا كريما في الآخرة ، يا نساء النبي لستن كأحد[4] ان اتقيتن الله فلا تلن في كلامكن عند محادثة الرجال الاجانب ، ولا تجعلن كلامكـن خاضعا لينا فيطمع الذي في قلبه

(١) المراد من ذلك اجداد المؤلف من السيدة فاطمة الزهراء الى النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) أي قربهما منه .

(٣) الآية (٣٣) من سورة الاحزاب .

(٤) اي كواحدة من باقي النساء وليست مثلكن في الفضل والمكانة .

مرض الكفر والنفاق أو فيطمع الذي في قلبه شهوة وميل للنساء في الخوض معكن[1] ، وقلن قولا حسنا مقبولا بعيدا عن الشك والريبة ، واسكثن في بيوتكن ولا تظهرن زينتكن ، كما تفعل نساء الجاهلية الاولى، وعدلن أركان الصلاة وأدينها ، وأعطين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله ، انما يقصد الله هذا التشديد لصالحكن ولأن يذهب عنكم الدنس يا أهل بيت النبوة ، ويطهركم تطهيرا) ٠

فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه ورضوان قال ابن عطية والرجس اسم يقع على الاثم والعذاب وعلى النجاسات والنقائص فاذهب الله جميع ذلك عن اهل البيت واختلف المفسرون في أهل البيت في هذه الآية ، فذهبت طائفة منهم ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين ، منهم مجاهد ، وقتادة ، وغيرهم كما نقله الامام البغوي وابن الخازن ، وكثير من المفسرين الى أنهم هنا أهل العباء[2] ، وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين وفي رواية : اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، قالت أم سلمة[3] فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي ، فقلت وأنا معكم يا رسول الله ؟ فقال انك من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على خير وروي احمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين[4] وفاطمة ٠

---

(١) فيكن ٠

(٢) والعباء هو الكساء الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ٠

(٣) زوج النبي صلى الله عليه وسلم ٠

(٤) وجدنا المؤلف رحمه الله حسيني أي من نسل السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنهم أجمعين هكذا يحقق في توسلاته في البيت :

ومن عوائد آبائي بآلك لا   تحرمني عند احتياجي أنت معتصمي

وروي من طريق عديدة حسنة وصحيحة عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد نزول هذه الآية يمر ببيت فاطمة ، واذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة أهل البيت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم جاء أربعين صباحا يعني بعد نزول هذه الآية الى باب فاطمة يقول : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته رحمكم الله (انما يريد الله) ويتلو الآية كلها .

وعن ابن عباس سبعة أشهر وفي رواية ثمانية أشهر ، وهذا نص منه صلى الله عليه وسلم على أن المراد من أهل البيت في هذه الآية هم الخمسة ولو كان المراد الزوجات الطاهرات لما قال ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا بضمير جمع الذكور[1] بل كان اللازم ان تعين ليذهب عنكن ويطهركن فأجالوا بان التذكير هنا باعتبار لفظ الاهل فان لفظة مذكر ولهذا قال عنكم ويطهركم وعلى ان المراد من أهل البيت في الآية ما يشمل الفريقين معا عملا بجميع الادلة قال المقريزي[2] . ومن حجة الجمهور قوله عنكم ويطهركم بالميم قال ابن عطية والذي يظهر لي ان زوجاته صلى الله عليه وسلم لا يخرجن عن ذلك البتة[3] . واختلفت الأقوال في أهل البيت والاولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لانه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي صلى الله عليه وسلم وملازمته له .

---

(١) على أن الرسول صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين فيهم وفيهم فاطمة الزهراء فقد يقصد من ذلك التغليب .

(٢) صاحب الخطط .

(٣) بت يبت قطعيا ومنه بت الرجل طلاق امرأته فهي مبتوتة وبتها بتة اذا قطعها عن الرجعة ويستعمل الثلاثي والرباعي لازمين ومتعدين فيقال بت وأبت ويقال لا أفعله البتة لكل أمر لا رجعة فيه ونصبه على المصدر والمراد هنا جزما وقطعا أي أقول قولا جزما وقطعا .

وعلى كل حال فالشيخ من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذريته وهو حسيني النسب وهو كريم الحسب والنسب علما بان النسب وحده بدون عمل صالح لا يعتمد به ولكنه فرع والاصل تتبعه الفروع والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (آل محمد كل تقي) وما أجمل الحظ وما أسعد الحياة لو كنا حقيقيين بالنسب والعمل .

وأخرج الامام مسلم في صحيحه عن يزيد بن حيان قال (انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جلسنا اليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه ، لقد أوتيت خيرا كثيرا ، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال زيد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال :

أما بعد ألا أيها الناس فانما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فاجيبه وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، فقال له حصين ، ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ، قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة[1] بعده قال ومن هم ؟ قال آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس قال كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال نعم وقال صلى الله عليه وسلم بعد آية (ويطهركم تطهيرا) فذريتهم منهم فيهم صفوة وليسوا بأهل عصمة انما العصمة للنبيين عليهم السلام والمحنة لمن دونهم ، وانما يمتحن من

---

(١) لانها اوساخ الناس .

كانت الامور محجوبة عنه . وقوله صلى الله عليه وسلم (ما ان أخذتم به لن تضلوا واقع على الائمة[1] منهم السادة لا على غيرهم وليس المخلط قدوة وكائن فهم المخلطون والمسيئون لانهم لم يعروا[2] من شهوات الآدميين ولا عصموا عصمة النبيين ، وكذلك كتاب الله تعالى من قبل مأمنه ناسخ ومنسوخ فكما ارتفع الحكم بالمنسوخ منه كذلك ارتفعت القدوة بالمخذولين منهم ، وانما يلزمنا الاقتداء بالفقهاء العلماء منهم بالفقه والعلم الذي ضمه الله تعالى بين أحشائهم ، لا بالاصل والعنصر ، فاذا كان هذا العلم والفقه موجودا في غير عنصرهم لزمنا الاقتداء بهم كالاقتداء بهؤلاء وقد قال سبحانه وتعالى في تنزيله الحكيم (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم)[3] فانما يلي الامر منا من فهم عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يهم الحاجة اليه من العلم في أمر شريعته ، وانما أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما نرى اليهم ، لان العنصر اذا طاب كان معينا لهم على فهم ما يحتاج اليه كما قيل :

« اذا طاب أصل المرء طابت فروعه »

وطيب العنصر يؤدي الى محاسن الأخلاق » . ومحاسن الأخلاق تؤدي الى صفاء القلب ونزاهته ، واذا نزه[4] القلب وصفا كان النور أعظم وأشرق الصدر بنوره ، فكان ذلك عونا له على درك ما به الحاجة من شريعته (عبارته بحروفها)[5] .

---

(١) أي آل البيت قال النبهاني يوسف رضي الله عنه قلت : قوله واقع على الائمة السادة هذا غير مسلم به ، وانما هو واقع على عامة أهل البيت وخاصتهم مسيئهم ومحسنهم ، امامهم ومأمومهم اذ ليس معنى قوله صلى الله عليه وسلم (لن يتفرقا حتى يردا على الحوض ملازمتهم لكتاب الله تعالى من حيث العمل بجميع أحكامه حتى يرد قوله'

(٢) لم يخلو من شهوات الآدميين .

(٣) الآية (٧٩) من سورة النساء .

(٤) نزه أي طهر وفلان نزيه : أي كريم اذا كان بعيدا من الملوم .

(٥) وعلى كل فمهما كان نوع الوالي أي ولي الأمر شريفا أم غير شريف فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

فمعنى كلام الشيخ ان من عبادة اهل بيت رسول الله وعلى رأسهم جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم الا يهملوا من التجأ اليهم وتمسك بحبهم وشريعتهم .

قال البوصيري :

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمـــــه
أو يرجـــع الجار منه غير محتـــرم

ثم قال رحمه الله :

هب[1] أنني غير فرع عبدكم وكفـــى
الرفق بالرق[2] من مستظرف[3] الشيم[4]

ومعنى ذلك ويعتبر هـذا البيت موضحا عـلى البيت السابق قبله فالبيت الذي قبله هو :

ومـــن عوائـــد آبائـــي بآلـــك لا
تحرمني عند احتياجي أنت معتصمـــي

فأنت يا رسول الله ملاذي وملجئي وشفيعي يوم المعاد والبيت الذي نشرحه الآن :

هب أنني غير فرع عبدكـم وكفـــى
الرفق بالرق مـــن مستظرف الشيـــم

---

(١) افرضوني على سبيل الفرض .

(٢) الرق بكسر الراء العبودية والحب العميق وهو مصدر رق الشخص يرق بالكسر من باب ضرب فهو رقيق ورق ويطلق الرقيق على الذكر والانثى وجمعه ارقاء مثل شحيح وأشحاء وقد يطلق على الجمع فيقال عبيد رقيق ، وليس في الرقيق صدقة أي في عبيد الخدمة .

(٣)الظرف وزان فلس البراعة وذكاء القلب وظرف ظرافة فهو ظريف والمراد الكيس بوزن الكيل وقوم ظرفاء وشيء ظريف مستظرف أي متسق .

(٤) الشيم بوزن القيم جمع شيمة والشيمة هي الغريزة والسليقة والطبيعة والجبلة وهي التي خلق الانسان عليها والجمع شيم مثل سدرة وسدر وهو من اضافة الصفة للموصوف يعني الشيم الظريفة .

افرضوني يا سادتي يا آل بيت رسول الله بانني غير فرع منكم ولست من آل بيت رسول الله فهل أنا محب لآل البيت او مبغض لهم كفى ان حب آل البيت قد خالط قلبي ودمي ولحمي • كما قيل :

حب آل النبـــي خالط قلبـــي
كاختلاط الضيا بمـاء العيـــون

أنــا والله مغـــرم في هواهـــم
عللونـــي[1] بذكرهـم عللونـــي

آخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ومن يقترف حسنة) قال المودة لآل محمد وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أحبوا الله لما يغذوكم به وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي) وعن ابن مسعود رضي الله عنه (حب آل محمد يوما خير من عبادة سنة) وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خيركم خيركم لأهلي من بعدي) واخرج الطبراني وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال : (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه وتكون عترتي[2] أحب اليه من عترته ، وأهلي أحب اليه من أهله ، وذاتي أحب اليه مـن ذاته) وقال عليه الصلاة والسلام (يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين السبابتين[3]) وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال

---

(١) اسمعوني ذكرهم وأدخلوا السلوى على قلبي •

(٢) العترة بكسر العين هي نسل الانسان وأهله وروى ثعلب عن ابن الاعرابي ان العترة هي ولد الرجل (اي أولاده) وذريته وعقبه من صلبه ولا تعرف العرب من العترة غير ذلك •

(٣) كناية عن قرب المحب لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومساواته له يقول صلى الله عليه وسلم : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وان يحب المرء لا يحبه الا لله ، وان يكره ان يعود في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار) رواه أحمد في مسنده واتفق عليه البخاري ومسلم ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه) عن أنس رضي الله عنه •

(الزموا مودتنا أهل البيت فانه من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذي نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله الا بمعرفته حقنا) وقال صلى الله عليه وسلم : (من أراد التوسل وان يكون له عندي يد[١] يعني من أراد الوصول الي وان يكون له عندي نعمة واحسان تكملة الحديث (وان يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل[٢] أهلي ، ويدخل السرور عليهم) أخرجه الديلمي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم[٣] أفناه ، ؟ وعن جسده فيم أبلاه ؟ وعن ماله فيم أنفقه ؟ ومن أين اكتسبه ؟ وعن حبنا أهل البيت • وعن علي رضي الله عنه أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي وأصحابي) وفي الصحيح أن العباس[٤] رضي الله عنه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تفعل قريش من تعبيسهم[٥] في وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا حتى احمر وجهه ودر[٦] عرق بين عينيه : وقال ما بال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لقرابتهم مني وفي رواية والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله)

---

(١) اليد : القوة وأيده الله قواه واليد النعمة والاحسان تصطنعه وجمعها يدي وقد جمعت الايدي في الشعر على أياد وهو جمع الجمع •

(٢) وصل يصل من باب ضرب ولا يقطع مودة اهل بيتي •

(٣) اصلها فيما بالالف ولكنها عند الاستفهام تحذف الالف منها تخفيفا •

(٤) هو عم النبي صلى الله عليه وسلم •

(٥) عبس كلح وتنمر فكان كفار قريش اذا رأوا واحدا من آل بيت رسول الله عبسوا في وجهه •

(٦) در الحليب والماء درورا نزل وكثر والمراد هنا ارتفاع العرق الهاشمي الذي بين عينيه صلى الله عليه وسلم وتصبب العرق منه •

وقال صلى الله عليه وسلم (خمس من أوتيهن لم يعذر على ترك عمل الآخرة (زوجة صالحة[1] ، وبنون أبرار وحسن مخالطة الناس ، ومعيشته في بلده ، وحب آل محمد صلى الله عليه وسلم فقد ورد أن الامام القرشي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه قد حمل الى بغداد مكبلا بالقيود لسبب شدة ولائه لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع له في ذلك أمور يطول شرحها بل بلغ معه الحال في محبتهم الى ان نسبه أهل الزيغ والضلال الى انه رافضي حاشاه ثم حاشاه · روى ابن السبكي في طبقاته بسنده المتصل الى الربيع بن سليمان المرادى صاحب الامام الشافعي رضي الله عنه قال : (خرجنا مع الشافعي من مكة نريد منى[2] فلم ينزل واديا ولم يصعد شعبا[3] الا وهو يقول :

يا راكبا قف بالمحصب[4] من منى
واهتف بقاعد خيفها[5] والناهض

سحرا اذا فاض الحجيج الى منى
فيضا كملتطم الفرات الفائض

ان كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان أني رافضي[6]

---

(1) يقول صلى الله عليه وسلم في المرأة (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)ويقول عليه الصلاة والسلام : (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة اذا نظر اليها سرته واذا غاب عنها حفظته في نفسها ودينها وماله) او كما قال صلى الله عليه وسلم ·

(2) جبل بين مكة وعرفة وهو بكسر الميم لا بضمها كما هو شائع على السنة كثير من الناس ·

(3) الشعب الطريق بين جبلين وهو بكسر الشين ·

(4) جبل قريب من المزدلفة يلتقط منه الحاج الجمار التي سيرميها ·

(5) مسجد الخيف بفتح الخاء لا بكسرها كما هو شائع على السنة الناس وهذا المسجد في منى ·

(6) والرافضة جماعة من الخوارج عن اهل السنة والجماعة وحاشاك حاشاك يا ابن ادريس ان تكون رافضيا ·

وقد نص رضي الله تعالى على فريضة محبتهم بقوله :

يا آل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله في القرآن أنزله[1]

يكفيكم من عظيم القدر أن لكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له

قال الصبان أي صلاة كاملة أو صحيحه على قول مرجوح للشافعي .

فانظر وفقنا الله واياك الى هؤلاء الائمة ، وهداة الامة واقف[2] آثارهم في محبة أهل بيت النبوة رضي الله عنهم ، فانك ان كنت مسلما سنيا لا يخلو من أن تكون مقلدا في أمر دينك أحد هؤلاء الائمة الاربعة الأعلام ، ومع كونهم رضي الله عنهم اختلفوا في كثير من المسائل ، قد اتفقوا على هذه المسألة كما ترى وان كنت أيها الناظر في شرح هذه الأوراد يزيديا أو زياديا فانظر الى سيرة أسلافك اللئام تجدها سيرة أهل النار ، وتصفح أخبارهم تجدها أخبار عار وشنار[3] فان كنت عاقلا فلا بد وأن تعلم أنهم كانوا على أقبح ضلالة ، وأفضح جهالة فتكون على خلاف ما كانوا عليه تدخل الجنة دار المتقين وتحشر في زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

ثم قال رحمه الله :

أوصيتموا بالضعيفين[4] فها أنذا من
عبيدكم[5] فارحموا ضعفي ومقتحمي[6]

---

(١) في آية (قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) آية ٢٣ الشورى .
(٢) من قفاه يقفوه اتبع أثره وسار على طريقه وهديه ويابه عدا وسنما .
(٣) الشنار العيب وعطفه على العار عطف تفسير .
(٤) مقتبس من حديث (أوصيكم بالضعيفين المراة والخادم .
(٥) محبيكم فكانه قال انا من عبيد الله المحبين لله ولرسوله .
(٦) مقتحمي دخولي في الامور من غير تثبت وروية ومنه (اقتحم) الفرس النهر دخله .

يا سيدي رسول الله ويا آل بيت رسول الله لقد أوصيتمونا والمؤمنين أجمعين بالرفق والرحمة للضعيفين المرأة والخادم فهبوني خادما ومحبا لكم ومن أحببتموه رحمتموه ولقد قلت يا رسول الله (الراحمون يرحمهم الرحمن) وقلت (ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) وقلت (من لا يرحم لا يرحم) ولما قلت (ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) قال أحد الصحابة أليس كلنا رحيما قلت لا (ليست الرحمة أن يرحم أحدكم نفسه وولده انما الرحمة ان يرحم الناس جميعا) ومع هذا فاني عبد ضعيف أدعى بعبد الرحمن الشريف كثرت ذنوبي وملأت الآفاق عيوبي[1] فارحموا ضعفي يا سادتي لدخولي في المعاصي بغير تثبت ولا روية وهذا كله أدب منه وتودد وتواضع .

ثم قال رحمه الله :

وعاملوني بمـا تدرون[2] مـن صلة[3]
كما أمرتـم[4] بايصال لـذي الرحـم

معنى ذلك :

عاملوني يا سادتي بما تعلمون وبما أنتم جديرون به من صلة رحمكم فأنا منكم واليكم .

يقول الله تعالى : (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكـم (٢٢) أولئـك الذين لعنهم الله فأصمهـم وأعمى أبصارهم (٢٣))[5] .

---

(١) راجع خطبة النصائح الرحمانية للمؤلف رحمه الله في مجموع أوراده ص ٤٩ .

(٢) تعلمون وفعلها درى يدراه ودرى به أي علم به من باب رمى (دراية) ويقولون (لا ادر) بحذف الياء تخفيفا لكثرة الاستعمال كما قالوا لم أبل ولم يك .

(٣) الصلة بكسر الصاد العطية والنعمة والمحنة من غير مقابل .

(٤) كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلة الارحام .

(٥) الآيتان ٢٢ ، ٢٣ من سورة محمد .

وقال تعالى : (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)[١] • وقال تعالى (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون (٢٧) •

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)[٢] •

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال : يا رسول الله ان لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن اليهم ويسيئون الي ، وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال : (ان كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل[٣] ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك)[٤] وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم)[٥] • وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرحم متعلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله)[٦] •

---

(١) هذه الآية ٢٥ من سورة الرعد والآية ٢٧ (أولئك هم الخاسرون) من سورة البقرة •

(٢) رواه البخاري ومسلم •

(٣) المل الرماد الحار يحمى ليدمل فيه الخبز وهذه الكلمة كناية عن انك يا محسن لقرابتك وهم يسيئون اليك كأنما تجعل المل سفوفا يسفونه يعني ان عطاءك اياهم حرام عليهم ونار في بطونهم والظهير هو المعين •

(٤) رواه مسلم •

(٥) رواه ابن ماجه •

(٦) رواه البخاري ومسلم •

ثم قال رحمه الله :

في الحالتين[١] جدير[٢] بالصلات[٣] فما
أنفك[٤] عن جودكم الا بمنتظم[٥]

ومعنى ذلك : انني في حالتي البعد والقرب منكم لحقيق وخليق بالهبات والعطايا والمكارم ومن ارحامكم ولو قرابة بعدي فانا لا ابرح ملازما لقرع بابكم وجودكم ولن ارضى الا ان اكون معكم محبا مستقيما على نظام واحد ونهج غير مختلف وبالمناسبة فاني أعود فأذكر لكم حديث في صلة الأرحام لتعلموا قيمة وقدر الأرحام وبما أنني رحم من ارحامهم فلا يمكن ان يتركوني مهملا ٠

يقول عليه الصلاة والسلام : (ان الرحم شجنة من الرحمن تقول : يا رب اني قطعت يا رب اني أسيء الي يا رب اني ظلمت ، يا رب فيجيبها ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك) ؟؟[٦] ٠

والشجنة وزان سدرة الشجر الملتف ٠

---

(١) يعني سواء أكنت من آل البيت ام لا ٠

(٢) جدير به أي قمن وحقيق به يقال (جدر بكذا وله جدارة صار خليقا به فهو جدير وجمعه جدراء كعلماء ٠

(٣) خليق بالعطايا والمنح ٠

(٤) اي لا أبرح عن الباب ولا أنفك عنه وهي من أخوات كان واسمها ضمير المتكلم وخبرها الا بانتظام كائن منكم ٠

(٥) منتظم نظمت الامر فانتظم أي أقمته فاستقام على نظام واحد أي بنهج غير مختلف ٠

(٦) رواه أحمد في مسنده وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه ٠

قال رحمه الله :

ولست أبغي[١] من الجد الشفيق[٢] سوى
التوفيق[٣] أطلبه من باريء[٤] النسم[٥]

ومعنى ذلك : انني لا أبغي ولا أطلب من جدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي هو شفيق ورحيم بالمؤمنين والذي هو أرحم بالمؤمنين من الناس أجمعين لا بغية لي عنده ولا شيء سوى التوفيق من الله العلي القدير أبتغيه من خالق النفوس كلها والله سبحانه هو وحده أرحم الراحمين ورب العالمين .

ثم قال رحمه الله :

لعبده[٦] العاجز المسكين حيث لكم
جاه[٧] رفيع[٨] به ننجو من النقم[٩]

---

(١) أريد وأطلب والبغية بكسر الباء وضمها الحاجة وبغى على وزن بنى ضالته يبغيها بغاء بالضم والمد يطلبها .

(٢) ليس في اللغة شفوق وانما هو شفيق ولعل ذلك وقع خطأ مطبعيا من العوام الذين قاموا بطبع أورادنا عدة مرات ولا دخل لهم بها مع ان حقوق الطبع محفوظة لجدنا الشيخ عبد الرحمن الشريف المؤلف والشفقة الاسم من الاشفاق وانا شفق وشفيق .

(٣) التوفيق هو خلق قدرة الطاعة في العبد مع الاخذ في الاسباب وفقنا الله لما يحبه ويرضاه من القول والعمل والنية والهدى انه على ما يشاء قدير .

(٤) الباري هو الخالق .

(٥) النسم جمع نسمة وهي النفس وباريء النفس خالق النفوس .

(٦) الضمير في عبده يعود على باريء النسم في البيت قبله من السنة ألا يقول المتكلم انا بل يقول عبدك فان من قال انا وقع في العنا فقد قالها ابليس (انا خير منه) أي من آدم فطرد من الجنة والعاجز صفة للعبد والمسكين صفة ثانية وكما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة تمسكن وتضرع ومن أقوال سيدي مصطفى البكري في ورد السحر : يا غني أنت الغني وأنا الفقير من للفقير سواك ، يا قوي أنت القوي وأنا الضعيف من للضعيف سواك يا قادر انت القادر وأنا العاجز من للعاجز سواك يا عزيز أنت العزيز وأنا الذليل من للذليل سواك فلو جاء الوصف الكاشف بعد أنا وهو الخبر فلا مانع (أنا الفقير) انا الذليل انا العاجز جاز .

(٧) جاه النبي عظيم وهو رفيع عال .

(٨) الباء للسببية .

(٩) النقم هي الدواهي والمصائب . اعاذنا الله منها .

يعني انني أطلب التوفيق ممن خلق النفوس لهذا العبد المسكين عبد الرحمن العاجز المسكين وذلك بجاه جدنا المصطفى الرفيع المقبول عند الله والذي بسببه يسلمنا الله من نوائب الزمان ومصاعبه وأخطاره فبسبب جاه رسول الله وآل بيته ننجو من غضب الله دنيا وأخرى • ان شاء الله تعالى وقوله المسكين تواضع منه ورجاء ثواب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم أحيني مسكينا وتوفني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين) رواه الطبراني في الدعاء عن عبادة بن الصامت • والجاه يكون دائما للعظماء •

وهـذه تحفـة الاخلاص قـد نسجت[1]
أشكو بها ما عرى[2] قلبي من السقم[3]

هذه براعة اختتام ما ألفه فقال :

وهذه تحفة والتحفة هي الهدية الثمينة وهي ما أتحفت به الرجل من البر واللطف وكذا التحفة على وزان همزه بفتح الحاء والجمع تحف فكأنه قال هذه التحفة الثمينة قد نسجت من المنوال المرغوب فيه وهي نسيج وحده والحمد لله •

فكأنه يقول : وهذه هدية من الله لي ولكم يا أخوتنا في الله قد تمت على منوال طيب نفيس أتوسل بها الى الله في شفائي مما أصابني من الأمراض او ما عرى قلبي وأصابه من الأمراض الحسية والمعنوية •

ثم قال رحمه الله :

حسن اعتقادي بان الجـد يقبلهـا
لا شك بل ويجد كونـي مـن الخـدم

---

(١) نسجت الثوب نسجا من باب ضرب والفاعل نساج ويقال في المدح (نسيج وحده) كما ان الثوب النفيس لا ينسج على منواله غيره اي لا يشرك بينه وبين غيره في السدى (الصفة والسبك) •

(٢) أشكو بها أي أرجو بسببها أن أشكو الى الله ما أصابني من الكسل والامراض النفسية الداخلية كحب الظهور وحب السمعة والحقد والحسد وغيرها (وعرى) أصاب •

(٣) السقم : السقام المرض والسقم والسقم بضم القاف وفتحها وسقم من باب طرب فهو سقيم •

يقول الشيخ حسب حسن اعتقادي وظني بالله بان جدنا صلى الله عليه وسلم سيقبل منا هذه التحفة المتواضعة ولا ريب في ذلك لانه يجدني من المحبين لله ولرسوله وآل بيته وسيجدني خادما لهم على كل حال .

ثم قال رحمه الله :

ولا يدعني فقير الحـال مـن جهتـي
دينـي ودنيـاي وهـو الحافظ الذمـم[1]

ملحوظة الشطرة الثانية لا يستقيم فيها الشعر ولا اللغة فلا يصح لغة أن تقول هو الوافي[2] بل هو وفي الذمم ولاستقامة البيت قلت وهو الحافظ الذمم فهو صلى الله عليه وسلم وفي بالذمم يجير من أجاره ويغيث من أغاثه يعني ان الله تعالى بسبب حبي واطاعتي لرسوله كما قال (ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) آل عمران (٣١) لا يتركني فقيرا من الدنيا والأخرى أو في الحالتين بسبب قربي منه نسبا وبعدي منه في العمل فالحب أقوى من النسب بلا مودة ومحبة[3] .

ثم قال رحمه الله :

أيترك الاصل[4] فرعا[5] قد نحاه[6] هوى
مـن غـير مـد لامر غـير ملتئـم[7]

---

(١) الوافي اسم منقوص ولا تظهر عليه ضمة ولا كسرة وانما تظهر عليه الفتحة كقولك لان يفي مثل أن ان يقضي ويدعو ووفي الوفاء ضد الغدر يقال وفي بعهده (وفاء) وأوفى ويقال : (الوفي والوافي) وأوفى على الشيء أشرف وأوفى على الغاية مثله .

(٢) الذمم : الذمام الحرمة وأهل الذمة أهل العقد يقول صلى الله عليه وسلم (يسعى بذمتهم أدناهم أي أجاره وأذه وجده .

(٣) يعني اذا كنت منتسبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون محبة ولا مودة فلا فائدة من هذا النسب .

(٤) الاصل المراد به الرسول صلى الله عليه وسلم وما عداه فرع .

(٥) والشيخ يعني نفسه فرعا من هذه الدوحة العظيمة (اي الشجرة الكبيرة) .

(٦) نحا : النحو القصد والطريق يقال نحا نحوه اي قصد قصده ونحا بصره اليه اي صرف وبابهما عدا ونحاه وتحاه ابعده .

(٧) لأم الجرح والصدع من باب قطع اذا سده فالتأم (ملائمه) أصلح وجمع .

يقول رحمه الله ومع هذا كله فالنبي صلى الله عليه وسلم الذي هو الاصل لا يتخلى عن ذريته ولا يترك من انتسب اليه كما قال : (والناس أمناء على أنسابهم) أيترك الاصل فرعه من غير امداد وعطف وشفاعة بسبب هوى في نفسه أو لأمر غير مناسب والرسول صلى الله عليه وسلم لا يضيق جاهه بمطيع وقصته مشهورة ٠

ثم قال رحمه الله :

حاشا[1] وكلا[2] بان يقلى[3] لفضلتــــه
والله والله هــذا أعظــم القســـم[4]

يقول رحمه الله تعقيبا على الابيات قبله :

أنزهك يا رسول عن قطيعتي وهجري وأنا منتسب ومحب اليك ولثقة الشيخ بربه وايمانه ويقينه ٠

أقسم هذا القسم فقد كان صلى الله عليه وسلم في مثل هذا الموقف يقسم ويقول (والذي نفس محمد بيده) فالرسول صلى الله عليه وسلم يحبنا ولا يبغضنا ولا يتجافى عنا ٠

ويقول رحمه الله :

يا[5] رب بالسيد الهادي[6] البشير[7] كذا
بآله الغر[8] مــن هــم سادة الحــرم

---

(١) حاشا : يقال : (حاش الله) أي تنزيها ولا يقال حاشى لك قياسا عليه وانما يقال حاشاك وحاشى لك ، فالكلمة هنا يقصد منها تنزيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كراهية المنتسبين له والمحبين اليه ، ولو كانوا مذنبين أحيانا ، لان الله قد يتوب عليهم ٠

(٢) كلا كلمة ردع وزجر يقصد بها المنع وتاتي بمعنى القسم (حقا) ٠

(٣) يقلى : يبغض وينفى (ما ودعك ربك وما قلى) ٠

(٤) القسم اليمين المقسم بها ٠

(٥) يا رب أصلها يا ربي حذفت الياء للتخفيف وعوضت عنها الكسرة للدلالة عليها ٠

(٦) الهادي لقب به الرسول صلى الله عليه وسلم ، لانه يهدي الى الطريق المستقيم ويكون سببا في الهداية ٠

(٧) اسم من أسمائه صلى الله عليه وسلم وأما آل بيت النبوة فقد تقدم الكلام عنهم رضي الله عنهم أجمعين ٠

(٨) والغر جمع أغر وهو الابيض والمراد بالغر هنا الشرفاء ومفردها أغر بمعنى شريف وفلان غرة قومه : أي سيدهم وغرة كل شيء اوله ٠

شروع في الختم والدعاء له ولذريته ولتابعيه متوسلا برسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا :

أسألك يا الله متوسلا بسيدنا رسول الله الهادي البشير وبآله الطيبين الطاهرين وبأهل البقيع حول حرمك وتكمله الدعاء قوله :

هب[1] لي مرامي[2] ونفذ كل ما طلبت
نفسي من الخير وانطق بالصواب فمـي

فأسألك بحقهم عليك جميعا ان تعطيني سؤلي ومطلوبي وأن تعطيني كل ما فيـه الخـير لديني ودنيـاي وألهمني النطق بالصواب في كـل حال وألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي وسيئات أعمالي ·

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام (اللهم اهدني لأحسن الأخلاق فانه لا يهدي لأحسنها الا أنت واصرف عني سيء الأخلاق فانه لا يصرف عني سيئها الا أنت) اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) ·

واحفظني من كيد كل الحاسدين[3] ولا
تجعل رجائي الهـي ملقى[4] في العـدم

انه يطلب من الله سبحانه وتعالى ان يحفظه وتابعيه وذريته من مكر وكيد جميع الحاسدين والحاقدين والماكرين ولا تجعل رجائي يا مولاي معدوما واجعلني موصـولا برضـاك ومحبتك · أما كيد الحاسديـن

---

(١) هب لي مطلوبي أعطني مطلوبي ·
(٢) ومرامي مطلوبي ·
(٣) الحسد هو تمني زوال نعمة الغير وهذا مذموم شرعا والغبطة هي ان تتمنى مثل ما لأخيك من النعمة ولا تتمنى زوالها وهذا محبوب شرعا ·
(٤) ملقى تقرأ في البيت باختلاس القاف لئلا ينكسر البيت وللشعر ضرورات ·

والاستعاذة منه فقد أنزل الله على رسوله سورة مخصوصة وهي سورة الفلق فقال تعالى : (قل أعوذ برب الفلق[1] (١) من شر ما خلق (٢) ومن شر غاسق[2] اذا وقب (٣) ومن شر النفاثات[3] في العقد (٤) ومن شر حاسد اذا حسد (٥)[4] .

ومعنى ذلك : التجىء يا محمد الى رب كل شيء والخطاب عام ، خرج من العدم الى الوجود ، من شر ما[5] خلق ربك ومن شر ما خلق من الانس والجن ، ومن شر ليل ممتلىء بالظلام اذا دخل وتسيخ ضوء النهار وأستعذ بالله من شر النساء السواحر اللاتي يعقدن العقد ويتفلن عليها . واستعذ بالله يا محمد من شر حاسد اذا حسد اذا قصد وأراد الحسد . ومناسبة ايراد هذه السورة وانزالها على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان يهوديا سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يفعل الشيء ويظن أنه لم يفعله فأنزل الله عليه المعوذتين ، فلما قرأهما برىء مما فيه . وهذا أبلغ رد على متفلسفي اليوم وواعظي اليوم من وراء المذياع الذين ينكرون الحسد والعين ويتحدون القرآن ويقولون ان كان فيهم قدرة على العين فليفعلوا معنا[6] واليكم الدليل القاطع على العين من السنة يقول صلى الله عليه وسلم : (العين حق)[7] وقال عليه

(١) الصبح وهناك تفسيرات أخرى لا يتسع لها هذا المكان .

(٢) من شر الليل اذا اظلم والقمر اذا غاب .

(٣) النفاثات السواحر تنفث في العقد التي تعقدها في الخيط تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق .

(٤) اذا اظهر حسده .

(٥) التعبير بما لغير العاقل أي من كل شيء خلقه ، وأما التعبير بمن فاشارة الى التعوذ من شر الانس والجن .

(٦) وقال الطنطاوي من وراء مذياع السعودية أن الحسد لا يؤثر في المحسود وهذا غير صحيح ، والآيات والاحاديث الصحيحة شاهدة على ذلك . وقال صلى الله عليه وسلم : (اياكم والحسد ، فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) . رواه أبو داود والبيهقي في الشعب والزهد .

(٧) رواه احمد في مسنده متفق عليه وابو داود والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه وابن ماجه عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه .

الصلاة والسلام (العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين ، واذا استغسلتم فاغسلوا)[1] ٠

وورد في هذا الموضوع عدة أحاديث أوردها المفسرون عند تفسير (سورة الفلق) سأذكر لك شيئا منها ٠ قال عليه الصلاة والسلام « ولن تقرأ شيئا أبلغ عند الله من (قل أعوذ برب الفلق) وعن عقبة ابن عامر أيضا قال : (بينا أسير مع النبي صلى الله عليه وسلم بين (الجحفة) مكان يحرم منه أهل الشام و (الأبواء) اذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بـ (أعوذ برب الفلق) و (أعوذ برب الناس) ويقول : يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما ٠ قال وسمعته يقرأ بهما في الصلاة وقال لعبد الله بن عمر : قل : فقلت ما أقول ؟ قال (قل هو الله أحد والمعوذتين يكفيك كل شيء وقال لعقبة بن عامر أيضا قل : قلت ما أقول ؟ قال : (قل هو الله أحد قل أعوذ برب الفلق قل أعوذ برب الناس) فقرأهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : (لم يتعوذ الناس بمثلهن أو لا يتعوذ الناس بمثلهن وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى قرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث[1] فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها) ٠

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن : (اياكم

---

(١) رواه احمد في مسنده ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ومعنى استغسلتم فاغسلوا يعني اذا أصاب الشخص العائن أحدا فالمطلوب لعلاجه أن يغسل العائن اطراف وجهه ويديه ورجليه ومغابنه تحت ابطيه ومعاطف جسده ثم يصب ذلك الماء على المفتون فمعنى الحديث (واذا استغسلتم) واذا طلب منكم أيها العائنون ان تغسلوا اطرافكم ومغابنكم لصب مائها على المعيون (فاغسلوا) ولا تمتنعوا والا كان اثم هذا المصاب عائدا عليكم وهذا الامر للوجوب يجبر العائن على تنفيذه ٠

والكبر[١] فان ابليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم ، واياكم والحرص[٢] فان آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة ، واياكم والحسد فان ابني آدم[٣] انما قتل أحدهما صاحبه حسدا وقال بعضهم (الحاسد جاحد لا يرضى بقضاء الواحد ، وقيل من القواعد المقررة أن الحسود لا يسود ، وورد في قوله تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منا وما بطن (الحسد) وجاء في بعض الكتب السماوية (الحاسد عدو نعمتي ، وقيل أثر الحسد يتبين فيك قبل ان يتبين في عدوك ، وقال الاصمعي رأيت أعرابيا أتى عليه مائة وعشرون سنة فقلت له : ما أطول عمرك ؟ فقال : تركت فبقيت وقال عبد الله بن المبارك : الحمد لله الذي لم يجعل في قلب أميري ما جعل في قلب حاسدي ، وورد في بعض الآثار ان في السماء الخامسة ملكا يمر به عمل عبد وله ضوء كضوء الشمس فيقول : قف فأنا ملك الحسد أضرب به وجه صاحبه فانه حاسد ، وقال معاوية (كل انسان أقدر على أن أرضيه الا الحاسد فانه لا يرضيه الا زوال النعمة . ويقال : الحاسد ظالم غشوم لا يبقي ولا يذر ، وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد ، غم دائم ونفس متتابع .

علامات الحاسد : ومن علامات الحاسد أن يتملق للرؤساء والحكام والأغنياء ويتودد اليهم ومن طبيعته : أن يتملق اذا شهد[٤] ويغتاب اذا غاب ، ويشمت بالمصيبة اذا نزلت ، وقال الحكيم معاوية : (ليس في خلال شر خلة[٥] أعدل من الحسد تقتل الحاسد قبل المحسود .

---

(١) تفتح الراء لانه منصوب على التحذير كقوله (اياك والشر .

(٢) الجشع والطمع والتمسك بالدنيا الفانية .

(٣) وهما قابيل وهابيل . وقد قتل قابيل أخاه هابيل حسدا عنه على زوجته .

(٤) يعني اذا حضر .

(٥) خلة صفة وميزة والخصلة والحاجة والفقر بفتح الخاء .

وقيل :

إصبر علـــى حسد الحســـ ـــود فــان صبرك قاتلـــه
النـــار تاكلهـــا بعضهـــا إن لـــم تجـد ما تاكلـــه

وقيل أوحى الله عز وجل الى سليمان بن داود عليهما السلام أوصيك بسبعة أشياء : لا تغتابن صالح عبادي ولا تحسدن أحدا من عبادي فقال سليمان: يا رب حسبي[1] وورد ان موسى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا عند العرش فغبطه[2] فقال ما صفته فقيل كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله • ومن علاماته أنه اذا رأى نعمة بهت[3] واذا رأى عثرة[4] شمت • واذا أردت أن تسلم من الحاسد (المعروف بحسده) فلبس عليه أمرك واخلط عليه رأيك ولا تذكر له النعم التي أنعم الله بها عليك ، ومن علاماته ان يكون دائما مغتاظا من النعم اذا وردت الى الناس ولا يفرح بها انه مغتاظ دائما على من لا ذنب له ، بخيل بما يملكه وقيل : إياك أن تبذل قصارى جهدك في مودة من يحسدك فانه مهما بالغت في إحسانه لا يقبل منك احسانك وهذا يصدق عليه الاثر الذي ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه (اتق شر من أحسنت اليه) وقيل اذا أراد الله تعالى أن يسلط على عبد عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسده وأنشدوا :

وحسبك مـــن حـــادث بامـــرىء
ترى حاسديـــه لـــه راحمينـــا

---

(١) حسبي كافيني او يكفيني او تكفيني هذه النصيحة •
(٢) تقدم معناها هو ان تتمنى مثل ما تتمنى لاخيك •
(٣) بهت بضم الباء وكسر الهاء : دهش وتحير وقال تعالى (فبهت الذي كفر) •
(٤) زله وغلطة شمت وفرح •

وقيل :

كل العداوة قد ترجى إماتتها[1]
إلا عداوة من عاداك عن حسد

وقال ابن المعتز :

قل للحسود اذا تنفس طعنة
يا ظالما وكأنه مظلوم

وقيل :

واذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح[2] لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود[3]

ومن المؤسف حقا ان الحسد شائع ذائع بين طلاب العلم كما وضحه الامام الغزالي في الاحياء يحسدون بعضهم على الدنيا ومناصبها وملذاتها ولا يغضبون عالما عاملا بعلم ، بل يعتبرونه خارجا عن دائرة تفكيرهم وعمقهم وعقلهم (لا يسأل عما يفعل) .

واليك ما قال الامام الغزالي[4] في الاحياء الجزء الاول في الصفحة الثامنة والخمسين ما نصه :

---

(١) وفي رواية مودتها .

(٢) هيأ لها .

(٣) عرف العود بفتح العين طيب رائحته .

(٤) الغزالي نسبة الى بلده غزالة وليس في اللغة الغزّالي بتشديد الزاي نسبة الى عمله في الغزل قال في المصباح المنير الغزالة بالهاء الشمس وغزالة قرية من قرى طوس واليها ينسب الامام ابو حامد الغزالي اخبرني بذلك الشيخ مجد الدين محمد بن محمد بن محيي الدين شروان شاه بن أبي الفضائل فخراور ابن عبيد الله بن ست النساء بنت أبي حامد الغزالي بتخفيف الزاي ببغداد سنة عشر وسبعمائة وقال لي اخطأ الناس في تثقيل اسم جدنا وانما هو مخفف نسبة الى غزالة وهي القرية المذكورة .

(الباب السادس في آفاق العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء) قال : قد ورد في العلماء السوء تمديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة ·

فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا (علماء السوء) الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم (أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا)[1] ·

وقال صلى الله عليه وسلم (يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق[2]) وقال صلى الله عليه وسلم (لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولتماروا به السفهاء ، وليصرفوا به وجوه الناس اليهم فمن فعل ذلك فهو في النار) وقال صلى الله عليه وسلم : (لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل : وما ذلك ؟ فقال : من الأئمة المضلين وفي رواية (المضللين) أخرجه أحمد من حديث أبي ذر باسناد جيد[3] ·

وفي هذا قيل :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى
ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذيه من باع دينه
بدينا سواه فهو من ذين أعجب

---

(١) اخرجه ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في المدخل موقوف على ابي الدرداء ·

(٢) وفي رواية وعلماء فسقه اخرجه الحاكم من حديث انس وهو ضعف ولكن يعمل به في فضائل الاعمال ومنه نعرف حقيقة علماء هذا الزمان الذين يدعون المدنية والحضارة والعصرية واكثرهم يحلقون لحاهم وبعضهم له وظيفة وقفية ويصلي بالناس اماما ولا يجوز امامة الفاسق الا اذا انقطع من يصلي بالناس لا سمح الله ·

(٣) اخرجه ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح ·

ومعنى مبتاع الضلالة مشتريها اقتباسا من قوله تعالى : (اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)(١) • يعني أولئك الذين باعوا الهدى وجعلوه ثمنا للضلالة فاشتروه به فما كسبت تجارتهم وما ربحوا وما اهتدوا للحق ابدا • وقال الحسن رحمه الله(٢) : (لا تكن مما يجمع علم العلماء ، وطرائف الحكماء ، ويجري في العمل مجرى السفهاء ، وقيل لابراهيم بن عيينة : أي الناس أطول ندامة ؟ قال : (اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره ، وأما عند الموت فعالم مفرط • وبالمناسبة لا بد من اختيار الصديق الذي يدلك على الله كما قال ابن عطاء الله في حكمه (لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله) لان الرفيق الرفيق والصاحب الصديق يحثك على طلب العلم ولا يشغلك عنه ويا أخي لا بد لكل انسان في هذه الحياة من صاحب يصادقه ويؤنسه ، وخليل يخالله ، يأنس به في الرخاء ، ويستعين به في الشدائد والملمات والأواء ، لذلك يجب علينا ان نجتهد في اختيار الصاحب الصالح والصديق الحميم الذي ان كنت في فراغ من وقتك ملأه علما وبحثا والذي ان كنت على غير ذلك أرشدك،وان رآك في سعة من العيش فرح لك ، وان كنت في ضيق ابتدرك فساعدك وأعانك وهذا يا عزيزي عزيز المنال بل كالكبريت الأحمر(٣) لا سيما في زماننا هذا فان أكثر الصحبة للمصلحة لا لغيرها فاياك ومن يصاحبك في الرخاء وينفر منك عند الحاجة والشدة • وما أجمل قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الصاحب :

---

(١) الآية (١٦) من سورة البقرة •

(٢) ناصحا غيره : والناصح على ما يظهر هو الحسن البصري رضي الله عنه ، وقال الامام الغزالي نفسه ما أكثر حسد العلماء نعم لو رضوا بقسمة الله ما حسدوا ولو تمسكوا بقول الله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) ما اعترضوا ولكن هيهات هيهات بعد عمل منك قد فات) الآية (٣٢) من سورة الزخرف •

(٣) في ندرة وجوده •

واذا صاحبت فاصحب صاحبـــا
ذا عفـــاف وحيـــاء وكـــرم

قائـــلا للشيء لا ان قلـــت لا
واذا قلت نعـــم قـال نعـــم

فالحر يا أخي في هذا الزمان نادر والنادر لا حكم له واسمع ما قيل :

تمســك ان ظفرت بذيـــل حـر
فان الحر في الدنيـــا قليـــل

سألـت النـاس عـــن خـــل وفي
فقالـوا مـا الى هـــذا سبيـــل

هذا الزمن يا أخي زمن العجائب زمن انقلبت فيه الموازين والمعايير فأصبحت قيمة كل انسان بمادته وماله لا بمادته العلمية ، وقيمة كل امرىء ما يحسنه كما قيل :

صفت الدنيـــا لارباب الزنـــا
ولمن يحسن ضربـــا وغنـــى

وهـي للحـــر مخاض كـــدر
غبن الحـــر لعمـــري غبنـــا

ومن أراد ان يزداد علما من الاحياء فليرجع اليه ففيه بيان تقسيم العلماء الى درجات ثلاث ٠

وقال الامام الغزالي في كتابه منهاج العابدين في الصفحة الرابعة من بداية الهداية الذي على هامش المنهاج (واعلم ان الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال :

أ ـ رجل طلب العلم ليتخذه زاده من المعاد جعلنا الله من هذا النوع ٠ ولم يقصد به الا وجه الله والدار الآخرة فهذا من الفائزين ٠

ب ـ ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به العز والجاه والمال وهو عالم بذلك مستشعر في قلبه ركاكة حاله، وخسة مقصداه فهذا من المخاطرين فان عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى وبقي أمره في خطر المشيئة، وان وفق للتوبة قبل حلول الاجل، واضاف الى العلم والعمل، وتدارك ما فرط فيه من الخلل التحق بالفائزين (ان شاء الله رب العالمين) ٠

فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ٠

جـ ـ ورجل ثالث استحوذ[2] عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع والنفوذ والعصبيات، يدخل بعلمه كل مدخل رجاء ان يقضي من الدنيا وطره[3] وينال حاجته وهو مع ذلك يضمر في نفسه انه عند الله بمكان لاتسامه[4] بسمة العلماء وترسمه[5] برسومهم في الزي والنطق مع تكالبه على الدنيا ظاهرا وباطنا فهذا من الهالكين ومن الحمقى المغرورين اذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه انه من المحسنين وهو عامل على قوله تعالى: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا (١٠٣) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)(١٠٤)[6] ٠ وعن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون (١) كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون[7] (٢) وهذا النوع من علماء السوء وهم الذين أخبر عنهم

---

(١) رك الشيء يرك بكسر الراء (ركة) و ركاكة رق وضعف فهو ركيك، ومنه قولهم قطعه من حيث رك والعامة تقوله رق بدلا من رك ٠

(٢) استحوذ في الحديث (المؤمن خفيف الحاذ) اي خفيف الظهر استحوذ عليه الشيطان اى غلبه ومنه قوله تعالى (ألم نستحوذ عليكم) أي الم نغلب على امركم ونستول على مودتكم ٠

(٣) الوطر الحاجة ولا يبنى منه فعل أي لا يصاغ منه فعل ٠

(٤) اي لاتصافه بصفة العلماء ٠

(٥) وتتبعه خطاهم في كل ما يعملون ٠

(٦) الآية ١٠٣ قبلها والاية ١٠٤ من سورة الكهف ٠

(٧) الآية ١ و ٢ من سورة الصف ٠

الرسول صلى الله عليه وسلم وقال (أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ فقال : علماء السوء) وهذا الان الدجال غايته الاضلال ، ومثل هذا العالم وان صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو داع لهم اليها بأعماله وأحواله ولسان الحال أبلغ وأفصح من لسان المقال وطباع الناس الى المشاهدة في الاعمال أميل منها الى المتابعة في الاقوال · فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله عافانا الله وأعاذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ·

قل لمن يفهم عني ما أقـــول
قصر القول فـذا شـرح يطـــول
ثـم سـر غامض مـن دونـه
ضربــت والله أعنــاق الفحــول

ثم قال رحمه الله :

ووســع الرزق والابناء تجهـم
من كل سوء وأعلن سيدي علمـــي

ابتهال ودعاء من الشيخ رحمه الله : يسأل الله سعة الرزق والنجاة من كل مكروه له ولانجاله وتابعيه ومحبيه والناس أجمعين واعلن سيدي علمي وأظهر سيدي شأني على من عاداني مـن ذوي الضمائر الخالية من حبك وحب رسولك المصطفى صلى الله عليه وسلم والمراد من اظهار العلم النصر على الاعداء المعادين لكل قاصد طريقه جل وعلا ولقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء فيقول (اللهم اجعل أوسع رزقك علي عند كبر سني وانقطاع عمري)[1] · ولقد تحدثت عـن الدعاء في رسالتي نشرة دار الفقه والحديث بمـا فيـه المزيـد والكفاية وعنوانها « هل الدعاء وارد بعد الصلاة أم لا ؟ وهل الدعاء

---

(١) اخرجه الحاكم في مستدركه والطبراني في اوسطه ·

مطلوب شرعا أم لا)[١] ؟ ولا بأس أن أورد لك شيئا من فضائل الدعاء ليستنير به لبك وينشرح به صدرك والخلاصة في الدعاء أن الجهل قد فشا واستشرى[٢] في الناس واشتد داؤه فأصبحوا بالمادة مهتمين ، ولا يعرفون كيف يدعون الله سرا ولا جهرا ولذا فانه لا بأس برفع الصوت في الدعاء شريطة ان لا يشوش على قارىء ولا مصل ويرفع صوته في الدعاء قليلا مناسبا حتى يعلم الناس كيف يدعون الله فالدعاء هو العبادة والدعاء مخ العبادة ، والدعاء نور العبادة وقد ورد في فضل الدعاء من الاحاديث والآثار مالا يحصى ولا يعد وهي أحاديث صحيحة معتبرة مشهورة ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)[٣] . وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء)[٤] .

ثم قال رحمه الله :

واغفر الهي لتاليها[٥] وناظمها[٦]

نجل الحسين الشريف العاجز السقم[٧]

ومؤلفنا هو جدنا الشيخ عبد الرحمن الشيخ حسين الشريف .

---

(١) وهذه هي النشرة السادسة لدار الفقه والحديث .

(٢) اشتد شراه وعظم وتفاقم .

(٣) رواه الترمذي وابو داود بسند صحيح والاية الواردة هنا ٦٠ من سورة المؤمن .

(٤) رواه الترمذي والامام احمد والحاكم بسند صحيح .

(٥) قارئها ومرددها باخلاص وتلا القرآن يتلوه (تلاوة) .

(٦) نظم اللؤلؤ جمعه في السلك وبابه ضرب ومنه نظم الشعر (ونظمه) ففيه مجاز بالاستعارة فتكون شبه ناظم الابيات بناظم اللؤلؤ بجامع مطلق الجمع والتنظيم في كل .

(٧) السقم المريض الضعيف وعطفها على العاجز عطف تفسير .

يقول رحمه الله[1] :

وأسألك يا الله أن تغفر وتستر عيوب قارئها ومرددها من المريدين والتابعين واغفر لناظمها ويعني نفسه ثم فسره بقوله (نجل[2] الحسين) يعني بن الحسين فأنا العبد الضعيف محمد عادل بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن حسين بن يوسف الشريف وجميع أجدادي الثلاثة لهم ضرائح يزورها الناس في زاوية الاشراف لآل عبد الرحمن الشريف وهذه الزاويـة مشهورة منـذ سبعمائـة سنة بجوار الحرم الشريف الابراهيمي في مدينة خليل الرحمن على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين والمرسلين أفضل الصلاة وأكمل السلام ٠ وفي هذه الزاوية عدد كبير من الاولياء وفيهـا مقام ليوسف النجار ومقام ابن العم الشيخ عبد الرحمن الشريف وهو مدفون بجانب أبيه وجديه عبد الرحمن وحسين رضي الله عنهم أجمعين ٠

ثم قال رحمه الله :

واستر عيوبي وأنعم لي بخاتمـة

حسناء تمحو الذي قد كان في القدم

لا يزال رحمه الله يدعو ربه ويسأله ويستغفره لأنه كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : (الدعاء هو العبادة)[3] ، (الدعاء سلاح المؤمن ــ وعماد الدين ، ونور السموات والارض)[4] ، (والدعاء مخ العبادة)[5] ٠ هذا وللدعاء آداب وشروط ذكرها الامام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين فمنها :

---

(١) وهذا على سبيل الالتفات من التكلم الى الغيبة ٠

(٢) النجل يطلق على النسل والابن ٠

(٣) أخرجه ابن حبان ٠

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه ٠

(٥) اخرجه الترمذي ٠

ومن شروطها : تناول الحلال ، واليقين بالاجابة والتضرع الى الله بقلب سليم خال من الغش والكدورات والتعلق بشهوات الدنيا وملذاتها ٠

ومنها أن يختار الداعي الأوقات الشريفة المناسبة ، كيوم عرفة وليلة الجمعة وليلة القدر وليلة النصف من شعبان ومن الاشهر شهر رمضان والاشهر الحرم أربعة واحد فرد وثلاثة سرد وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم واما الاماكن المحرمة فهي البيت الحرام والبلد الحرام أي لا يحل انتهاكه ومن الايام يوم الجمعة والاثنين والخميس ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى (وبالاسحار هم يستغفرون)[1] وعند الزحف الى الحرب وعند نزول المطر ٠

فالشيخ رحمه الله سأل الله ان يستر عيوبه وهذا طلب في غاية الرفعة قال تعالى : (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)[2] اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وتجاوزنا الحد في أمورنا والشيخ يقول ولا تؤاخذنا ان تجاوزنا الحد في تاليفنا وثبت أقدامنا في ميادين الحرب والجهاد والعمل الصالح وانصرنا على القوم الكافرين ٠ وقد اقتبس رحمه الله من شيخ الطريقة الخلوتية العالم الزاهد ابو البركات الشيخ أحمد الدردير عندما قال في نهاية الخريدة في التوحيد على حاشية الصبان :

وقل بذل رب لا تقطعني عنك بقاطع ولا تحرمني
من سرك الأبهى المزيل للعمى واختم بخير يا رحيم الرحما

(١) الآية ١٨ من سورة الذاريات ٠

(٢) الآية ١٤٧ من سورة آل عمران ٠

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام غفر الذنب وستر العيوب وكشف الكروب ومن دعائه عليه الصلاة والسلام : (اللهم أصلح لي ديني ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي)[1] وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام (اللهم اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم)[2] . وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام (اللهم اني أعوذ بك من كل عمل يخزيني ، وأعوذ بك من صاحب يؤذيني ، وأعوذ بك من كل أمل يلهيني ، وأعوذ بك من كل فقر ينسيني ، وأعوذ بك من كل غني يطغيني)[3] .

وقد طلب الشيخ من الله حسن الخاتمة كما يفعله المؤلفون الصالحون نسأل الله حسنها .

ثم قال رحمه الله :

واجعل صلاتك بالتكريم دائمة
على الذي ساد قط عن سائر الأمم

يعني أنه يطلب من الله في البدء والختام أن يجعل أفضل صلواته المقرونة بالتعظيم والتكريم عطرة دائمة موجهة الى سيد السادات والذي ساد حقا سائر الامم .

---

(١) رواه احمد وابو يعلى والطبراني .

(٢) رواه احمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه البزاز وفي الحديث أن من عبادي من لا يصلح له الا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله وان من عبادي من لا يصلح له الا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله .

قال البوصيري :

يا رب واجعل رجائي غير منعكس
لديك واجعل حسابي غير منخـرم

وأذن لسحب صلاة منك دائمـــة
عـلى النبي بمنهـل ومنسجـــم

كما قيل :

ألا يا أسلمي يا دار مي عـلى البلى
ولا زال منهـلا بجرعائك القطـر

فكأنه يطلب من الله استمرار الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم على سيد السادات وقد مر الكلام معنا على لفظ السيد وجواز القول به والرد على منكريه عند قول المؤلف :

يا رب بالسيد الهـادي البشير وهناك صلوات طيبـات مباركـات أوردها العلامـة المرحوم الشيخ يوسف النبهاني في كتابـه (أفضـل الصلوات على سيد السادات) فمن شاء المزيد فليرجع اليه .

ثم قال رحمه الله :

والآل والصحب والأتباع[1] قاطبـة[2]
ما[3] غرد الطير في أرجاء[4] ذي سلم[5]

يقول واجعل يا رب صلاتك وسلامك وتحياتك على آلك وصحبك كما صليت وسلمت على نبيك ورسولك واجعلهما على التابعين وتابع

---

(١) والتابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين .

(٢) جميعا .

(٣) ما غرد ما مصدرية ظرفية أي مدة دوام والمراد فيها الدوام والاستمرار وغرد – الغرد بفتح الغين والراء التطريب في الصوت والغناء ويقال غرد الطائر على وزن طرب فهو غرد ويقال غرد تغريدا .

(٤) ارجاء نواح ونواحي : أرجيت الامر أخرته يهمز ويلين وقرىء (وآخرون مرجون لامر الله) (قالوا أرجه وأخاه) : أخره .

(٥) اذا سلم بفتح السين واللام : والسلم : شجر من العضاه الواحدة سلمة مثل قصب وقصبة .

التابعين ومن سار على نهجك من المؤمنين العاملين المخلصين وأتباعنا ومريدينا الذين سلكوا سبيلنا مستمرة مدة دوام تغريد الطيـور في الأشجار الكبيرة العظيمة وذي سلم مكان بمكة يقرب من الحرم او مكان بالمدينة يقرب من حرم الحبيب صلى الله عليه وسلم .

ثم قال رحمه الله :

وما شدا[1] العبـد للرحمـن متعظـا
يا نفس كم ذا التواني فيقي وانسجمي

فما أجمل هذا الختام فهذا شيء فيه غاية الدقة والنكتة والبلاغة ويقال له في البديع حسن الختام والتوافق والتخلص فابتدأ التحفة بقوله مخاطبا للنفس :

يا نفس كم ذا التواني فيقي وانسجمي
واستيقظي واتركي العصيان لا تسمـى

واختتمها بقوله :

وما شدا العبـد للرحمـن متعظـا
يا نفس كم ذا التواني فيقي وانسجمي

حقا (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليـم)[2] فقـال المؤلف عن نفسه وما ساقه عبد الرحمن الشريف من هذه التحفة المرضية يرجو به القبول من الله سبحانه وتعالى ثم عاد فوعظ نفسه وقال يا نفس كم ذا التواني فيقي وانسجمي وبالله التوفيق ومنه العون كان الفراغ

---

(١) شدا يشدو شدوا من باب قتل جمع رعيلا من الابل وساقها وقيل لمن أخذ طرفا من العلم او الادب واستدل به على البعض الآخر شدا وهو شاد أو شدا يتغنى او ينشد ويمدح بها .

(٢) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

من شرح الدرة والتحفة يوم الخميس الواقع في الثامن من ذي القعدة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية وفق اليوم العشرين من تشرين الاول (أكتوبر) سنة سبع وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية وذلك بعد جهد ثلاث سنين في أوقات متفرقة واني لأرجو ممن نظر الى شرحي هذا ان يتقبله بقبول حسن ويتجاوز عن الاخطاء والهفوات فان الكمال لله وحده ومع هذا ماذا تقول في انسان مرت عليه أيام شداد بنزوحه عن المسجد الاقصى المبارك بنزوحه عن وطنه وأهله وذويه وبعد هذا وذاك استشهد ولداه وقرتا عينيه واستشهد آخوه يده وساعده وذلك في شهر أيلول سنة ١٩٧٠م واعتدي على بيته في سرقة مكتبته وسائر أثاثه ومع هذا كله فالشواغل وتوالي الاحداث العامة وحسد الاقران واعتراضهم على اقدامي على كلمة الحق من على المنابر ووشايتهم بي وسعايتهم الى المسؤولين للدس من ورائي والوقيعة بي فهذه كلها وغيرها لا حاجة الى ذكرها أسباب ومبررات توجب قبول اعتذاري لا سيما ونحن في القرن الرابع عشر للهجرة وما أجمل قول الاخضري في شرحه لمتن المنطق حيث قال :

ولبني احدى وعشرين سنة | معذرة مقبولة مستحسنة
لا سيما في عاشر القرون | ذي الجهل والفساد والفتون

فما بالك ونحن مشرفون على نهاية القرن الهجري الرابع عشر وهذا الزمان زمان الفساد والالحاد والحسد والفسوق والعصيان فسبحان من لا يقع في ملكه الا ما أراد أما باقي أوراد جدي كحزب السيف وحزب الهمزة وورد القرآن والدلالة السنية وغيرها من الاوراد فلها وقت آخر ان شاء الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله أولا وآخرا وهو حسبي ونعم الوكيل .

وصية لازمة لابناء دار الفقه والحديث

وبيان اتحـاد الاخـوة في الله

لما تم شرح هاتين الدرتين من أوراد جدي رحمه الله أحببت أن أذكر لاخوتنا في الله بعض الامور الهامة التي يصادفها الطالب في طريقه وقد أحببت أن أذكر لكم شيئا مما وصى به المؤمنون أنفسهم واخوتهم ارجو الله تعالى حسن توفيقهم لاستعمالها والا يحرمنا القيام بها ولا يجعلها حجة علينا فاول قدم لمريد الحق في هذه الطريقة ينبغي ان يكون على الصدق والحق متخذا ميزان الشريعة نصب عينيه واضعا أمامه كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام سائرا على قدم أهل السنة والجماعة لا ينتمي الى حزب من الأحزاب لأن الله تعالى أنزل سورة كاملة في ذم الأحزاب والتنديد بهم وقد نهى الله ورسوله عن الحزبية لأن الحزب هو القطعة والأحزاب هي الفرق والتفرق ولا حزبية في الاسلام قال العلماء الأولون ما منعهم عن الوصول الا تضييع الأصول فالناس اليوم يعترضون على السادة الصوفية والطرق التي تسير على الكتاب والسنة ويلصقون بها تهما وأشياء كثيرة صم بكم عمي فهم لا يبصرون ، ان السادة الصوفية في واد وعامة الناس وعلماء السوء في واد آخر ٠

ليلـــي بوجهـــك مشـــرق	وظلامـــه في الناس ســاري
فالنـاس في سـدف الظـــلا	م ونحـن في ضـوء النهـار

ان كل طالب يريد ان يسير على الطريق الحق لا يقبل الا بفقه في دين لقوله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما قاسم والله يعطي) الحديث فيجب على المريد ان يحصل من علم الشريعة اما بالتحقيق واما بالسؤال عن الأئمة ما يؤدي به فرضه وعليه أن يتأدب بواسطة شيخ مرشد مرب ورع بعيد عن مطامع الدنيا وملذاتها فان لم يكن له استاذ يدله على الله لا يفلح أبدا وهذا أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه يقول : (من لم يكن له استاذ فامامه الشيطان) ولا ينبغي للمريد ان يعتقد في المشايخ العصمة بل الواجب ان يذرهم وأحوالهم لله فيحسن بهم الظن ، ويراعي مع الله تعالى وحده فيما يتوجب عليه من الأمر والعلم ٠ قبول قلب الشيخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ومن رده قلب شيخه فقد خذل ٠

من الآفات والمهلكات ما يتداخل النفس من خفي الحسد للاخوة في الله ومن آداب المريدين الا يتعرضوا للتصدر في المجالس اويجعلوا لهم تلاميذ ومريدين فان المريد اذا حاول ان يكون مرادا قبل خمود بشريته وسقوط آفته فهو محجوب عن الحقيقة لا ينفع أحدا اشارته وتعليمه وينبغي ان يكون للشيخ علم يعرف به الحلال من الحرام وان يكون لديه حكمة الحكماء وسياسة الملوك وهذا مقام لا يتسع لكل ما يقال وسأفرد له رسالة خاصة وتنشره عامة ان شاء الله تعالى ٠

اتخاذ الاخوة في الله :

أذكر لك طرفا منها لتكون على بصيرة من أمرك ٠ اعلموا وفقني الله واياكم الى الخيرات وأزال عن قلوبنا جميع الغفلات ان التحاب في الله والأخوة في دينه من أفضل القربات فيجب على كل مسلم اتسم بالاسلام الصحيح والعقيدة الحقة بل يجب على المسلمين جميعا ان تتحاب قلوبهم وتتفق كلمتهم لاعلاء كلمة الله تعالى ، وأن يجتمعوا على طاعة الله ورسوله ، وان يستكثروا من الاخوة في الله كما قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) الآية (١٠٣) آل عمران وقال : (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم)[١] وقال عليه الصلاة والسلام (كونوا مؤلفين ولا تكونوا منفرين) وقال صلى الله عليه وسلم (ان أحبكم الى الله عز وجل الذين يألفون ويؤلفون ، وان أبغضكم الى الله عز وجل المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان) وقال عليه الصلاة والسلام (استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة) وفي الحديث القدسي (ابن آدم لك ما نويت وعليك ما اكتسبت وأنت مع من أحببت) وقال صلى الله عليه وسلم (من آخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله) وقال : (لا يذوق العبد طعم الايمان حتى يحب المرء لا يحبه الا لله) وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى في الحديث القدسي (وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قال يا موسى هل عملت لي عملا قط ؟ قال الهي صليت لك وصمت لك وتصدقت لك ، وذكرت لك ٠ فقال الله يا موسى : ان الصلاة لك برهان والصوم لك جنة[٢] ، والصدقة لك ظل ، والذكر لك نور فأي عمل عملت لي ؟ فقال دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت

---

(١) الآيتان ٦٢ و ٦٣ من سورة الانفال ٠

(٢) ستر ووقاية من النار بضم الجيم وتشديد النون مفتوحة ٠

لي وليا ؟ وهل عاديت لي عدوا فعلم موسى أن أحب الأعمال الى الله الحب في الله والبغض في الله) .

وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الاخوان هينة الخطب

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال (وكونوا عباد الله اخوانا وقال : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره) . وقال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وبالله التوفيق ومنه العون والهداية لأقوم طريق .

مصادر التأليف التي استقينا منها

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ صحيح البخاري .

٣ ـ صحيح مسلم .

٤ ـ زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري .

٥ ـ أبو داود .

٦ ـ النسائي .

٧ ـ الترمذي .

٨ ـ ابن ماجه .

٩ ـ أدب الدنيا والدين .

١٠ـ الشفاء .

١١ـ الرسالة القشيرية .

١٢ـ كشف الغمة عن هذه الأمة .

١٣ـ حكم ابن عطاء الله السكندري .

١٤ـ الشرف المؤبد لآل النبي محمد صلى الله عليه وسلم للشيخ يوسف النبهاني .

١٥ـ القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه .

١٦ـ كتاب قوانين حكم الاشراق لجمال الدين الشاذلي .

١٧ـ احياء علوم الدين .

١٨ـ التعرف لمذهب أهل التصوف لتاج الاسلام أبو بكر محمد الكلاباذي .

١٩ـ قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة للمحدث الفقيه احمد بن محمد البرنسي المغربي .

تابع المصادر

٢٠ـ محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل ٠

٢١ـ طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب ٠

٢٢ـ تاريخ الجبرتي ٠

٢٣ـ تنوير القلوب للشيخ محمد أمين الكردي الاربلي النقشبندي لشارحه علامة زمانه المرحوم الشيخ سلامه العزامي ٠

٢٤ـ التبيان للامام شرف الدين النووي ٠

« بسم الله الرحمن الرحيم »

كلمة الختام لهذا الكتاب القيم والسفر الخالد النادر

أحمدك ربي وأشكرك وأتوب اليك وأستغفرك مما زل به القلم عن غير قصد أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصي ثناء عليك مصليا ومسلما على حبيبك ونبيك ورسولك المفرد العلم خاتم النبيين وسيد المرسلين والمصلحين وامام المتقين وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام هداة الأمة العاملين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين ·

وبعد :

فقد تم بحمد الله وحسن توفيقه ومعونته طبع هذا الكتاب القيم والسفر الخالد بعد أن بذلت في تحضيره وتأليفه عدة أعوام سهرت فيها عيوني والناس نيام :

سهر العيون لغير وجهك ضائـــع
وبكاؤهـــن لغـــير حقـــك باطـــــل

أجل بذلت فيه قصارى جهدي المقل وتحملت في طبعه الكثير الكثير مع مشاق الزمن العصيب الشاغل بتعاون دؤوب متواصل جاد مخلص مع الموظفين المخلصين القائمين على طبع هذا الكتاب في المطابع التعاونية أما التصحيح فقد أعانني الله سبحانه وتعالى عليه وقمت به وحدي مع وفرة أشغالي وأعمالي الأخرى في دار الفقه والحديث ودائرة قاضي القضاة والقاء الخطب الأسبوعية في المساجد ولكن الله سبحانه وتعالى أعانني على ذلك كله بمنه وكرمه ·

أما ما بذل فيه ماديا ومعنويا مما كان سببا في بروز هذا الكتاب وظهوره الى حيز الوجود ونشر وطبـع كتب أخرى باسم دار الفقـه والحديث فقد كانت بمساعدة المحسنين الأخ في الله الحاج نجيب بشير حتاحت الذي قام بالقسط الأكبـر وأخوين آخرين لـم يرغبا في ذكر

اسميهما فجزاهم الله جميعا خير احسانه وجزائه وبارك لهم جميعا ولمن ساهم في تعميم هذه النشرات والمؤلفات وأدام الله النفع العام بهذا الكتاب لا سيما من قرأه وتصفحه وتدبره بحسن الظن وحسن النية مجردا عن الغيظ والحسد اذ أنني والله أعلم ما قصدت من تأليفه وشرحه الا وجه الله والدار الآخرة وخدمة للدين والعلم والرد على الناقدين الحاقدين والرد على منكري معجزات الرسل على نبينا وعليهم أفضل الصلوات والتسليمات وكرامات الأولياء والعارفين بالله رضي الله عنهم ورضوا عنه . هذا ولا تزال دار الفقه والحديث أعزها الله ومن قام على احياء سنة الاولين فيها لا تزال تنتج وتصدر المطبوعات والنشرات بل هي في حاجة الى طبع كتب أخرى تحت الطبع ونشرات أخرى كلها لمدير الدار ومؤسسها نفسه اذاً فهي في حاجة الى دعم معونات مادية ومعنوية أخرى ليتسنى للدار أن تكمل مسيرتها ورسالتها وتسير على نهجها الصحيح لذلك فقد قرر المدير والمجلس الاداري لهذه الدار أن يجعل ثمن كل نسخة من هذا الكتاب دينارين وخمسمائة فلس وهذا أقل ما قدرته جمعية عمال المطابع ثمنا لهذا الكتاب بالنسبة لتكاليفه أدام الله النفع العام وأصلح لنا الحال والشأن وبالله التوفيق ومنه العون والهداية لأقوم طريق وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

حفيد المؤلف

الضعيف

محمد عادل عبد السلام الشريف

الفهـرس

لفت نظر

توخينا أن نذكر سائر الاخطاء المطبعية لكننا رأينا أن ذلك عسير ومشوش على القارىء فتركناه للقارىء كي يدركها بنفسه ولهذا فقد رأينا من المناسب أن نذكر الاخطاء العميقة التي لا تدرك احيانا بمجرد النظر ليطلع عليها القارىء النبيه بنفسه فمعذرة لاخوتنا القراء والمطلعين فسبحان من لا يسهو ولا يغفل ٠

المؤلف

الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب	الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب
والاصغر	١٩	١٩	الاصغر	بها	٦١	١٣	بهما
ففير	٢٠	٨	ففر	وجهي	٦٢	١٣	وجهه
يشربه	٢١	١٠	يشربه	الحكيمي	٦٣	٧	الحليمي
هذا	٢١	١٤	في هذا	وأمن	٦٤	٥	وأمر
ابن	٢٢	تحت الخط ٢	وابن	تسليمالك	٦٤	١٤	تسليماتك
اللقب	٢٢	تحت الخط ٣	الكنية	المسيحين	٦٥	تحت الخط ٥	المسبحين
تعا	٢٤	٤	تعالى	بيا	٧٠	تحت الخط ١	بيان
فطب	٢٤	٨	قطب	التى	٧٧	٤	الشيء
قول	٢٦	١٤	قوم	شريعي	٧٩	١٠	شريعتي
السكيب	٢٦	تحت الخط ٧	السكيت	فاتباع	٧٩	٩	فاتباعي
فمسكين	٣١	١٦	فمسكن	الودع	٨٠	تحت الخط ٥	الودج
جنات	٣١	١٩	جناب	فرضاهم	١١٦	١٩	فرضوا
المنلا	٣٣	٨	الملا	به	١٤٤	٩	ربه
لا يوجد	٣٤	١٦	في الحلبة	اقوال	١٤٦	٧	اقوالا
فنامل	٣٥	١٦	فتأمل	جمع	١٥٥	تحت الخط ٢	جمع
اذا	٣٨	٤	اذ	المخير	١٥٥	١٣	المخبر
مذبان	٣٨	١٢	ميزان	واصل	١٥٩	تحت الخط ٢	واحد
فقه	٣٩	تحت الخط ٧	فقهه	سيقيد	١٦٠	٩	سيحيد
الاوتار	٣٩	٢٦	الآثار	لازمة	١٦٩	١١	لازمه
الشراملي	٤٠	١٥	الشبراملسي	اوقفتني	١٧٠	١٣	واوقفني
الطرف	٤٨	١٧	الظرف	ومعتى	١٧١	تحت الخط ١١	ودمعي
النابمين	٦١	تحت الخط ٥	والتابعون	أم	١٧٧	١٢	أمم
وآل	٦١	١٢	وقال				

الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب	الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب
كذلك	١٨٦	١٤	كذاك	وبقى	٢٣٠	تحت الخط ١	بغى
فافتقم	١٨٧	١٢	فافتهم	وهم	٢٣٢	تحت الخط ١	ادناهم
كضارع	١٨٧	١٤	يضارع	آذلة	٢٣٢	تحت الخط ٤	أذمة
الحكية	١٨٨	تحت الخط ٦	والجلبة	لفضلته	٢٣٣	٧	لغفلته
لفه	١٨٨	تحت الخط ١	لفة	فسيخ	٢٣٥	٧	ونسخ
جيان	١٩٢	١٢	جريان	سجر	٢٣٥	١١	سحر
فغيناء	١٩٢	١٦	قفناء	المفتون	٢٣٦	تحت الخط ٤	المعيون
الاغرار	١٩٣	تحت الخط ٢	لا غرار	مفاتبكم	٢٣٦	تحت الخط ٢	ومغابنكم
تطن	١٩٣	تحت الخط ٢	أظن	تفتح	٢٣٧	تحت الخط ١	بفتح
اقلب	١٩٥	٤	أقلت	يغضبون	٢٣٩	١٤	يغبطون
بجردها	١٩٥	١٣	لم يجرها	تمديدات	٢٤٠	٣	تشديدات
رسول	١٩٧	٥	يا رسول	وليصرفوا	٢٤٠	١٢	ولتصرفوا
فأجالوا	٢١٩	١٣	فاجابوا	الرجال	٢٤٠	١٣	الدجال
نصه	٢١٩	تحت الخط ٥	ونصبه	هذيه	٢٤٠	١٩	هذين
البهاني	٢٢١	تحت الخط ٥	النبهاني	بدينا	٢٤٠	٢٠	بدنيا
عبادة	٢٢٢	١	عادة	الفين	٢٤٩	تحت الخط ٣	الفين والراء
شح	٢٢٢	تحت الخط ١	شحيح	أذا	٢٤٩	تحت الخط ٧	ذي
فليس	٢٢٢	تحت الخط ٣	فلس	اتحاد	٢٥٢	٣	اتخاذ
بنى	٢٣٠	تحت الخط ٥	بغي				

استدراك : ورد في الصفحة ٨٦ تحت الخط المشبه به خطأ والصواب المشبه بالحدائق والبساتين ذات الرائحة العطرة استعارة مكنية واثبات لحقائق تخييل ، لانها من لوازم الاستعارة ٠

كتاب

شرح مجموع النفحات الثلاث وتحفة الإخوان لسيدنا العارف بالله تعالى،
المرحوم الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسين الشريف الحسيني الجد الأكبر لعائلة عبد الرحمن

وللعلامة شرحه وعلق عليه حفيد المؤلف،

الشيخ محمد عادل بن المرحوم العارف بالله تعالى الشيخ عبد السلام الشريف

مدير ومؤسس دار الفقه والحديث في المملكة الأردنية الهاشمية

وخطيب المسجد الأقصى المبارك

وأستاذ كلية اللغة العربية في الكليات والمعاهد في الرياض سابقاً

وخطيب المسجد الحسيني الكبير في عمّان

وهو

خريج الجامع الأزهر الشريف

حاز منه على الشهادة العالمية وشهادة القسم العالي النظامي في الأزهر اللتين عودلتا من قبل مشيخة الأزهر بالشهادة العالمية المصرية المؤقتة العالية التي كانت أعلى شهادة في الأزهر وبالشهادة العالمية المصرية النظامية العالية. وهما تخولانه القيام بالقضاء الشرعي والإفتاء والوعظ والإرشاد والخطابة، وهي شهادات جامعية عالية وذلك بموجب قرار فضيلة شيخ الأزهر حسب القانون رقم ١٠٣ تاريخ ١٨ جمادى الأولى لسنة ١٣٩١ وفي ١١ يوليو سنة ١٩٧١ وقرار الجامعة الأزهرية بموجب قرار أمين عام الجامعة تاريخ ١٥/ ٥/ ١٩٦٥ م

☆

دقق الكتاب وروجع من قبل المؤلف
وحقوق الطبع محفوظة له

طبع
على نفقة دار الفقه والحديث

وقد تم طبعه حديثاً سنة ١٣٩٩ هـ وفي سنة ١٩٧٩ م

نفع الله به المسلمين

آمين

م م م
م م
م

جمعية عمال المطابع التعاونية ـ عمان